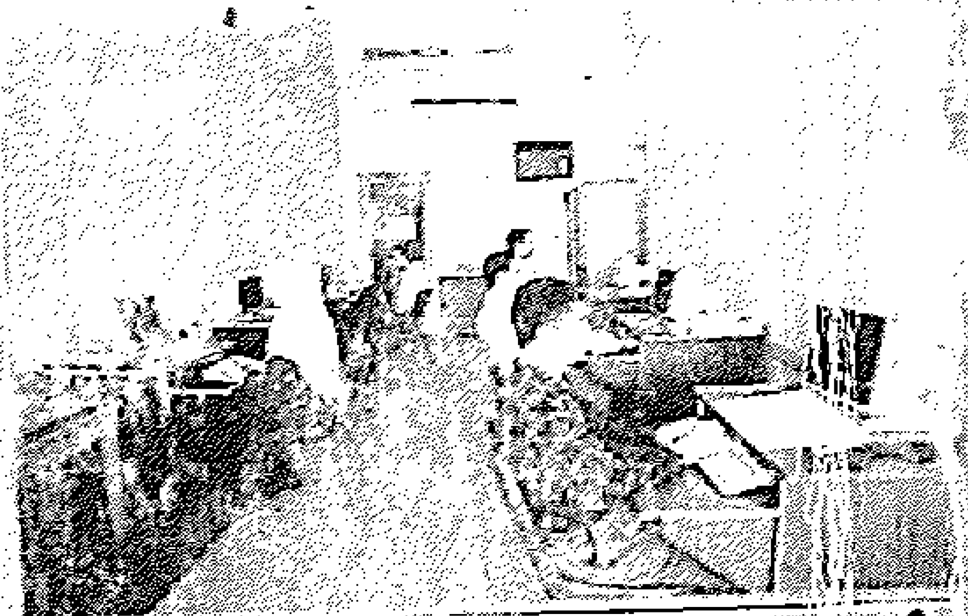
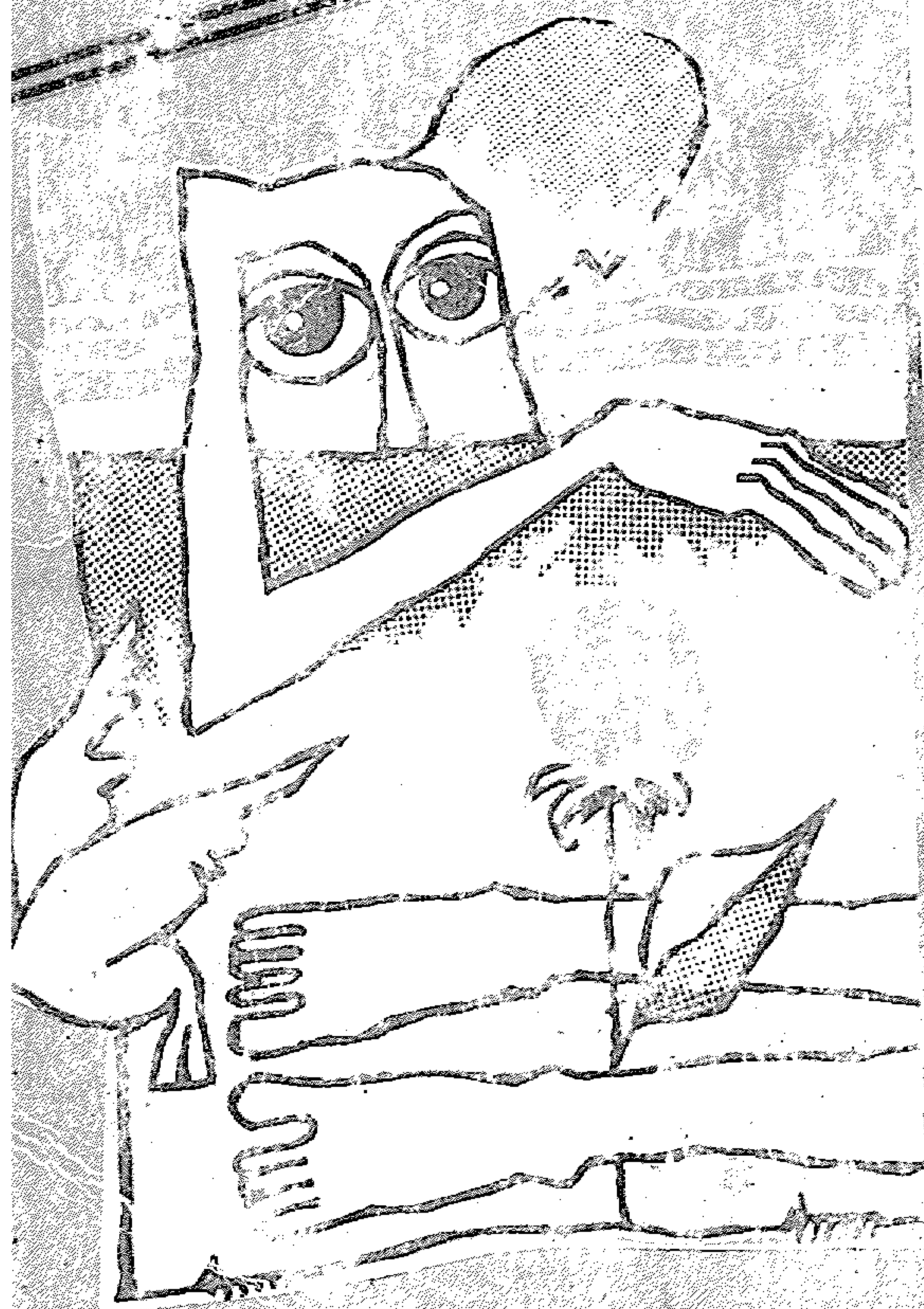
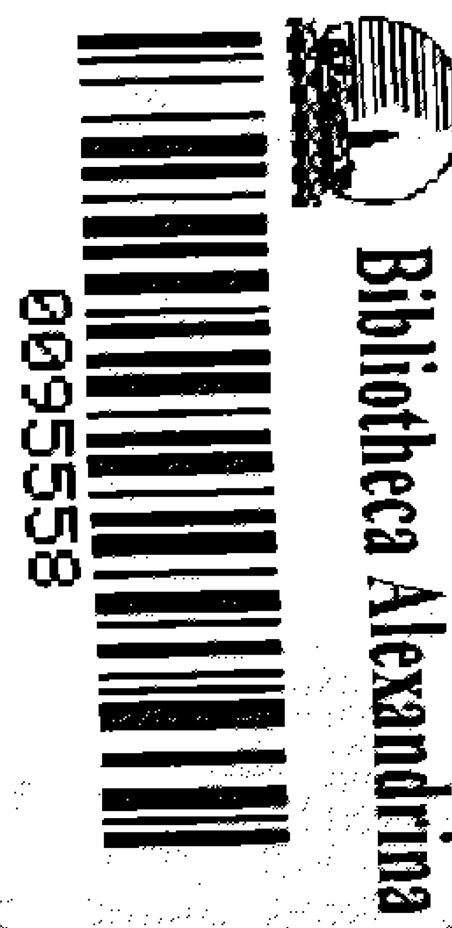
التنمية

بين عقيدة الانتماء وعقدة التطرف

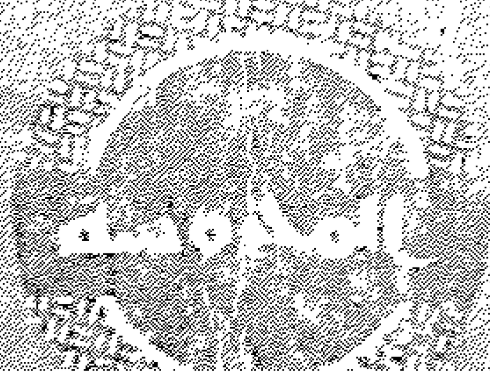






دكتور يحيى عبد الحميد إبراهيم عبد العال

أستاذ بجامعة أسيوط ومستشار محافظ أسيوط

١٩٨ م



التنمية بين عقيدة الانتماء وعقدة التطرف

دكتور يحيى عبد الحميد إبراهيم عبد العال
أستاذ بجامعة أسيوط ومستشار محافظ أسيوط
ومستشار التنمية البشرية والإدارية
بمعهد التبين للدراسات المعدنية

١٩٩٨م

الطبعة الأولى يناير ١٩٩٨

عنوان الكتاب: التنمية بين عقيدة الانتماء وعقدة التطرف

تـأليـف : د. يحيى عبدالحميد إبراهيم عبدالعال

الناشر : مركز المحروسة للبحوث والتدريب والنشر

٤ش ٩ب المعادى - ت: ٣٧٥٢٠٣٣

المدير العام : فـريـد زهـران

مسئول الطباعة : محمد سعيد

رقم الإيداع : ٩٨/٣٢٤٧

الترقيم الدولى I.S.B.N: 8 -82 -5652 - .9٪

إهداء ودعوة

إلى كل من بحث فى لاشعوره عن مواطن التطرف والعنف فاجتثها. إلى كل من زرع الأمل والحب فى أرض الواقع ليحصد الآخرون فى مستقبل قد لا يراه بعد أن استبصره. إلى كل قائد قد شغلته رؤية المستقبل عن تجاوزات الحاضر فلم يكن إلا رحيما يحمل رسالة حب يملأ بها القلوب، ومشعل أمل يضىء به الطريق، وطاقة عمل خلاقة تدفع وطنه لإشراقة. إلى كل من راح ضحية العنف والإرهاب فكانت روحه تاريخا فضح الظاهرة، وقاضياً جرّم مرتكبيها، ونبراساً يهدينا إلى ما قد بُدىء به الإهداء.

إلى الذين استوحوا الفكرة من فكرة فكان ثناؤهم على الثانية وتركوا الأولى لتقويم الآخرين. إلى الذين عملوا فكان عملهم كفاحا خالصاً لوجه الله ومن أجل مستقبل بلدهم بعيدا عن التملق والنفاق والولوع بالمناصب العليا، مما جعل الموضوعية أسلوبهم والعدل منهاجهم والرحمة بالآخرين سبيلهم. إلى جنودنا الساهرين على حدود بلادنا الجغرافية والذهنية. إلى من قُتلوا فى سبيل الله شهداءً للفكرة وما فوقها. إليهم جميعا أهدى هذا الكتاب.

إلى الذين زيفوا تاريخنا واغتالوا شخصياته ولم يعرفوا أنهم قد اغتالوا فكر شبابنا وأفسدوه فكان الاغتراب والتطرف والبحث عن ثقافة جديدة هى وسيلتهم لرفض واقعهم المزيف. إلى كل المسئولين عن الشباب: أدعو أن يعودوا إلى رشدهم ويتقوا الله فى دينهم ويعملوا لصالح مستقبل مصر الحبيبة فيكونوا قدوة لشبابها، حتى يصبح قادرا على النهوض بها إلى حيث أراد لها الله سبحانه وتعالى. لنضع أيدينا ونتكاتف

جميعا لنصنع من مصر واحة للأمن والأمان والرفاهية وبذلك نكون قد عملنا بقول الله تعالى في الآية ٩٩ من سورة يوسف: "**ادخلوا مصر إنْ شاء الله آمنين.**"

المؤلـــف

١٩٩٨

تقديم

تعتمد معدلات التنمية فى أى بلد على ثرواتها البشرية والطبيعية وإمكانية رأس المال البشرى فى توظيف تكنولوجيا العصر ورأس المال المادى، وترشيد استغلال الثروات الطبيعية بطريقة تحافظ على البيئة، ويزيد من خطورة وأهمية رأس المال البشرى أنه ليس فقط القادر على استخدام عناصر التنمية والاستفادة منها، ولكنه - أيضا - المسئول عن إدارة التنمية، وعليه يظهر دور رأس المال البشرى والفكرى مركزياً فى بانوراما التنمية الشاملة والمستدامة. والتنمية الثقافية لا تتم إلا من خلال وجود بعض المقومات الأخرى خاصة رأس المال الفكرى، الذى يعتمد بشكل مباشر على رأس المال البشرى وقدراته الذهنية ومهاراته وصفاته.

ومن ذلك يتضح أن مفهوم التنمية لم يُعد محصوراً فى الأرقام الصماء مثل زيادة الدخل القومى أو متوسط دخل الفرد، ولكن أصبح مفهوما مركبا، يتعدى البعد الاقتصادى إلى أبعاد أخرى لا تقل أهمية مثل البعد الاجتماعى والبعد الثقافى والبعد السياسى، والأخير يدخل فى محتواه الديمقراطية وحقوق الإنسان. وعليه فيجب أن يكون مفهومنا للتنمية مفهوما شاملا يكون فيه الإنسان وسيلة وغاية فى نفس الوقت، ويجب أن يتمتع الإنسان بثمار التنمية التى يمكن فى ظلها ومن خلالها التمتع بجميع حقوقه السياسية والمدنية وحرياته الأساسية.

إن الذين يحرمون من مزايا المجتمع الحديث يرفضون أسس عدالته ويتجاهلون قوانينه، وتلك خطورة تهدد بعض بلاد العالم كلما اتجهت إلى مقرطة سياسية، دون توفير عوامل الأمن الاقتصادى لدى مواطنيها. والأمن الاقتصادى يعتبر أخطر تحديات القرن الحادى والعشرين، ولمواجهة هذا التحدى، لابد من عمل تنمية حقيقية تضمن حصول كل مواطن على عمل شريف. إن حق الحصول على مصدر رزق لكل

مواطن يعتبر أكثر الوسائل فعالية لتوزيع ثمار التنمية على المواطنين وتحقيق العدالة الاجتماعية، وبدون توظيف المصادر البشرية فإن الناس لن تتوفر لديهم القدرة الشرائية اللازمة لشراء متطلباتهم من مأكل ومشرب وملبس ومسكن ...الخ، وعليه فإن الأمن الاقتصادى والغذائى منه على وجه الخصوص، يصبح فى خطر ويصير المعنى الحقيقى للأمن الغذائى ليس فقط فى توفر الغذاء أو وجود القدرة على إنتاجه بالوفرة اللازمة، ولكن أيضا فى وجود المقدرة الاقتصادية لشرائه. ومن هنا لن تتوفر المقدرة الشرائية لدى الطبقات التى تعيش الآن تحت خطر الفقر إلا بتوظيفها. إن **«وظيفة لكل إنسان»** سوف تكون شعار القرن الحادى والعشرين، وليس فى ذلك عودة إلى النظام الاشتراكى، أو دعوة إلى تقليص القطاع الخاص وزيادة قبضة القطاع العام على الاقتصاد المحلى، ولكن ذلك مطلب اجتماعى يضمن الاستقرار العام. إن الاعتقاد بأن أى شىء أدنى من وجود التزام قانونى يضمن وجود فرص العمل بالقدر الكافى لطاقات المجتمع البشرية لن يكون كافيا لحل المشكلة، وحينما يوجد الالتزام تولد الإرادة السياسية، وحينما تولد هذه الإرادة تبدأ المجتمعات فى اتخاذ الإجراءات المناسبة لحل المشكلة حلا حقيقيا وذلك من خلال برامج تنمية حقيقية تخلق فرص العمل وتحفز على زيادة الإنتاج وتنمى قيمة الولاء المؤسسى. إن أخطر ما يواجه دول العالم النامى هو تبنى خطط تنموية تأتى بالنماء الاقتصادى دون النماء الوظيفى المتكافىء وتصبح التنمية من النوع المسمى تنمية بدون وظائف "Jobless growth"، وهذه التنمية يكون من آثارها زيادة الفجوة بين الفقراء والأغنياء، وتلك الفجوة تضر بأسس العدالة الاجتماعية التى تعتبر أحد مفاتيح السلام والأمن الاجتماعى فى أى مجتمع. ويجب أن نعى جيدا خطورة الأمن الاقتصادى، حيث إنه يؤثر بطريقة مباشرة على أمن الثروات البشرية، فليست الثروات البشرية رأس مال فقط ولكنها هى المستفيد النهائى من عمليات التنمية بكل أبعادها.

إن التحدى الأعظم فى مستقبل الشعوب ـ كما سبق أن ذكرنا ـ هو تحدى الأمن الاقتصادى، والذى يتطلب منا عدم الاستسلام والمبادرة بالعمل لحل مشكلة البطالة، التى تمثل صلب المشكلة الاقتصادية وتهدد النسيج الاجتماعى للدول، وإن أهم إنجازات هذا القرن ليست فى تطور التكنولوجيا أو النظم السياسية والاقتصادية، ولكن فى تطور ضمير الإنسان واستعادته لوعيه، وإدراكه بأن قيمته تفوق القيم المادية التى سيطرت على مجتمعاتنا لفترات طويلة مثل قيمة المال والقوة السياسية ...الخ. إن الضمير الإنسانى هو مصدر التحولات التاريخية، وعلى سبيل المثال تخلص الإنسان من الاستعمار والعبودية حينما وصلت هذه المظاهر إلى حد غير محتمل، لا لأسباب اقتصادية ولكن لأن هذه المظاهر تشين الضمير الإنسانى، وبطريقة مماثلة فإن المجاعات والفقر والبطالة لا يجب قبولها أو تحملها والاستسلام لوجودها على أنها مظاهر مرتبطة بالحياة الاقتصادية ولا يمكن تفاديها. وإن الإعانات الاجتماعية وأشكال الضمان الاجتماعى المعروفة لا تساعد فى حل المشاكل، بقدر ما تعبر عن عجز النظام الاقتصادى السائد فى حل هذه المشاكل ـ ليس ذلك فقط ـ ولكن أيضا قد تتسبب هذه الإعانات فى الحط من قدر مستقبليها وسلبهم احترامهم وثقتهم فى ذاتهم.

وكما أن الحريات الشخصية أصبحت من الحقوق الرئيسية فى المجتمعات الإنسانية، فإننا نقترب من الوقت الذى يجب على المجتمع أن يدرك فيه حق كل مواطن فى الكسب المشروع وتأمين حصوله على وسيلة هذا الكسب. إن التنمية تتطلب أن تعاد صياغة ثقافة المجتمع حتى لا يلفظ فقط فكر التطرف، ولكن حتى يكف المتطرفون أنفسهم عن تناول مخدراتهم الفكرية وأن يستبدلوا بها قيما راقية، مثل قيم الانتماء والعمل واحترام التعددية الفكرية فى ظل نظام مؤسسى تنوب فيه كل الأفكار لتصنع حاضره وتصيغ مستقبله.

د/ يحيى عبد الحميد إبراهيم

١٩٩٨

الفصل الأول

الإنســـــان والتنميـــــة

الفصل الأول: الإنسان والتنمية

ملخـــص

إن العالم يمر بمرحلة تجعل الأمن الاقتصادى محركا لنواحى الحياة المتعددة وصانعا للأبعاد الأمنية الأخرى ـ والأمن الاقتصادى مبعثه التنمية الشاملة التى لا يكون النماء الاقتصادى فيها غاية ولكن وسيلة للوصول بالإنسان إلى حياة مستقرة، يستطيع من خلالها دعم أمنه الثقافى والاجتماعى والاقتصادى والسياسى. إن الأبعاد المختلفة للأمن تجعل من الثروات البشرية قاطرة التنمية الشاملة والمستفيد النهائى منها، وعليه فإن رأس المال البشرى سوف يكون أهم عنصر تنافسى فى القرن الحادى والعشرين.

مقدمـــة

لا يحتاج تعريف التنمية إلى كلمات كثيرة قد تجنبه مضمونه، ولكن يجب القول بأن هناك قيمة جديدة بدأت تتبلور وتأخذ جانباً هاما من تفكير الشعوب وقياداتها، وتغير من نظرتهم لمفهوم التنمية من مجرد أنها عملية اقتصادية بحتة إلى التركيز على الجانب الإنسانى وتنمية أفراد المجتمع. وعليه فإن تعريفا شاملا بدأ يتبلور ويمكن تلخيصه فى: "**إن التنمية الشاملة ليست مجموعة من الغايات أو الأهداف المادية المراد تحقيقها، ولكنها عملية اجتماعية يمكن للإنسان من خلالها أن ينمى قدراته ويطلق طاقاته لتحقيق مستويات مادية أفضل، مع الارتقاء بجوانب حياته النفسية والاجتماعية والثقافية والسياسية**." إن مفهوم الأمن الاقتصادى يختلف عن مفهوم التنمية الاقتصادية، فالأخيرة ما هى إلا وسيلة من وسائل تحقيق الأمن الاقتصادى، وحينما نقول: إن الأمن الاقتصادى هو أخطر تحديات القرن المقبل فإننا ننوه بداهة إلى أن

ذلك النوع من الأمن هو ـ أيضـا ـ وسـيلة لغـاية أهم وأسـمى وهى منشـور الأمن الاجتماعى والثقافى والسياسى، والذى يندرج تحت مظلته نماء ورفاهية الثروات البشرية مادياً ومعنوياً، كما أن الأمن الاقتصادى يتيح فرص العمل التى تجعل المواطن قادراً على الحصول على خدماته الأولية، وخاصة الخدمات التعليمية والصحية الراقية، ولا يمكن أن يتم كل ذلك إلا فى وجود إطار مؤسسى يرتكز على دعائم الأمن القومى، وهنا تبرز أهمية عملية السلام فى منطقة الشرق الأوسط كواحدة من أهم محددات مناخ التنمية الشاملة والمستدامة.

رأس المال البشرى

إن العالم الآن يتطلع إلى عهد جديد طابعه القضاء على الحرب واستئصال الفقر، وذلك لإسعاد البشرية، فليس من المعقول أن تصبح أغلى الثروات أفقرها وصانعة السعادة أتعسها. الحقيقة أننا نميل أحيانا إلى إهمال الدور الذى تقوم به أعظم الثروات على الإطلاق ألا وهى الثروات البشرية، ناسين أن هذه الثروات هى التى صنعت من المعادن سفن الفضاء ومن حبات الرمال عقولا إليكترونية وهى التى غيرت فى المادة الوراثية للنباتات البرية لتصبح أكثر إنتاجا وهى التى استخدمت الخلايا الجسمية لاستنساخ بعض الحيوانات ... إلى آخر كل هذه المظاهر. **إن تطور الحضارات التاريخية ما هى إلا عملية تم فيها إعادة اكتشاف الإنسان لذاته وقدراته، وعليه فإن كل عمليات التنمية والتطور التى صنعت حركة التاريخ وتقدم البشرية ما هى إلا تعبير حقيقى لقدرة الإنسان الذهنية والجسدية والروحية والعاطفية وضميره وفطرته.**

إن إطلاق طاقات الإنسان وحسن التعبير عن قدراته تحتاج إلى قيادة مفكرة من خلاصة العناصر المتميزة فى الوعاء البشرى. إن السلام والديمقراطية يحتاجان

ثروات بشرية متميزة طريقها رؤية وحياتها رسالة. وتختلف الثروات البشرية عن الثروات الطبيعية فى أمر جوهرى وهو أن الأولى باقية ومتجددة ومتطورة ولا تُستنزف، بعكس الثانية. كل ذلك يفيد بأن إعداد وتنمية الموارد البشرية يعتبران أعظم التحديات التى لا ترتبط بقرن معين ولكن ترتبط بالحياة على هذه الأرض. والتنمية بصفة عامة ليست مجموعة من الأهداف أو البرامج، ولكنها عملية اجتماعية يمكن للإنسان من خلالها إدراك الفرص والتحديات، حمل الآراء والأفكار، القيام بالابتكارات وإطلاق الطاقات والتفاؤل بهدف الإنجاز، وذلك يتطلب أن يُسلَّح هذا الإنسان بالمهارات والقدرات التنظيمية لبدء العمل وصولا للأهدف. **إن أخطر قضية قد تهدد العالم على مستوى الأفراد والجماعات هى قضية العلاقات، وكيمياء العلاقات هى محصلة لمجموعة من القوى الفيزيقية والذهنية والفكرية والروحية والعاطفية والنفسية والوراثية والبيئية التى تحدد شكل وديناميكية الاتصالات.** وقد يبدو أن القوى الفيزيقية هى الفاعلة فى كثير من الأحيان، إلا أن بعض القوى الأخرى التى تؤثر بطريقة غير مباشرة قد تكون هى الأقوى ليس فقط على مستوى الأفراد ولكن على مستوى الجماعات والأمم. إن شكل وحركة التفاعل بين الأفراد هى التى تشكل القيم الثقافية للمجتمع، وهنا يجب عدم إغفال دور هذه القيم فى تنمية المجتمع. وكل ذلك يقتضى التعرف على العناصر التى تعد حاكمة فى إنتاج واقع هذه العلاقات والمراد تغييره منها، ووضع أسس التخطيط للتحكم فى هذه العناصر بما يحقق غايات استراتيجية.

الثقافة والتنمية

يتميز هذا العصر بنمو ظاهرة العنف، وزيادة الفجوة بين الأغنياء والفقراء وتدهور البيئة، وكل ذلك يدل على أن التنمية بمفهومها الحالى تهمل البيئة فى جانبيها الطبيعى والثقافى. والتحليل المتأنى للعلاقة بين الثقافة والتنمية يوضح أن القيم الثقافية تعتبر الأساس الضرورى للتنمية الاجتماعية المتواصلة. وبصفة عامة فإن

الأمن ـ الاستقرار ـ المقدرة الانتاجية ـ النمو والاستمرارية لأى مجتمع يتحدد بقيمه الثقافية (Cultural Values). والأمثلة على ذلك كثيرة، فلننظر مثلا لقيمة الالتزام بالعمل الجماعى فى اليابان، وقيمة الإبداع فى الثقافة الأمريكية، وقيمة الجودة فى الثقافة الألمانية، وقيمة الهولنديين لمشاركة الآخرين وعدم استغلالهم. وبنفس قدر مساهمة القيم الثقافية فى دفع عجلة التنمية، فإن هناك قيما يمكن أن تكون عائقا للنمو والتطور، ففى بعض المجتمعات قد تنمو ظاهرة مقاومة التغيير والتقدم – والمدقق لما يحدث الآن فى فكر التطرف يجد أنه يتبنى بعض القيم التى تعوق حركة التقدم فى المجتمع. ولا يجب أن يكون هذا المفهوم مقصورا على المتطرفين من المسلمين. بل يتعداه إلى تطرف اليهود فى إسرائيل، وتطرف المسيحين فى الولايات المتحدة الأمريكية ودول أخرى، وبعض أشكال التطرف الأخرى التى تستخدم فلسفات لا دينية.

وهنا أيضا يجب أن لايفوتنا التنويه على وجود تطرف مستور بين الطوائف المسيحية فى مصر، وهذا التطرف له نفس الأسباب العامة لتطرف المسلمين بالإضافة إلى بعض الأسباب السيكولوجية التى تؤثر على الشعور العام للأقليات فى أى مجتمع. ذلك لا يعفى الأغلبية من بعض السلوكي ، السلبية الشاذة التى قد تصل إلى حد اضطهاد الأقلية.

إن القيم التى تبيح التطرف لا تتوازى مع المبادىء الفطرية، بل قد تتعارض مع العقيدة فى أدنى حدودها وهى حدود الد ؛ بالمجتمع، فغالبا ما تستغل القوى المتطرفة المناخ الديمقراطى لمعاداة المجتم ، العمل ضد حرمته والهجوم على رموزه ورفض الانتماء إليه. وعلى ذلك فالانتماء والتطرف قضيتان شديدتا الارتباط بالتنمية فى أى مجتمع، ويجب دراستهما جنبا إلى جنب وهذا هو موضوع هذا العمل الذى بين يديك أيها القارىء الكريم. إن تطور ظواهر التطرف والعنف والإرهاب أصبحت عالمية ولكنها تسمى فى الدول الغربية جرائم وتسمى فى بلاد العالم الإسلامى إرهابا،

وبالطبع فإن الإعلام الدولى يشجع على هذه المسميات ويصبغ العالم الإسلامى بالعنف والإرهاب رغم أنه فى بلد مثل مصر تعتبر هذه الظواهر محدودة جدا وأقل منها فى بلدان العالم الصناعى والنامى، ومع ذلك فقد أضيرت مصر فى برامجها الاقتصادية، خاصة تلك التى تعتمد على السياحة، بسبب حملة التصعيد المسعورة التى شنتها عليها الصحافة العالمية بقصد أو بدون قصد. والعلاقة بين القيم الثقافية والتنمية علاقة تبادلية فكما تؤثر القيم على معدل التنمية فإن التنمية ذاتها قد تساعد على خلق قيم جديدة وهدم قيمة قديمة. إن تطور الإنسانية خلال القرنين الماضيين قد ساعد على نسج قيم ثقافية متعددة تشجع على الحريات والمبادرة والثقة بالنفس واحترام الذات والديناميكية والمخاطرة والكفاءة والقدرة التنظيمية ومهارات الاتصال والتعاون والانفتاح العقلى واحترام الأفكار الجديدة والابتكار والإبداع، وفى نفس الوقت فإن هذه القيم الثقافية الجديدة أضعفت القيم التى تدعم احترام العادات والسلم الوظيفى والأقدمية والكرم والتضحية . . . . إلخ. من القيم التى أورثتها المجتمعات البدائية.

التنمية والاستقرار

إن الفقر والبطالة يرتبطان ارتباطا شديدا بمعظم حالات عدم الاستقرار الاجتماعى مثل الحروب القبلية والحروب الأهلية وانتشار الجريمة والعنف ومظاهر التطرف والإرهاب ...الخ. **إن الذين يحرمون من مزايا المجتمع الحديث يرفضون أسس عدالته ويتجاهلون قوانينه وتنمو لديهم عوامل عدم الاستقرار التى قد تهدد الطبقات الغنية بل والمجتمع كله**، وعلى ذلك فإنه لايمكن ضمان الاستقرار السياسى والسلام الاجتماعى دون وجود تنمية حقيقية مصحوبة بخلق فرص عمل تكفى لاستيعاب الطاقات البشرية المعطلة أو التى تدخل سوق العمل لأول مرة. إن ذلك الاستقرار يستوجب حدا أدنى من التوازن الدقيق فى معادلة أحد أطرافها الديمقراطية

والسلام والغذاء وفرص عمل للجميع، وفى الطرف الآخر مشكلة السكان والبطالة والفقر والجوع والعنف بكافة أشكاله ودرجاته وتدهور البيئة.

ومن المنظور الإسلامى فإن سبب المشكلة الاقتصادية والتنموية يرجع إلى مايأتى: هذه إضافة من الأستاذ الدكتور محمود مهنى عميد كلية أصول الدين بجامعة الأزهر فرع أسيوط، والذى تفضل بمراجعة محتويات هذا الكتاب.

١ـ القصور فى استثمار الموارد التى سخرها الله تعالى لنا، فالأرض خصبة والماء موجود والعمالة والخامات متوافرة بكثرة ـ وكل ذلك فى حاجة إلى تخطيط وعمل دائب لايكل ولا يفتر، وقديما كان العمل سيد الموقف حيث يقول على رضى الله عنه:

تحمل الصخر من قمم الجبال　　　أحب إلى من منن الرجال

يقول الناس لى فى الكسب عار　　　فقلت العار فى ذل السؤال

٢ـ سوء توزيع الدخل بين الأفر... والطبقات وهذا ما نراه واضحا جليا فى المجتمعات النامية.

٣ـ إن قضية التنمية الاقتصادية ...ت قضية اقتصاد فقط، وإنما هى قضية عقيدة وثقافة وأخلاق واجتماع، ولابد لإطلاقها واستمرارها من توافر المحيط الملائم لها، إذْ بغير ذلك لا يمكن أن نتصو... الفرد انطلاقا، وللمـ...ـع تقدما على درب التنمية المضنى الطويل.

الفصل الثانى

الانتمـــاء والتنميـــة

الفصل الثاني: الانتمـــــاء والتنميـــــة

ملخـــص

إن الانتماء يعني رغبة أي شخص في التوحد مع شخص آخر أو جماعة أو عقيدة أو زمان أو مكان، والانتماء رغبة إنسانية إذا لم تنمُ وتتطور لدى الفرد فقد ينمو بدلا منها شعور بالاغتراب أو عدم الانتماء ـ وحتى تنمو رغبة الانتماء فلا بد من وجود تنمية شاملة في المجتمع لإمكانية الوفاء باحتياجات الفرد المادية والأمنية والاجتماعية والنفسية. كما أن الانتماء يحفز على العطاء ويساعد على دفع عجلة التنمية وتتناسب مقدرة العطاء مع عمق قيمة الانتماء، وعليه فيميل بعضنا إلى القول بأن ***حب الوطن فريضة والانتماء إليه واجب.*** *وتحض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة على الانتماء للوطن والتعبير عن هذا الانتماء في صورة عمل يخدم الفرد والمجتمع، وبذلك تكون ثقافة المجتمع هي السلام الاجتماعي بكل أبعادها. وهناك مراحل مختلفة لتطور ونضج عقيدة الانتماء أولاها: مرحلة الانتماء البيولوجي للأم، ثم الانتماء النفسي والاجتماعي للوالدين والأقرباء والأصدقاء، ثم الانتماء الأشمل وهو للوطن ويسمى بالانتماء القومي. والانتماء القومي هو أحد دعامات الأمن القومي التي تؤثر بطريقة مباشرة وغير مباشرة على مصلحة البلاد والأجيال المقبلة، وعليه فيجب أن تولي عقيدة الانتماء اهتماما بالغا من المسئولين وكذلك قيادات المؤسسات الاجتماعية والتعليمية ووسائل الثقافة والإعلام.*

مقدمـــة

إن عصر المعلومات وتكنولوجيا الاتصالات قد حول العالم إلى قرية صغيرة

تربطها شبكة إليكترونية وتحدد حركتها مجموعة من القوى والهياكل العالمية. إن نظام العولمة أو الكوكبة الجديد يُقبل على تحولات عالمية سريعة فى كل الأحيان ومفاجئة فى كثير منها، وهذه التحولات تديرها هياكل متعددة إلى متعدية الجنسيات وكلها تتمركز على قوى تلعب المعلومات وتكنولوجيا الاتصالات والتكنولوجيا السياسية أخطر أدوارها. وحينما نحاول التدقيق فى ما يتم فى منطقة الشرق الأوسط، كذلك ما حدث فى منظومة الدول الشيوعية وبعض دول أفريقيا وآسيا، نجد أن معظم التحولات العالمية تديرها قوى متعددة الجنسيات بطريقة قد تجعل من مناطق الصراع مناطق نفوذ جديدة لا لمصلحة دول أخرى، ولكن لمصلحة شركات قد تأخذ من بعض هذه الدول مكانا لإدارة أعمالها خارج وداخل البلاد وغالبا ما تتعدد جنسياتها وقد تفقد فى النهاية هويتها.

إن التغيرات التى يشهدها العالم، وكما قال توفلر فى كتابه الأخير تحول السلطة "Power Shift" ليست تحولات فوضوية ولا تحدث وليدة الصدف، ولكنها مخططة تخطيطا استراتيجيا وتشغيليا، وحتى يمكن مجابهة هذه التغيرات فلا بد من فهم دقيق لهذه التحولات والتعرف التحليلى على القوى والهياكل التى تحدد مسارها واتجاه حركتها، وذلك يستوجب التركيز على التعلم بصفة أساسية كذلك التعددية فى ظل مناخ ديمقراطى يتحول فيه الإنسان من مشاهد إلى مشارك وتتحول فيه القيادة إلى شرف تمنحه القاعدة دون تسلط أو تعالٍ وتتحول فيه السياسة من فن التلفيق إلى فن التوفيق، وفى ظل هذا المناخ تنمو عقيدة الانتماء، التى وإن تزاوجت مع المهارات العالية والصفات الحميدة أصبحت التنمية الشاملة والموصولة مسألة وقت لا أكثر، وأصبحت مسألة حماية الوطن من شرور التحولات العالمية مسألة تفكير وتخطيط وتنظيم، وأصبحت الاستفادة من النظام العالمى الجديد مسألة يلعب فيها رأس المال الذهنى والفكرى والقيمة المضافة والوقت أهم عناصر المنافسة. وحتى تتم الاستفادة

الكاملة من الموارد البشرية فلا بد من عقيدة انتماء تحولها إلى رأس مال اجتماعي وطاقة مجتمعية. والانتماء وهو موضوع هذا الفصل يبدأ من انتماء الإنسان لذاته والتعرف عليها والتوحد معها إلى انتمائه للأسرة والعقيدة والمدرسة والشارع والعمل والوطن والانتماء الوطني هو أعلى درجات الانتماء.

أبعاد الانتماء

إن الانتماء مضمون يصعب وضعه في قوالب التعريفات المحددة والمحدودة، وحيث إن معنى الانتماء واسع فقد يكون الانتماء لشخص أو مجموعة أو مكان أو عقيدة، والانتماء يبدأ للأم التي تحمل ابنها وترضعه وتضمه للجانب الأيسر، حتى يسمع سيمفونية الحب من قلب نابض بالحنان الفطري والتواصل البيولوجي والوراثي فيكون الإحساس بالراحة والغبطة، وذلك هو **البعد البيولوجي** للانتماء الذي يأتي بعد **البعد الوراثي**، ومن ثَمَّ فإن البعد الوراثي يعني علاقة الأصل والدم والتكوين، والانتماء للوالد الذي يكد ويعرق ليحصل على لقمة العيش حتى يرضي رغبات الأبناء وحاجاتهم الضرورية من المأكل والمشرب والملبس والمأوى، فبذلك يحس الإنسان بانتمائه لبيت يسوده مناخ من المودة والرحمة، قد بدأ برحم الأم وامتد إلى رحمة الوالدين ورعايتهم لوليدهم وخوفهم عليه وحبهم له واهتمامهم باهتماماته وإيثاره على أنفسهم، وفي ذلك يقول أمير الشعراء أحمد شوقي مبينا عظمة رحمة الوالدين في مدحه للرسول صلى الله عليه وسلم:

فإذا رحمت فأنت أم أو أب　　　هذان في الدنيا هما الرحماء

ثم تأتي بعد ذلك مظلة الرحمة الإلهية ورحمة الله سبحانه وتعالى وسعت كل شيء، وإيمان الإنسان يجعله يبدأ رحلة نفسية وروحية للانتماء، ويبدأ البعد النفسي للانتماء عند الطفل ويمتد هذا البعد إلى الأقربين والأصدقاء ليكون بعداً ثالثا للانتماء

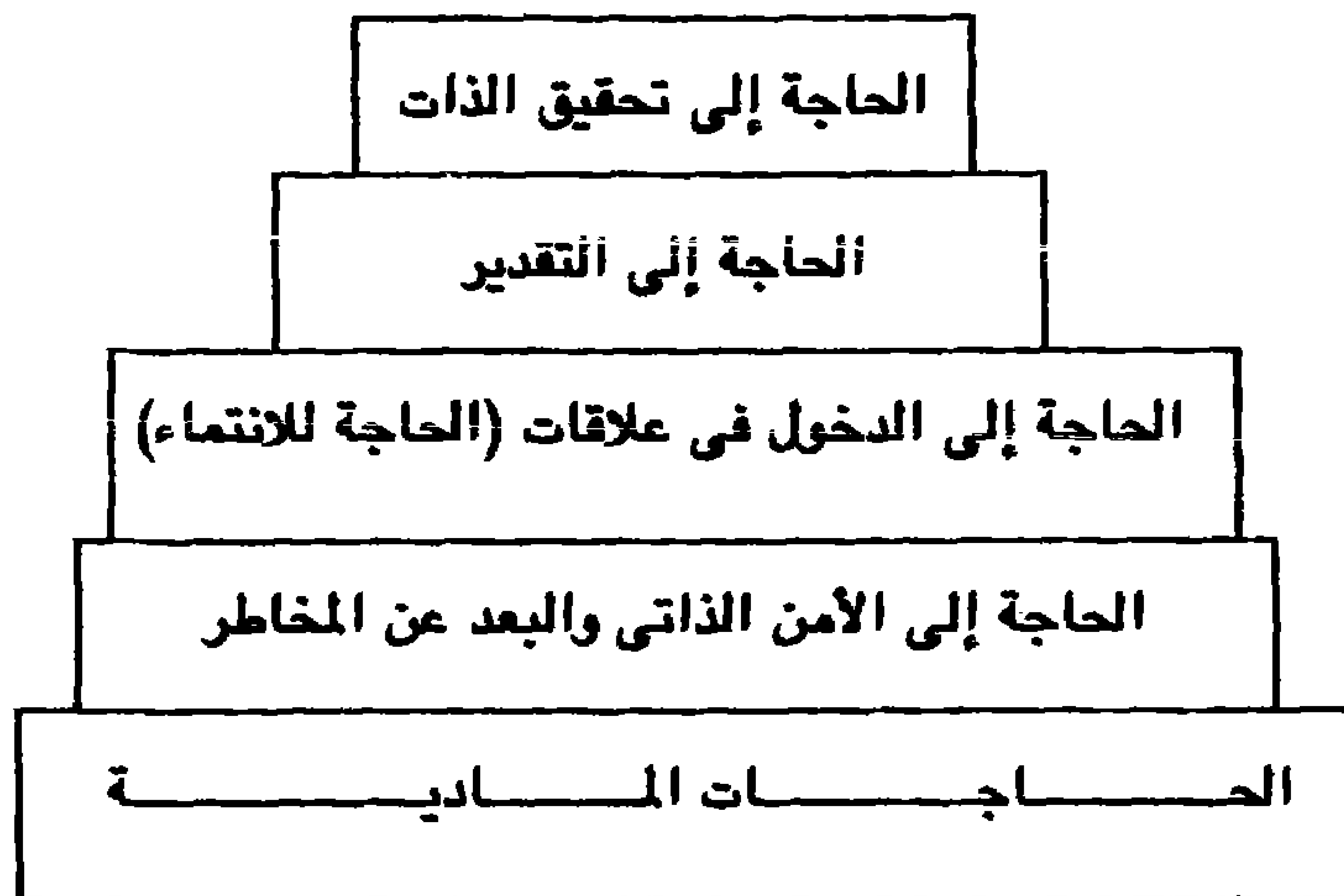
ألا وهو **البعد الاجتماعي**. والبعد الأخير هام جدا حيث هو المدخل إلى الانتماء الثقافي والقومي من خلال تجارب الانتماء الاجتماعي في الشارع والمدرسة والمسجد والكنيسة والجامعة، وفي كل ذلك ينمي البعد الاجتماعي من خلال **القيمة والقدوة والقيادة** فقيمة المكان والزمان والصحبة تعطي عمقا للانتماء سلبا وإيجابا، وذلك يتوقف على محصلة قوى الدفع الاجتماعي. فمدرس الفصل عليه مسئولية في تطوير عقيدة الانتماء لدى التلميذ، فإذا ما كان المدرس قدوة لتلاميذه وله من الصفات والمهارات ما يرفع من شأن مصداقيته انتمى التلميذ مع أستاذه، وتوحد معه في مادته وسلوكه، كما أن ذلك الأستاذ قد يتوحد مع المدرسة بروابط الانتماء إذا ما أحس بقيمته وقيمة علمه ومجهوده ورسالته من قبل المسئولين عن إدارة العملية التعليمية، وعليه فإن مناخ العملية التعليمية يعتبر أحد العوامل الهامة في تطوير عقيدة الانتماء لدى الطلاب والمعلمين.

إن القدوة والقدرة والقيادة إحدى عوامل بناء عقيدة الانتماء وتطويرها لدى الإنسان، فحينما يحس التلميذ في مدرسته والطالب في جامعته بانتمائه لأستاذه، وللمكان تنمو لديه مشاعر الإحساس بالذات ويجد أن هناك حاجة هامة للتعليم وبنفس درجة انتمائه وتوحده نجده يحاول العمل على تطو المعلومات إلى معرفة، والمعرفة إلى مهارات تخدمه وتخدم الآخرين من حوله، وهنا تتجه دفة الانتماء الاجتماعي توجها قوميا. وعلى أي حال فإنه كلما زاد عمر الشخص توجه الانتماء توجهات أعمق وأوسع، **ويمكن ـ مجازا ـ تعريف الانتماء على أنه رغبة التوحد مع الطرف الآخر سواء كان هذا الطرف مكانا أو زمانا أو إنسانا أو عقيدة أو فلسفة أو فكراً**، وعلى قدر هذه الرغبة يتحدد الاستعداد للعطاء. فالإنسان المنتمي إلى وطنه يعطي هذا الوطن على قدر انتمائه بدءاً من رفع الشعارات إلى التضحية بالدم، وكلنا يعلم نماذج الانتماء التي قدم فيها المنتمون أرواحهم هدية في سبيل تحرير أوطانهم من العبودية والاستعمار

والاحتلال. إن ثمار هذا العطاء يكون لكل من الشخص المنتمي ووطنه وذلك لأن الانتماء حاجة إنسانية، فالشخص المنتمي يشبع رغبة من رغباته الطبيعية وهي رغبة الانتماء، والوطن يستفيد من هذا العطاء في صوره المتعددة ويعمل على رفاهية الإنسان وخلق المناخ الثقافي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي الذي يشجع على نمو وتطوير عقيدة الانتماء القومي في صورها المتجددة والمتعددة بدءاً بالمنزل وانتهاءً بخدمة الوطن بعيداً عن الوطن وخدمة الأرض بعيداً عن الأرض. وهنا تتضح علاقة الانتماء بالتنمية.

الانتماء والتنمية

حتى يمكن إلقاء مزيدٍ من الضوء على هذه العلاقة المتبادلة بين الانتماء والتنمية، فإننا نستعين بهرم أو سلم مازالو (Maslow) لحاجات ورغبات الإنسان كما في الشكل رقم (١)، وهذا الهرم يشرح تطور حاجات الإنسان مع تطور مراحله العمرية والاجتماعية، كما أن هذا الهرم يوضح أهمية إشباع الحاجات الدنيا كمدخل للارتقاء إلى إشباع الحاجات العليا، حيث قد لا يستطيع الإنسان إشباع رغبة أعلى إشباعا راقيا بدون إشباع الرغبة الدنيا بنفس درجة الرقي أو أعلى، والمدقق لهذا الهرم يجد أن الانتماء والتنمية في علاقة عضوية ودائرية، فمثلا حتى يتم إشباع هذه الحاجات فلابد من تنمية شاملة في المجتمع، تُمكن الإنسان من الارتقاء في هذا الهرم حتى قمته، وإذا ما استطاع الإنسان إشباع حاجاته والارتقاء إلى قمة الهرم نضجت عقيدة الانتماء للوطن، وجاء العطاء راقيا وفي صور متعددة ذكرنا بعضها، وإذا ما كان المجتمع راقيا ناميا بأبعاد النمو الشمولية والتي تبدأ بالتنمية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية وتنتهي بتنمية الموارد البشرية، فإن الانتماء يتحول إلى عقيدة تمارس طقوسها بشكل منتظم، أو كلما دعت الحاجة إلى ذلك، وتصبح ثقافة الوطن هي ثقافة السلام الاجتماعي والانتماء.



شكل رقم (١). هرم مازالو للرغبات الإنسانية

النضج الشخصي وتطور الانتماء

إن المدقق لهرم مازالو يجد أن فى كل درجة من درجات الهرم تنمو لدى الإنسان درجة من درجات الانتماء وأيضا تمثل هذه الدرجات التسلسل الطبيعى فى نضج الإنسان من **الاعتمادية** إلى **الاستقلالية** ثم إلى **التفاعلية**، وفى المرحلة الأولى يعتمد الإنسان على غيره فى تحقيق الحاجات المادية والأمن الذاتى، وخلال مرحلة الاعتمادية تنمو لدى الإنسان درجة الانتماء للعائل أيا كان نوعه، وحينما تتطور لهذا الإنسان عادات الفعالية، فإنه ينتقل إلى مرحلة الاستقلالية، وفى هذه المرحلة تتسع أمامه الخيارات وتكون له مقدرة وحرية الاختيار وتنمو عنده الحاجة إلى الدخول فى علاقات عاطفية أو علاقات عمل، وحتى يمكن لهذا الإنسان الانتماء لهذه العلاقات فلابد من أن يكون مناخ العلاقات هو الثقة المتبادلة (Trust-Culture) والتى لا تأتى إلا من خلال توفر حد أدنى من المصداقية (Trustworthiness) بين أطراف الانتماء. والمصداقية تعتمد على المهارات والصفات ومن هذه المهارات والصفات نجد أن القدرة

والقدوة تلعبان دورا هاما فى تهيئة مناخ العلاقات بين الرؤساء والمرءوسين حتى يكون **الانتماء والإخلاص والوفاء** طابع هذه العلاقات فى شكلها العام، وذلك يلقى ضوءًا على أهمية دور القائد فى تطوير عقيدة الانتماء، فيجب أن يكون للقائد مصداقية حتى يكون قادرا على القيام بمهامه وأيضا حتى يكون قدوة للآخرين فينمى صفات القيادة لديهم ويصبح بذلك قائدا على قادة ـ ومن هنا فإن القائد الديمقراطى والتفاعلى هو القادر على تطوير عقيدة الانتماء فى عصر المعلومات وتكنولوجيا الاتصالات بعكس الحال أيام الموجة الزراعية وإلى حد ما الصناعية، وكذلك خلال سلسة تحرر الشعوب النامية من الاستعمار فقد كان القائد الرمزى هو الذى يطور عقيدة الانتماء، وذلك لأن هذا القائد كان يصل الشعب بوطنه من خلال معبر الانتماء وقدوة القيادة والتفانى فى حب الوطن.

ورغم أن ذلك مثل صارخ ويمثل قمة القيادة إلا أن القيادة فى أى موقع لها دور هام فى تنمية وتطوير عقيدة الانتماء فى بعض أبعادها، وعليه فإن عملية اختيار قيادات العمل الوطنى يجب أن تُولى اهتماما خاصا، لأن هذا الاختيار يؤثر على الأجيال المقبلة ليس فقط على المستوى المادى ولكن على المستوى البشرى، كذلك على إعداد الصف الثانى القادر على حمل مسئولية القيادة إذا ما استدعى الأمر ذلك. وقد يكون الانتماء ثمنا لعلاقات العمل ـ فالعلاقات التى تعتمد على ثقافة الثقة والاحترام المتبادل وقيمة الإنسان وأهمية دوره غالبا ما تحفز على نمو وتطور عقيدة الانتماء، أما ما دون ذلك من علاقات فله تأثير" سلبى" على عمق الانتماء، بل أنه يزعزع ويهدم الكيان الداخلى للبناء القيمى داخل الفرد.

إنه وبعد أن تتطور شخصية الإنسان من مرحلة الاعتمادية إلى مرحلة الاستقلالية وتنمو لدى الإنسان مقدرة حرية اختيار مجتمعه الصغير، مكانا وزمانا، وتظهر حينئذ ديناميكية الانتماء للجماعة والمكان، ويبدأ الإنسان مرحلة التفاعل وهى أعلى مراحل النضج الإنسانى، وفى مرحلة التفاعل يجب أن يتحلى الناس بمجموعة

من عادات الفعالية **أولها** المشاركة وتطبيق سياسة المكسب للجميع **وثانيها** الاستماع النشط **وثالثها** التعاون الابتكارى. وفى هذه المرحلة يبحث الإنسان عن إشباع رغبة التقدير وهى رغبة عاطفية كثيرا ما نحتاجها وقليلا ما نحصل عليها بالشكل المناسب وفى الوقت المناسب، وكذلك يبحث الإنسان عن إشباع رغبة تحقيق الذات. وتلك رغبة مرتبطة بمناخ الوفرة والتعددية، وعليه تلعب البطالة أخطر العوامل التى تؤثر على عقيدة الانتماء القومى تأثيرا سالباً. فعدم تحقيق الذات لدى الشباب المتعلم تجعلهم يحسون باليأس و**الاغتراب** والأخيرة هى عكس الانتماء. كما أن سوء معاملة المرؤوسين ونمط وسلوك القيادة الأوتوقراطية وارتفاع حدة أشكال الرقابة على العمل المؤسسى ومعاملة قوى العمل على أنها أدوات للإنتاج تجعل أسلوب "**الأنامالية**" يطغى على العمل المؤسسى، وتصبح الأنامالية عائقا من معوقات التنمية. ويعتبر هذا الأسلوب أحد أعراض عدم الانتماء أو الاغتراب. إن الأمية الثقافية والأمية السياسية التى تنتشر بين شباب العالم النامى تجعلهم كثيرا ما يميلون إلى الاغتراب عن المجتمع ومعاداة كل رموزه كاستجابة طبيعية لتسلط قياداته وسقمهم بالأنا المتضخمة. إن الاغتراب ظاهرة خطيرة وقد تكون ضريبة عالية الثمن لتجاوزات محدودة، فمثلا هل يُعقل أن يضحى طالب الجامعة بانتمائه لبلده نتيجة لسلوك فردى شاذ من أحد أساتذته؟ وهل يعقل أن يغترب الأستاذ عن المؤسسة الجامعية نتيجة تسلط رئيس القسم أو عميد الكلية أو رئيس الجامعة؟

إن بعض المحن القومية قد تخلق الفرص التى تختبر عقيدة الانتماء الكامنة لدى الشعوب والمثل على ذلك نصر أكتوبر العظيم فى عام ١٩٧٣، والذى كان انتصارُ الجندىِّ المصرى فيه تعبيرا قويا عن روح الانتماء للوطن بعد فترة عناء طويلة زادت على ست سنوات وهى فترة حرب الاستنزاف ما بين ١٩٦٧، ١٩٧٣، والتى كادت أن تدمر الشخصية المصرية حيث انتشرت ثقافة اليأس غير المقصودة والتى سميت

حينذاك **"حالة اللاحرب واللاسلم."** إن معظم الشباب الذين شاركوا فى جندية حرب ١٩٧٣ كانوا من الحاصلين على المؤهلات المتوسطة والعليا، الذين طال بهم العهد بعد تخرجهم دون الحصول على عائد العملية التعليمية، ولكنهم وفى الوقت المناسب ضربوا ضربتهم وأخرجوا الوطن من أزمة كان يمكن أن تقضى عليه وهى **أزمة الخوف من الخوف.**

فكر وثقافة الانتماء

إن الانتماء ثقافة لها مركز ثقل قد يتراوح ما بين المبادىء الفطرية إلى القيم المادية، وحينما يكون مركز الثقل هو المبادىء الفطرية الطبيعية أو مبادىء الأديان السماوية فإن **ثقافة الانتماء** للعقيدة والوطن تكون هى الغالبة أما إذا كان مركز الثقل هو قيم شخصية لا تتوازى، بل تتعارض، مع المبادىء الفطرية والعقائدية فإن **ثقافة الاغتراب** والجحود قد تكون هى الغالبة على الشخص وتجعل منه جاسوسا لحساب الغير، أو رافضا لمصالح الوطن أو كافرا بقيم المجتمع أو متطرفا فى وسيلة توحده مع الآخرين. وإذا كان الشخص المغترب عقائديا واجتماعيا وثقافيا متطرفا ولم يجد سبيله للتوحد مع الآخرين أو توحد الآخرين معه فإن أسلوبه قد يتحول من أسلوب استغلال الآخرين طواعية إلى أسلوب إرهابهم وإجبارهم على قبول فكر التطرف ودعم أجندته الخفية، وهنا يتحول التطرف الفكرى إلى سلوك إرهابى قد تكون التصفية الجسدية الموجهة أو العشوائية أحد أساليبه.

الإسلام وقضية الانتماء

والإسلام جعل من قضية الانتماء قضية إيمان وحياة لايكتمل الإيمان إلا بها ولا تنهض حياة الأمة إلا عليها، وعليه فإن حب **الوطن فريضة والانتماء إليه واجب.** ولقد ضرب لنا **رسول الله صلى الله عليه وسلم** مثلا رائعا للانتماء حينما هاجر من مكة إلى

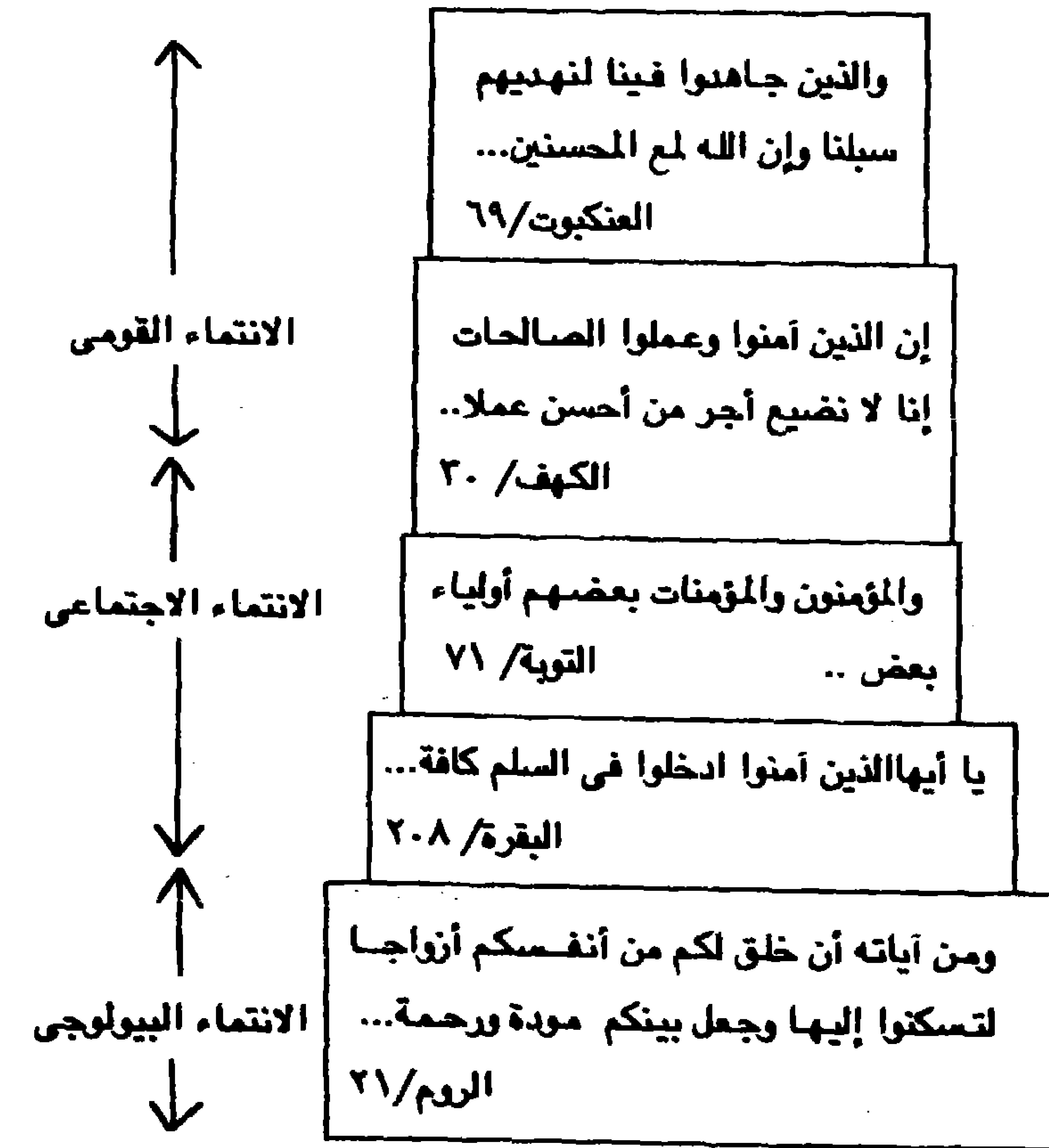
المدينة وناجى مكة قائلا "**والله إنى لأخرج منك وإنى لأعلم أنك أحب بلاد الله إلى الله وأحب بلاد الله إلى ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت**". ثم بعد ذلك ذهب إلى المدينة وأحب أن ينسى عقيدة انتمائه إليها، ودعا الله سبحانه وتعالى أن يساعده على ذلك فناجى ربه قائلا: "**اللهم إنك أخرجتنى من أحب البلاد إلى فاسكنى أحب البلاد إليك**" **ثم قال عليه الصلاة والسلام "اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة أو أشد" وتتويجا لكل ذلك يقول الله سبحانه وتعالى فى الآية ٩ من سورة الحشر "والذين تبوءو الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون.."**

كذلك فإن انعكاس الانتماء على التنمية يجسدها القرآن فى كثير من المواقع وكذلك مختلف الأحاديث النبوية فمثلا يقول الله تعالى فى الآيات التاسعة والعاشرة من سورة الجمعة حاضاً على العمل الجاد وهو أحد صور التعبير عن الانتماء للمجتمع: "**يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون." ثم يأتى الرسول عليه الصلاة والسلام مؤكداً على تعاليم السماء فى أحاديثه النبوية الشريفة حيث يقول: "ما من مسلم يزرع زرعا أو يغرس غرسا فيأكل منه طير أو [illegible] أو إنسان إلا كان له به صدقة" ويقول أيضا: "إذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة واستطاع أن يغرسها فليفعل."**

وفى نهاية هذا الفصل نود أن نقول إن الله سبحانه وتعالى قد خلقنا من نفس واحدة وجعلنا شعوبا وقبائل لنتعارف ونتعاون لمصلحة البشرية وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى فى الآية ١٣ من سورة الحجرات: "**يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر**

وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكركم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير."

كذلك قد حث الإسلام والشرائع السماوية التى جاءت قبله على الانتماء للوطن مع عدم الاعتداء على حقوق الجوار وحقوق الغير ولنعود إلى هرم مازلو، بعد أن نستبدل به هرما آخر تصنعه آيات الله سبحانه وتعالى التى تقنن عقيدة الانتماء، ويمكن وضع هذا الهرم فى الشكل رقم (٢):



شكل رقم (٢). هرم يوضح بعض الآيات القرآنية التى تجعل من الانتماء عقيدة تتطور من الانتماء البيولوجى إلى كافة أشكال الانتماء الاجتماعى والقومى.

الفصل الثالث

أمــى وكلمــة لابد منها
وحوار مع إبنتى

الفصل الثالث: أمي وكلمة لابد منها وحوار مع إبنتي

لقد ترددت كثيرا قبل أن أنشر محتويات هذا الكتاب خاصة موضوع التطرف وكان ترددى مبعثه نصائح بعض الزملاء المخلصين، الذين يعرفون ـ كما أعرف ـ أنه وللأسف أصبح تفنيد فكر التطرف الفكرى والتعصب الدينى والعنف والإرهاب عملاً يذكر فلا يشكر، فى حين أن هذه الكلمات بغيضة فى معاجم اللغة وقاموس الأديان، ونحن إذ نتعرض لهذا الفكر بالبحث والدراسة فإننا نركز على الظاهرة دون التركيز على الأشخاص حتى تصبح الدراسة موضوعية المضمون والشكل. إلا أننى آثرت أن أكتب وأشارك القارىء الكريم خلاصة أفكارى التى أتيحت لى فرصة بلورتها لتكون تعبيرا عما يجول بأذهان القاعدة العريضة من أبناء هذا الشعب العظيم. إننا فى دراستنا لهذا المضمون لا نتعرض للديانات السماوية من قريب أو بعيد فكلها من عند الله وحاشى لله أن نتعرض لها أو نوصمها بالأفكار الشاذة والسلوكيات المريضة، كما أننا حينما نتعرض لدراسة ظاهرة التطرف الدينى واستخدام الدين بهدف أعمال العنف السياسى أو المقاومة السياسية، فإننا ننظر إلى الظاهرة وكل توابعها من منظور المسلم المؤمن بالله وكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر، ومن منظور المسلم تطل نافذة أخرى وهى نافذة مصر التى وجدت قبل وبعد الأديان المعروفة، وعليه فمصر للمصريين جميعا على اختلاف عقائدهم وألوانهم وأجناسهم وأعراقهم وذلك كما جاء فى المادة ٤٠ من دستور ١٩٧١ والتى تنص على أن "**المصريين لدى القانون سواء، وهم متساوون فى الحقوق والواجبات العامة، لا تمييز بينهم فى ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة**". وليست هذه المادة إلا صياغة بشرية لمبدأ سماوى أعم وأشمل حيث يقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم (**سورة الحجرات الآية ١٣**):

بسم الله الرحمن الرحيم

"يا أيها الناس إنا خلقنكم من ذكر وأنثى وجعلنكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقكم إن الله عليم خبير" **صدق الله العظيم**

وأيضا كما يقول من لم ينطق عن الهوى رسول الإنسانية محمد ابن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام **"الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى"**. والمدقق لكل من الآية الكريمة والحديث الشريف يرى أن المخاطبة كانت "للناس" ولن نعلق أكثر من ذلك فكل لبيب بالاشارة يفهم.

هذه كلمة لا بد منها ودعوة لاستخدام العقل والضمير للسيطرة على عواطف قد تكون مكنوبة وتنقصها الفطرة التى فطرنا الله عليها ... إلى أبنائى وإخوانى وأخواتى الذين زاغت قلوبهم فباعوا الغالى بالرخيص أرجو قراءة هذه الكلمات بسيمفونية الخالق العظيم: "العين – العقل – القلب – الضمير" حتى ترتفع البصيرة فوق البصر، والإرادة فوق الإدارة. والله سبحانه وتعالى نسأل أن يلهمنا الصواب ويجنبنا الظلمات ويبعثنا من جديد حتى تكون مصر كما كانت وكما ينبغى لها أن تكون. إن مصر تحتاج أكثر ما تحتاج لأن تتكاتف جهود أبنائها حتى تستطيع أن تعيش تحديات القرن الحادى والعشرين التى تأتى رياحها حارة قائظة غبراء تستوجب الإعداد والعيش فى سلام مع عدم استنزاف ثرواتنا المادية والبشرية في عمليات غير استثمارية، ولعل الحروب هى أخطر هذه العمليات. علينا فى مصر قلب الأمة العربية وصمام أمانها أن ندعم السلام مهما يقول الآخرون ففى السلام يمكن عمل تنمية شاملة للإنسان وبالإنسان. علينا أن نعلم أولادنا أن الإسلام والمسيحية واليهودية كلها جاءت من عند واحد أحد أراد لخليقته أن يعيشوا فى سلام فكانت تعاليمه واضحة بينة ولعل أصدق مثل على ذلك هو ما جاء فى سيرة خاتم النبيّين محمد عليه الصلاة والسلام. إن النبى

صلى الله عليه وسلم وادع اليهود فى المدينة وإليك أهم بنود هذه الوثيقة التاريخية حتى يعلم الجميع أنه لا إرهاب فى الإسلام ولا تعصب:

١ ـ وحدة الأمة الإسلامية من غير تفرقة بينها.

٢ ـ تكاتف الأمة وتعاونها على البر والتقوى دون الظلم والعدوان.

٣ ـ اشتراك الأمة فى تقرير العلاقات مع أعدائها.

٤ ـ تساوى أبناء الأمة فى الحقوق والكرامة.

٥ ـ تأسيس المجتمع على أحسن النظم وأهدافها وأقوامها.

٦ ـ مكافحة الخارجين على الدولة ونظامها العام ووجوب الامتناع عن نصرتهم.

٧ ـ حماية من أراد العيش مع المسلمين مسالما متعاونا، والامتناع عن ظلمهم والبغى عليهم.

٨ ـ لغير المسلمين دينهم وأموالهم، لا يجبرون على دين المسلمين ولاتؤخذ منهم أموالهم.

٩ ـ على غير المسلمين أن يسهموا فى نفقات الدولة كما يسهم المسلمون.

١٠ـ على غير المسلمين أن يتعاونوا معهم لدرء الخطر عن كيان الدولة ضد كل عدوان.

١١ـ وعليهم أن يشتركوا فى نفقات القتال مادامت الدولة فى حالة حرب.

١٢ـ على الدولة أن تنصر من يظلم منهم كما تنصر المسلم تماما.

١٣ـ إذا كانت مصلحة الأمة فى الصلح وجب على المسلمين وغيرهم قبول الصلح.

١٤ـ لا يؤخذ إنسان بذنب غيره.

١٥ـ حرية الانتقال داخل الدولة وخارجها مصونة للجميع بحماية الدولة.

١٦ـ لا حماية لآثم ولا لظالم.

"انظر كتاب السيرة النبوية للدكتور مصطفى السباعى." والبنود السابقة جاءت إضافة من الأستاذ الدكتور محمود مهنى عميد كلية أصول الدين بجامعة الأزهر فرع أسيوط.

أمى ونموذج من الانتماء

كانت أمى دائما تقول لى "يا بنى كن شكورا لله والوطن" وفى قرية فقيرة فى مصر الوسطى وضع الناس من عمرى وعمرها هذا الشكر والعرفان فى قالب المفروض والواجب. حينما كنت صغيرا لم أعرف مصدر هذه الحكمة التى عشت وأعيش عليها إلى أن أفارق الوطن لألقى ربى، ولكننى الآن أعلم أن تلك هى الفطرة التى خلقنا الله عليها "الشكر والحمد لله والعرفان بالجميل للوطن، الذى شكل بيئة هذا الشكر وذلك الحمد" لقد علمت أن مصدر هذه الحكمة تعاليم السماء التى جاءت فى كتب الأديان السماوية جميعها – الحب لله والناس والوطن. جاءت هذه التعاليم لتؤكد على نفس الفطرة التى فطرنا الله عليها.

حينما يتعرف الإنسان على مصدر الشكر والحمد والحب والعرفان يتعجب من ضياع حكمة والدتى فى عقول وقلوب بعض تابعى هذه الديانات (مسلمين ومسحيين ويهود) وغيرهم ممن نسجت فى خلاياهم هذه الفطرة، وجاءت تعاليم السماء لتؤكدها وتحفز على ممارسة مردوداتها. نـ ـجب، ويجب أن نفعل ذلك، حينما نرى أن بعض هؤلاء يوجهون سهام الغدر ـ بدلا من آيات الشكر ـ إلى نحور بلادهم ويلقون الرعب فى قلوب بنى عشيرتهم بنى الإنسان، ذلك إما فـ سورة خيانات تهدد الأمن القومى أو فى صورة إرهاب يهدد الأمن الداخلى. اقد اتضح لى أن حكمة والدتى جاءت صدى لمبادئ الإسلام على عقل بسيط فطره الله وصـ ـه المجتمع والوطن. ولم ـ ن أمى خريجة إحدى مدارس الأزهر المتخصصة أو كليا اللاهوت، ولكنها كانت تلميذة فى مدرسة مصر المؤمنة بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر. لقد كانت ثقافة هذه المدرسة هى الفطرة التى حاك نسيجها فى ضمير الأمة خالق الأمة البشرية. لقد ضاعت الفطرة الإنسانية بعوامل الجهل والفقر والأنانية والاستغلال السياسى فأصبح بعض الناس تحكمهم فطرة الجبن والظلام والانتقام فى ثوب الإسلام مرة والمسيحية مرة أخرى واليهودية

مرة ثالثة والبقية تأتى، فهل أعددنا العدة لذلك اليوم؟ نتعجب أحيانا، ولنا فى ذلك الحق، كيف يهدم الإنسان بيتا يعيش فيه مع غيره إلا إذا كان فى هذا الهدم مصلحة شخصية على حساب مصالح الآخرين. ماذا فعل الآخرون إذن؟ سؤال يجب أن نسأله لأنفسنا فى كل لحظة ويأتى السؤال فى صورة يسيرة، وهو كيف نحمى بيوتنا من المخدرات الفكرية والتخريب العقلى والتخريب المادى الذى لحق بلادنا فى الآونة الأخيرة؟ كيف نحمي بني البشر من غدر هؤلاء المخربين، الذين تبرر غايتهم وسيلتهم فتكون الأخيرة استخداما للدين وقتلا للأبرياء وصولا إلى غاية أرخص وهى السلطة أو المال أو الجاه على حساب الآخرين وبدونما أى اعتبار لمبادئ هذه الأديان التى حرمت قتل النفس البشرية. إن النفس البشرية هبة من الخالق، وفى قتلها تحدٍ لقدرة هذا الخالق وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم **الآية ٣٢ سورة المائدة:**

بسم الله الرحمن الرحيم

"من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك فى الأرض لمسرفون" صدق الله العظيم

أسئلة تبحث عن إجابة

ماذا حدث لهؤلاء؟ هل اختلفت أمهاتهم عن أمى وأساتذتهم عن أساتذتى وبيئتهم عن بيئتى؟ أم نحن مقبلون على عصر جديد يسمح لثقافات جديدة تُقتل فيها الفضيلة وتحجب العقل عن الإيمان بالبديهيات وتجادل بالكلمات دون المضمون؟ كيف تُرك لهؤلاء أن يستخدموا دين الله وسنة رسله فى نسج بيئة جديدة حل التطرف فيها محل الوسطية والعنف محل الرحمة والإرهاب محل الإطمئنان؟ وكيف ذلك والله تعالى يقول **"ألا بذكر الله تطمئن القلوب"** وكيف يكون الإطمئنان حينما يُقتل الأبرياء من المواطنين والأغراب العزل الذين لا حول لهم ولا قوة؟ وكيف نذكر الله تحت إرهاب القتل

والبطش الجبان الذى يقتل وغايته من القتل تتعدى الموت لواحد أو اثنين؟ إن الغاية من القتل هى نشر الرعب بين الأحياء، فهلا أفقنا إلى كيف يمكن أن يكون مصيرنا إذا ما وقفنا مكتوفى الأيدى أمام موجات التطرف الدخيلة على ثقافة الإسلام وثقافة الشعب المصرى؟

كيف سمح هؤلاء لأنفسهم بالانتساب لدين قد شوهوه فى أذهان البشر فقيس الدين بسلوكهم الشاذ دون الاستناد إلى مرجعيته الأصيلة (الكتاب والسنة فى حالة الدين الإسلامى). لقد جاء الإسلام ليصوغ علاقات البشر على أساس من الاحترام المتبادل والحب (حب الله، حب الآخرين، حب الحياة) وخدمة الوطن حيث إن الوطن هو مجموع المواطنين وبدون المواطنين يصبح الوطن فراغاً بلا معنى. إذن تأتى قدسية الوطن من قدسية المواطن الذى كرمه الله سبحانه وتعالى حينما قال فى **الآية ٧٠ سورة الإسراء**: **بسم الله الرحمن الرحيم**

"ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً" صدق الله العظيم

إن المتطرفين ليسوا فى حاجة إلى قوانين جديدة للتصدى لهم بقدر احتياجهم إلى علاج فى أيدينا جميعا (مواطنين وحكومة). يجب أن يشهد نهاية هذا العقد تعاوناً بناءً بين الشعب والحكومة وذلك لمطاردة الإرهاب وضربه فى مقتل من المحافظة على شبابنا من المخدرات الفكرية التى أصبحت شائعة وتقدم له فى وجبات شهية بقصد وبدون قصد على موائد وسائل الإعلام وفى دور العبادة والمدارس والجامعات والنوادى الرياضية والاجتماعية . . الخ. كما يجب تنشئة شبابنا على ثقافة الاعتدال والوسطية، وفطرة الله التى وهبها لبنى البشر حتى وإن لم ينتموا إلى عقيدة بعينها. يجب أن ننظر جميعا للإرهاب على أنه عرض لمرض خطير ألا وهو التطرف، وقد يتحول هذا

المرض إلى سرطان حينما تتسع دائرة هذا التطرف خارج الحدود الشخصية وتتعداها إلى فرض فكر الأقلية على الأغلبية وحرمانها من حرياتها، وأهم هذه الحريات حرية العقيدة والاعتقاد وهناك فارق بينهما. إن ثقافة الوسطية تتطلب أن يستطيع كل منا الإجابة على الأسئلة التى وردت وكلها أسئلة بسيطة حيث إن مصدر الإجابة عليها هو الفطرة، وقد خُلقنا جميعاً على الفطرة مسلمين وغير مسلمين. فوق كل ذلك فلنتساءل: لِمَ لا أكون أكثر انتماءً لوطنى الذى أتاح لى فرصة لم تُتَحْ لوالدتى سواء كان ذلك فى التعليم أو المعيشة وتحقيق الذات؟ أجيبوا على هذا السؤال قبل استكمال قراءة هذا الكتاب، فقد تغنيكم الإجابة عن القراءة، وقد تجعلكم تعاودون القراءة من جديد.

حوار مع إبنتى

وفى حوار مع إبنتى بعد حادث الأقصر الإرهابى الغاشم فى السابع عشر من شهر نوفمبر عام ١٩٩٧م قررنا التفكر والتدبر فى ما يحدث بأسلوب غير نمطى لا تسجنه قوالب الماضى. وكانت نتيجة هذا التفكير بعض الكتابات فى الصحف والمجلات، إلا أن أهم كل هذه الكتابات هو ما نشر تحت عنوان "**التطرف والوصايا العشر**"، ونرى أنه من المفيد أن نعيد نشر هذه الوصايا على صفحات هذا الكتاب.

أولاً: ليس الإرهاب هو المرض الحقيقى الذى نعانى منه، ولكنه التطرف الفكرى الذى أصبح يهدد ثقافة المجتمع - وعليه فإن الإرهاب عرض سلوكى لمرض فكرى. ولانقلل بذلك من أهمية العرض، ولكننا نؤكد على خطورة المرض.

ثانياً: إن التطرف الدينى هو أحد أشكال التطرف الفكرى المتعددة والتى ترتبط ببعضها فى حلقات من الاضطراب النفسى والتوتر العصبى.

ثالثاً: تتحول ثقافة التطرف الفكرى إلى خطر حقيقى حينما تصطدم أفكار التطرف والاعتلال بمنهج الوسطية والاعتدال فى ثقافة المجتمع.

رابعاً: يتسبب تصادم ثقافة التطرف وثقافة المجتمع إلى تحول فى كيمياء مشاعر

المتطرفين يصحبه اضطرابات نفسية حادة وسلوكيات مريضة.

خامساً: حينما يتحول التطرف الفكرى ـ وهو مرض عقلى ـ إلى مرض نفسى، يفقد الإنسان سيطرته على ذاته فينعزل عن المجتمع، وقد يقوم بأعمال تهدد استقرار بلده، وذلك نموذج لحال مرتكبى حادث الأقصر.

سادساً: كل ما سبق يدل على أن التطرف الفكرى يقود إلى الاضطرابات النفسية التى يمكن أن تشكل استعداد الإنسان لممارسة سلوكاً إرهابياً.

سابعاً: غير المضطربين لا يعرفون كيف يكون الاضطراب والمضطربون لا يعرفون أنهم كذلك، وتأتى خطورة هذه الفلسفة فى محورين: **المحور الأول** هو سهولة استغلال المتطرفين من قبل أعداء الدولة، إلا أن ذلك يحتاج إلى مختصين لاكتشاف هذه العناصر وآخرين لتدريبها على أعمال العنف والإرهاب. **والمحور الثانى** هو أن مواجهة هذه الظواهر تتطلب أن تكون علاجية لمرضى التطرف الفكرى، ووقائية لأفراد المجتمع ـ خاصة الشباب ـ وعقابية صارمة لمرتكبى حوادث الإرهاب والمسئولين عن تجنيدهم أو تهيئة مسارح عملياتهم.

ثامناً: التطرف "**الدينى**" ليس تطر[illegible] فى المعتقدات الدينية، لكنه تطرف فى معتقدات الإنسان حول معتقداته الدينية، وعليه فلا علاقة للدين ـ **أى دين** ـ بالتطرف والإرهاب.

تاسعاً: نظراً لأن التطرف "**الفكرى**" ليس قاصراً [illegible] تطرف المعتقدات الشخصية حول المعتقدات الدينية، فيجب أن يكون أسلوب المواجهة من خلال البحث عن فكر التطرف فى مساحة مشتركة بين علوم النفس والاجتماع والسياسة والدين.

عاشراً: إن المنهج العلمى هو أفضل أساليب مجادلة فكر ومعتقدات التطرف فى كافة أشكاله. وهو منهج إيمانى يؤكد على أن السلام الاجتماعى مبدأ سماوى يستمد روافده من الإيمان بوحدة الخالق، فكلنا من صنع إله واحد مهما تغيرت ألواننا أو أجناسنا أو معتقداتنا.

الفصل الرابع

الصحوات الدينية وبانوراما العنف

الفصل الرابع: الصحوات الدينية وبانوراما العنف

ملخص

هناك اتجاه لرجوع نسبة كبيرة من سكان العالم إلى دينهم أو ديانات أخرى إما بالمضمون والشكل أو بالشكل فقط، ويطلق على هذا الاتجاه مصطلح الصحوات الدينية، ولكن التناقض الغريب هو أنه برغم انتشار الصحوات الدينية في العالم إلا أن الأمية الدينية قد تفشت، وقد يرجع سبب ذلك إلى أن الصحوات الدينية الموجودة يغلب عليها الأشكال والرموز ويقوم على إدارتها بعض القيادات غير المؤهلة والتى ترتدى عباءة الدين لأهداف اقتصادية أو سياسية. وحيث إن العالم يمر ببعض الأزمات السياسية والعسكرية والاقتصادية والإثنية، فإن قيادات هذه الصحوات قد يستغلون ظروف مجتمعاتهم ويسخرون نشاط هذه الصحوات الدينية للهجوم على رموز المجتمع فى إطار تصاعدى يبدأ بالتطرف والإرهاب الفكرى وينتهى أحيانا بالتصفية الجسدية لأهداف مباشرة أو غير مباشرة، مستهدفة أو عشوائية وذلك بهدف خلخلة الاستقرار العام ونشر الخوف والرعب بين أفراد المجتمع. وهنا نجد أن الصحوات الدينية الشكلية قد تتحول إلى تطرف فكرى وعنف قد يبدأ بالعنف اللفظى والإعلامى وينتهى بالتصفية الجسدية والحرب الأهلية. ولا تقتصر خطورة هذا النوع من الصحوات الدينية على المجتمع بل تتعداه إلى الصحوات الدينية الحقيقية، حيث قد يرفض العامة كل أشكال الصحوات الدينية دون تمييز وفى ذلك تتحول الصحوات الدينية الشكلية إلى أعداء للدين الذى ترتدى عباءته وذلك فى المدى البعيد.

مقدمـــة

إن الأديان السماوية جمعاء كانت ولا تزال مبعثا للحضارات الإنسانية، وقد جاءت كلها لتصحيح مسار البشرية من خلال تعاليم إلهية لا تقبل الخطأ ولا يوجد لدينا فيها أى شك. إلا أن تعاليم هذه الأديان كلها كانت مادة خصبة لبعض التفسيرات الشاذة أحيانا والمريضة أحيانا أخرى، كذلك تعرضت بعض هذه التعاليم إلى ذوبان المضمون فى الشكل مما قد استتبعه إهمال الأهداف الحقيقية لهذه التعاليم وتحول الدين إلى مجرد مطية يركبها بعضهم للوصول إلى أهداف شخصية غالبا ما تتعارض مع المبادىء الإرشادية وتعاليم الأديان السماوية. فمثلا على سبيل المثال يميل بعض الأفراد إلى تعليق الملصقات التى تدل على هويتهم الدينية ـ إسلامية كانت أو مسيحية ـ دون العمل بتعاليم الإسلام أو المسيحية كما أن بعضهم يعلق هذه الملصقات دون معرفته للقراءة والكتابة، ويكون الهدف من وراء هذه الملصقات إما الحصول على مكاسب مادية باسم الدين أو محاولة الاعتداء على مشاعر تابعى الديانات أو النِّحل أو الطوائف الأخرى. وللأسف جاءت بعض الصحوات الدينية فى فترات عانت فيها البشرية من كوارث اقتصادية وأزمات اجتماعية وثقافية وسياسية وعسكرية مما جعل بعض الأفراد أو الجماعات أو الحكومات أو الدول تستخدم الدين لتحقيق مكاسب، ولا يخفى على أحد استخدام هؤلاء للدين كأحد الأدوات السياسية مستغلين فى ذلك المظهر دون المضمون لكسب رضا المخلوق ناسين أن المضمون هو سبيل الوصول إلى رضا الخالق سبحانه وتعالى، وفى ذلك يركز الإسلام على المضمون فى أعلى درجاته كما جاء على لسان رسوله الكريم **"إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى"**. كل ذلك لا يجب أن يجرنا إلى تعميم الحكم بتجاهل المحتوى فى كل الصحوات الدينية، حيث إن هناك صحوات دينية حقيقية فيها عودة إلى طريق الحق والصواب ابتغاء مرضاة الله والعمل بتعاليم الإسلام، وهذه الصحوات يجب ترشيد حركتها والمحافظة عليها حتى لا تُستغل لمصلحة أصحاب الدين السياسى. والصحوات الدينية الحقيقية

لا تشكل أى خطورة على النسيج الاجتماعى والسلام القومى، كما أنها تشجع على تطوير قيم الولاء المؤسسى والانتماء القومى وتحفز على العمل الجاد مع إنكار الذات لصالح المجموع والمجتمع، وكلها عوامل دفع لعجلة التنمية وحسن استغلال رأس المال البشرى، وكما **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه."** **حديث شريف**

الصحوات الدينية والعنف العقائدى

إن الصحوات الدينية الزائفة والتى تركز على **الشكل دون المضمون** تفرض تخلف المجتمع عن ركب الحضارة وتقتل روح الابتكار والإبداع وتنادى بالأممية ولا تقبل التنوع والتعددية وخصوصيات مختلف الانتماءات، وكل ذلك فيه جمود وسجن لطاقات البشر الذين وصفهم الله سبحانه وتعالى بالتعددية كما جاء فى كتابه الكريم **الآية ١٣ سورة الحجرات: بسم الله الرحمن الرحيم**

"يا أيها الناس إنا خلقنكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير" صدق الله العظيم

وذلك يدل على أن الشكل لم يتغلب على المضمون ولكنه قد يخالفه ويتناقض معه.

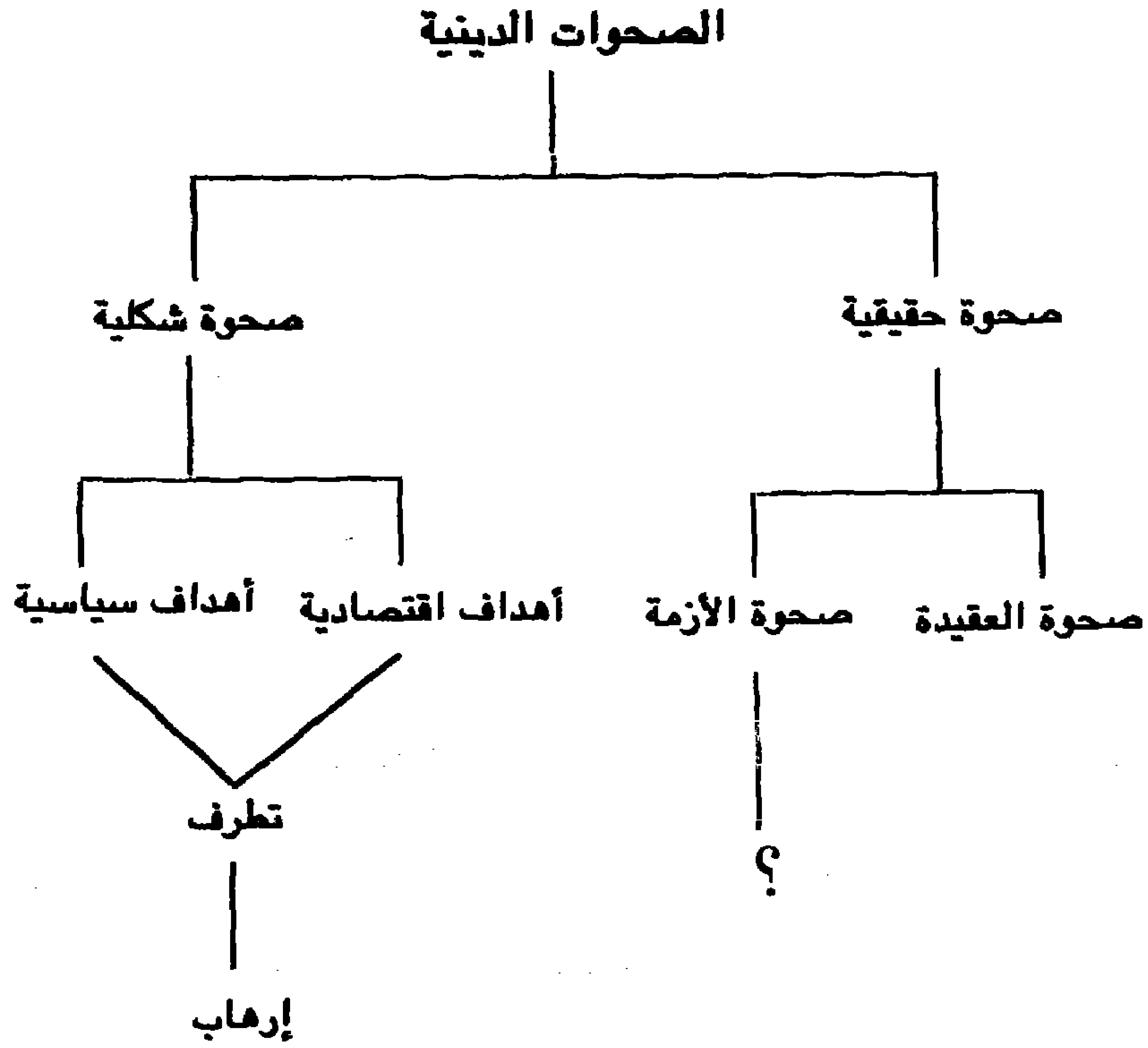
إن التركيز على الشكل ورفض مبدأ التعددية وحركات التبشير والإرساليات تعتبر من الأسباب التى دعت أتباع الطوائف محاولة الإعلان عن هويتهم الدينية فكثيرا ما تجد نساء المنطقة العربية يتحلين بالمصاحف والصلبان الذهبية (كل على حسب هويته الدينية)، بل قد يزداد الأمر إلى أكثر من ذلك من خلال الوشم وخلافه. كما أن التطرف فى مبدأ الأممية فوق الإنسانية يوجد نوعًا من الرفض والعنف ضد الأقليات التى لا تصطبغ بالعمومية، وكلنا يعلم حالات العنف التى ظهرت مؤخرا من المتطرفين المسيحيين ضد الأقليات المسلمة المهاجرة إلى دول أوربا وأمريكا، كذلك بعض أساليب

العنف التى تمارس ضد الأقليات المسيحية فى بعض الدول الإسلامية. ولا يقتصر استخدام الدين لإرساء فلسفة التطرف ولكن يمكن استخدام اللون والعرق .... إلخ.

مما سبق يمكن الوقوف على شكلين من أشكال الصحوات الدينية يختلط بعضها ببعض **أولاهما الصحوة الدينية الحقيقية** والتى تعنى عودة الناس إلى تعاليم دينهم، علما وعملا سرا وعلانية موضوعا وشكلا قولا وفعلا. كل ذلك يحمل فى طياته معنى الاستقامة (Integrity) فى عقل وقلب وسطاء هذه الصحوة، بالاضافة إلى أن الصحوة ذاتها قد تكون بداية لشرارة حضارية جديدة، أو إحياء لحضارة قد ولت أو محاولة لتصحيح سلم القيم المجتمعية واستبدل قيم إحلالية بها من المستودع الدينى.
أما **الشكل الثانى** من أشكال الصحوة الدينية فهو **الصحوة الشكلية**، والتى تعنى عودة الناس إلى الأشكال والرموز والتقاليد والممارسات التى إرتبط بعضها بالأديان لخدمة المضمون ثم انصهر المضمون فى محتوى شكلى، وضاعت الغاية فى زحام الوسيلة وأصبح الشكل هو دليل الإيمان بغض النظر عن العمل وما يحويه القلب ـ وبذلك تشذ هذه الصحوة عن روح الأديان فمثلا بالنسبة للدين الإسلامى يقول **الرسول عليه الصلاة والسلام: (الإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل).**

ويعجبنى فى هذا المجال تعريف قد سمعته فى إحدى محاضرات الأستاذ **جميل مطر**" وأحب أن أضع محتواه، مع بعض الإضافة البسيطة، بين يدى القارىء كتعريف للصحوة الدينية: **إن الصحوة الدينية هى أى زيادة كبيرة ـ غالبا مفاجئة ـ فى عدد الذين أصبحوا يفضلون التعبير علانية عن إيمانهم ويختارون ممارسات (موائد الرحمن مثلا) وأشكالا (الحجاب والجلباب واطلاق اللحية) متعددة للتعبير عن هذا الإيمان، كذلك زيادة الإيمان بالرموز والتقاليد المتصلة بالدين،** ويتضمن التعريف احتمال أن يكون جزء من هذه الزيادة الكبيرة والمفاجئة معبرا عن حالة أو أزمة

اجتماعية وهنا يجب أن ننوه أن ذلك ليس معناه أننا ضد هذه الأشكال والممارسات والرموز ولكن نحن ضد استخدام المظهر لإخفاء مضمون لا يتفق مع ذلك المظهر حيث إن في ذلك انفصام ونفاق وإزدواجية، وتفيد إحصاءات استطلاع الرأى في العالم أن الصحوة الدينية ليست قاصرة على المسلمين، ولكن هناك صحوات مسيحية ويهودية، بل أن هناك صحوة دينية مسيحية بين أقباط مصر وتنطبق عليها كل أشكال الصحوات الدينية فيما بين الصحوات الحقيقية والصحوات الشكلية. ورغم أن الصحوة الحقيقية يمكن أن تكون صحوة انتشرت للتغلب على أزمة مجتمعية **(صحوة الأزمة)** معنية، ولكن **الصحوة الشكلية** صحوة تهدف إلى استغلال هذه الأزمة ـ وقد لا يظهر هذا الاستغلال بشكل مباشر. ولكن قيادات هذه الصحوات غالبا ما يعملون من خلال أجندات خفية تختلف أهدافهم في ذلك عن أهداف القاعدة العريضة، التي تتمسك بأشكال هذه الصحوة وتحاول إعطاءها شرعية الصحوة الحقيقية. والشكل رقم (٣) يوضح بعض أشكال الصحوات الدينية، وأخطر هذه الصحوات على المجتمع هي الصحوات الشكلية التي تحركها عوامل الجهل والأمية الدينية وتدفعها أهداف اقتصادية وسياسية وتديرها أو تستغل حركتها بعض العناصر التي اغتربت عن جسم المجتمع لأسباب عديدة، وهذه الصحوات غالبا ما تتطور إلى بعض أشكال التطرف الفكري والعنف الاجتماعي.



شكل رقم (٣). بعض أشكال الصحوات الدينية التى قد يُستغل بعضها لأهداف سياسية أو اقتصادية تفرغ الشكل من المضمون وقد تؤدى إلى تطرف فكرى وإرهاب.

الإطار المؤسسى والصحوات الدينية

وهناك عوامل عديدة تشكل المناخ الذى تنتشر فيه الصحوات الشكلية واتساع ظاهرة تسخير الأديان لخدمة مصالح سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية لبعض الأفراد أو الجماعات أو الحكومات أو الدول. إلا أنه يجب التنويه على أن معظم الصحوات

الدينية قد تطورت فى مناخ سياسى تغيب عنه أو تغلب عليه دعاوى الديمقراطية إلى الحد الذى ترفض فيه التعددية وتعتبر التمسك بالخصوصية خيانة أو مؤامرة موجهة ضد الدولة. والمدقق للأنظمة السياسية فى دول الشرق الأوسط يجد أن الطابع الغالب فيها يفرض على شعوبه التوحد، متجاهلة أن التنوع هو القاعدة والتوحد هو الاستثناء - إن مناخ الديمقراطية الزائفة أو المنقوصة الذى يفرض انصهار كل الأفكار والعقائد والتوجهات فى بوتقة واحدة لا يزيد عن كونه تأميما لإرادة وفكر الشعوب ونظرية تأميم الفكر قد ثبت فشلها فى منظومة الدول التى كان يطلق عليها شيوعية - وحينما توضع الشعوب أمام هذا الخيار الصعب ينعزل فكر العامة عن المجتمع، ويطل على نافذة جديدة يلفظ من خلالها مبدأ **التوحد**، ويستعيض عنه بمبدأ **التوحيد**، وتلك بداية منطقية للصحوة الدينية التى قد تستغل لمصالح سياسية من جماعات الدين السياسى الذين ينشرون فكرهم على أنه البديل والمخرج من الأوضاع الراهنة، وللأسف فإن تفشى الأمية بأشكالها المختلفة بدءاً بالأمية الأبجدية وانتهاء بالأمية الدينية والأمية السياسية، يلعب دورا حيويا فى سرعة انتشار دائرة الصحوات الدينية الشكلية واتساع ظاهرة استغلال الصحوة وتسخير الأديان لخدمة أهداف سياسية. وحينما تتسع قاعدة الصحوة الدينية وتتبلور أشكال قياداتها (وغالبا ما يكون ضمن هذه القيادات أصحاب الدين السياسى) فإن بسطاء الصحوة الدينية يُقادون إلى موقف متطرف ومتشدد تجاه بعض القضايا المجتمعية والسياسية ويمكن للنظام القائم مهادنة ذلك التطرف بل واستخدامه لأهداف تكتيكية، مما يزيد من تشدد جماعات الدين السياسى والإعلان عن تحديهم للسلطات والتطاول عليها فى أوقات لاحقة، وبالطبع قد لا تقبل الدولة مثل هذا التحدى وتكون الاستجابة إما تجاهلاً مؤقتاً، أو محاسبة فورية محدودة يبدأ بعدها مسلسل تبادل العنف بين المتطرفين والأجهزة الأمنية وتتبلور ظاهرة العدائية التى تضاف إلى العدوانية وقد تتطور الأوضاع إلى حروب أهلية. وهنا يجب ألا نتصور أن الصحوات الدينية هى المصدر الوحيد لهذه الحروب، ولكن بعض الصحوات الأخرى -

العرقية مثلا - قد تؤدى إلى نفس النتيجة والدليل على ذلك ما يحدث فى جمهوريات ما كان يسمى بالاتحاد السوفيتى وكذلك يوغوسلافيا.

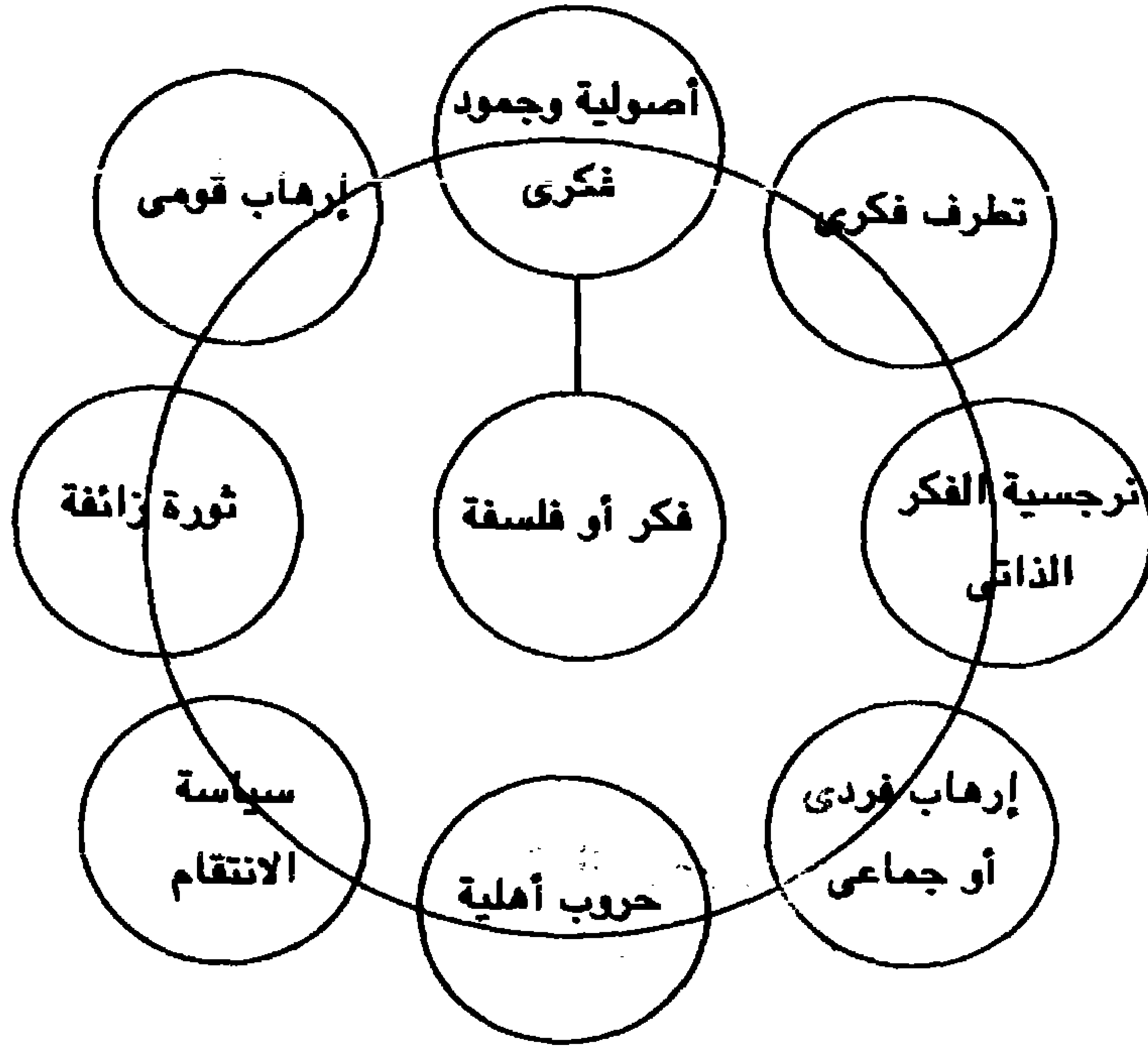
إن بعض الصحوات الدينية تعتبر روافد فى بانوراما العنف التى قد تستمر لسنوات عديدة وذلك كما حدث فى إيران وكما هو متوقع الحدوث فى الجزائر والسودان. إن أخطر أنواع الصحوات الدينية الشكلية هى **الصحوة المفعولة** والتى قد يلجأ إلى تفعيلها بعض أجهزة الدولة للوقوف ضد تيار آخر قد يكون مرفوض فكريا من العامة، وذلك لتعارضه مع مبادىء عقائدية. إن المثال على ذلك هو تمهيد المناخ فى الجامعات المصرية لانتشار الجماعات الإسلامية، وذلك بهدف الوقوف ضد الاشتراكيين والماركسيين والناصريين وذلك بعد رحيل الرئيس جمال عبد الناصر. لقد شجعت الدولة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، بل وقامت على تدعيم الصحوات الدينية فى الجامعات لأهداف سياسية، وعليه فكانت هذه الصحوات شكلية ممزقة، خاصة وأن القائمين على قيادتها لم يكن لديهم من الثقافة الإسلامية أو الالتزام الدينى ما يجعلهم قدوة لغيرهم وبذلك انتشرت الأمية الدينية وذاب المضمون فى المحتوى الشكلى وكانت الأساليب هى معاداة الفكر الآخر والتعصب الأعمى والاعتداء على الأقليات المسيحية. إن أخطر ما أصاب بعض الصحوات الشكلية هو وجود جيل من الجهلة وفقهاء التفصيل الذى طوعوا المضمون لخدمة الشكل، وحضوا على معاداة المجتمع ووصمه بالكفر مما أدى إلى انتشار العنف الفكرى.

هذا وقد يكون من نتيجة موجات العنف تدويل الشعوب أو تصفية الدولة. إن الاستراتيجية المثلى للحيلولة دون الوصول إلى هذه الأشكال الدرامية لمسلسلات العنف التى لا تخدم إلا مصالح القلة اليائسة من قيادات الدين السياسى هو العمل على صياغة مناخ ديمقراطى لا يسمح فقط بتباين الثقافات والاتجاهات والأفكار، ولكن

يستفيد من ذلك التباين على أنه مصدر" للقوة، كذلك يجب العمل على دفع عجلة التنمية الشاملة المتصلة لرفع مستوى معيشة المواطن العادى وتوفير حاجاته الأساسية ومده بالخدمات الضرورية، مع إعطائه فرصة إثبات ذاته وإطلاق طاقاته واختبار قدراته وتشجيع ملكاته وإبداعاته، وضمان حقوقه التى تبدأ بحق المواطنة والتعبير عن الرأى وحرية العقيدة والاعتقاد وتنتهى بالأمن والأمان والاستقرار والحفاظ على الخصوصية داخل تيار العمومية. إن حق المواطنة يجب أن يرتبط بالوطنية والأخيرة يجب أن تكون بؤرة التفاف الشعوب، وتوجهها على أن يكون طريقها فى ذلك هو الانتماء. والوطنية غاية سامية قد نختلف فى التعبير عنها وقد تختلف وسائلنا فى الوصول إليها ولكن الاختلاف على الوسائل يجب ألا يفسد للود قضية فالدين لله والوطن للجميع.

عباءة الدين وتطور الفكر الإرهابى

وحتى تتطور أى فلسفة أو عقيدة من منهاج يخدم حياة الفرد والمجتمع إلى عمل إرهابى فلابد من المرور ببعض الدوائر المرتبطة عضويا كما فى شكل (٤). إن منشطات التحول قد تختلف من دائرة إلى أخرى، ولكن يجب التركيز على أهمية التعليم والديمقراطية والتنمية والاستقرار الاجتماعى ودعائم الأمن القومى فى كسر هذه الدوائر والعودة بالفكر المجتمعى إلى فكر الموضوعية والوسطية واستقامة الشكل والمضمون. وبالطبع فإن ذلك ينطبق على الصحوات الدينية، وعليه فيجب متابعة هذه الصحوات والعمل على تصحيح مسيرتها وتخليصها من شوائبها حتى يكون الدين فى خدمة الإنسان والمجتمع كما أراد الله سبحانه وتعالى.



شكل رقم (٤). شكل يوضح تطور أى فكر، فلسفة، أو عقيدة إلى تطرف يصل إلى درجة الأمراض الاجتماعية وفى ذلك تظهر أعراضه فى شكل مسلسل من الإرهاب والعنف الذى قد يؤدى إلى ثورة زائفة تتبادل العنف مع المواطنين أنفسهم.

وبالرغم من أن الشكل السابق يبدأ دائما بفكرة أو فلسفة محورية لنمو وتطور ظاهرة الإرهاب، إلا أننا نعتقد أن بعض تابعي الفكرة أو منفذى العمليات الإرهابية قد لا يكونون بالضرورة على علم تام بأبعاد الفكرة أو توجهاتها وأهدافها الاستراتيجية، وقد يكون ذلك بسبب استعداد هذه الدوائر في مراحلها المختلفة لاستيعاب من فرضوا على أنفسهم العزلة عن المجتمع أو من لفظهم المجتمع لأسباب قومية أو غير قومية.

وعلى ذلك فإن الإنسان واستعداده الوجدانى والروحى والسيكولوجى والإطار المؤسسى وبعض الظروف الضاغطة على المجتمع بصفة عامة أو على بعض الفئات بصفة خاصة، كلها تلعب دوراً مؤثراً فى دوران الإنسان فى فكر التطرف وتوابعه، والتى تبدأ بالعنف الفردى والعنف الجماعى ثم تبادل العداء والعنف بين أصحاب الفكر والمجتمع أو بين المتطرفين والحكومة. إن البدء فى تبادل مسلسل العنف بين المتطرفين والحكومة قد يشغل المجتمع اختياراً أو إجباراً عن شمولية التنمية وتطور مسيرة الديمقراطية، وحينئذ تتعاطف بعض فئات المجتمع مع الظاهرة، مما قد يتسبب فى طرح شكل من أشكال الثورة الإرهابية التى وإن نجحت كما حدث فى إيران فإنها غالبا ما ترتدى شكلا آخراً من أشكال الإرهاب وهو إرهاب الدولة، وهو أعلى درجات الإرهاب التى تفرض مرحلة عدم الاستقرار لفترات طويلة والمثال على ذلك ثورة الخومينى وترديات الوضع فى إيران حتى تاريخ كتابة هذه الكلمات. وفى النهاية نقول أن حكومات ما قبل الخومينى، خاصة شاه إيران السابق، كانت حكومات طاغية تستغل مقدرات الشعب الإيرانى وتفرض عليه نظام يُوصف غالبا بالتقدم ولكنه فى حقيقة الأمر كان نظاما ديكتاتوريا مستغلا. ذلك بالإضافة إلى تورط حكومة الشاه فى علاقات مع بعض الدول الأجنبية مما أعطى فرصة لقيادات الإسلام السياسى فى إيران وفى غفلة أن يقودوا صحوة دينية أقرب ما تكون لصحوة الأزمة منها إلى الصحوة العقائدية الحقيقية، والتى تحولت إلى شكل شعبى أشبه بسلوك القطيع والتى كانت ضمن أسبابه انتشار الأمية الدينية والفراغ السياسى وتسلط الفكر المتطرف والتدخل الأجنبى. إن خطورة الوضع فى إيران هو إمكانية تفكير الحكومات المتطرفة إلى افتعال بعض الأزمات مع دول الجوار وذلك لنقل اهتمامات الشعب الإيرانى بعيداً عن مشاكله الداخلية، وهنا يجب التنويه على أن مثل هذه الأزمات تشكل البيئة المناسبة للتدخل الأجنبى والذى غالبا ما يضيف أهدافه الغير معلنة إلى أهداف التسوية، وكلنا يعلم أن حرب الخليج الثانية لم يكن هدفها الوحيد تحرير الكويت والقضاء على مصدر التهديد

العراقى، ولكن كان ضمن أهدافها تسويق السلاح الغربى وفرض هيمنة القطب الواحد ورجل البوليس الدولى على النظام العالمى الجديد.

الفصل الخامس

التطـــرف والتنميـــة

الفصل الخامس: التطرف والتنمية

ملخــــص

إن فكر التطرف يعتبر أخطر معوقات التنمية البشرية والتنمية الشاملة، وحينما يتحول التطرف إلى ظاهرة مرضية فإن أعراضها كثيرة ولكن أخطر هذه الأعراض هو الإرهاب بكافة أشكاله بدءًا بالإرهاب الفكرى وانتهاءً بالحرب الأهلية والتصفية الجسدية ونشر الخوف والرعب بين أفراد المجتمع. إن تطرف الفكر يحتاج إلى مناخ قد تصنعه الظروف الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية، التى تقف عثرة أمام نمو وتطور الثروات البشرية وإطلاق طاقاتها واستخدام قدراتها. وعليه فإن مشاكل الجهل والفقر والبطالة والعبث بحقوق الإنسان السياسية والمدنية، وازدياد الفجوة بين الفقراء والأغنياء وعقاب الفقراء على فقرهم وانتشار بعض أشكال الفساد الإدارى والسياسى ... إلخ، هى التى تجعل البيئة صالحة للتطرف الفكرى الصامت، إلا أنه وبوجود بعض قيادات الدين السياسى الذين يستغلون كل هذه المظاهر، التى قد تكون طبيعية فى حركة العمل الوطنى والظروف التى أحاطت به، فإن جماعات التطرف الفكرى قد تُستغل لحساب هذه القيادات، إما شكلا فى صورة تعاطف أو مضمونا فى صورة تنفيذ لبعض المخططات الإرهابية، وقد تلجأ هذه القيادات للاعتداء على رموز الوطن، بهدف تصوير القضية على أنها قضية دين ودولة من ناحية، ولنشر الرعب بين جموع المواطنين وإجبارهم على تأييد هذه القيادات من ناحية أخرى، وذلك كما حدث فى إيران والجزائر مؤخرا. إن المرض الحقيقى الذى يواجهه العالم هو التطرف ولكن الإرهاب هو أحد أعراض هذا المرض وعليه فيجب العمل على مواجهة الفكر بالفكر قبل أن يتطور الفكر المتطرف إلى سلوك

إرهابى. وهذا ولا يفوتنا هنا ذكر أن المواجهة البوليسية يجب أن تتم مع السلوك، ولكن المواجهة الفكرية هى مسئولية رواد الفكر والقيادات الدينية ووسائل الإعلام وعلماء النفس. والمواجهة الفكرية أسلوب وقائى بالدرجة الأولى، ويجب أن ينشط القائمون على هذه المواجهة لمنع انتشار التطرف من ناحية ولوضع حد لتحول المواجهة البوليسية إلى عداء ثأرى بين رجال الأمن والعناصر المتطرفة، خاصة وأن هذا التحول قد تسبب فى استشهاد العديد من رجال الأمن بعيدا عن مسرح المواجهة.

مقدمـــة

لقد مرت مصر على مدى خمسين عاماً ماضيا بظروف عصيبة بدأت بحرب فلسطين والتى جردت العالم العربى من عوامل استقراره ووجهت ثروات معظم دوله إلى اقتصاديات الحرب، وقد قضت هذه الحرب على دعائم الوحدة العربية على المستوى الجغرافى والسياسى، وانقسم العالم العربى إلى قوميات وأنظمة سياسية متباينة، اختلفت فيما بينها ولم تحترم مساحات الاختلاف من ناحية كما لم تستغل بالقدر الكافى مساحات الاتفاق من ناحية أخرى. لقد كانت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ الثورة الأولى فى المنطقة العربية والتى أخذت على عاتقها الدفاع عن القضايا العربية وأولها قضية فلسطين، وعليه فكانت مصر والنظام المصرى هدفا للصهيونية العالمية التى لم تدخر وسعا فى إجهاض كل عوامل التنمية. إن التطرف والإرهاب فى مصر ظواهر اجتماعية جاءت أثر الضغوط الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية التى فرضت على المسيرة الوطنية من أعداء الوطن سواء كانوا أفراداً أو جماعات أو مؤسسات أو قوميات أو دول. وعليه فقد ولدت هذه الأمراض الاجتماعية على مرحلتين **الأولى** مرحلة الولادة الفكرية أو الذهنية (Mental Creation) **والثانية** هى مرحلة الولادة الفيزيقية (Physical Creation) والتى يتم من خلالها التعبير عن المرحلة

الأولى فى شكل إرهاب، هذا وقد ينطبق هذا التوصيف على صعيد مصر والذى تخلفت فيه عمليات التنمية، وخاصة التنمية البشرية عن باقى أنحاء الجمهورية، إلى الحد الذى أدى إلى تنمية التطرف.

تعريف وتوصيف ظاهرة الإرهاب

إن الإرهاب أحد مظاهر العنف الاجتماعي وعليه فهو ظاهرة مركبة ومتعددة الأبعاد، يختلط فيها العنصر النفسى بالعناصر الاجتماعية والمادية والثقافية والسياسية والتاريخية، وهذه الظواهر تتميز بالغموض فى جوانبها السيكولوجية وتختلط بالانفعالات والطبائع والأمزجة الشخصية الأمر الذى يشكل فى مجموعه صعوبة بالغة إزاء محاولة تعريف الظاهرة بطريقة دقيقة، كما هى الحال فى تعريف بعض الظواهر الطبيعية أو النظريات العلمية، حيث إنه فى الحالات الأخيرة يغيب العنصر الإنسانى الذى يعتبر مصدر هذا التعقيد. وبصفة عامة فإن التعريفات الاجتماعية يسودها سمة عدم التجانس والترابط، بل والتناقض فى بعض الأحيان، وذلك منطقي حيث إن الإنسان هو فاعل الظاهرة والإنسان هو الذى يتعرف على الظاهرة وعليه فيتدخل العامل الإنسانى مرات ومرات، مرة حينما يقوم بالعمل الإرهابى ومرة حينما يتعرض إنسان آخر للظاهرة بالتشخيص والتحليل والتعريف ... إلخ، وبذلك تتعدد تعريفات وتصنيفات الإرهاب بتنوع زاوية البحث وأيديولوجية الباحث وثقافته وخبراته الذاتية والأسس التي يقوم عليها التعريف. وعلى ذلك فليس هناك اتفاق واضح ومحدد فيما بين المتخصصين حول مفهوم الإرهاب ـ شأنه فى ذلك شأن سائر المفاهيم الخاصة بالعلوم الاجتماعية. **وفى كتاب نشر حديثا للأستاذ عبد الناصر حريز تحت عنوان الإرهاب السياسي: دراسة تحليلية** "تعرض المؤلف فى أحد أبواب الكتاب العديد من التعريفات اللفظية والنظرية، وهذه التعريفات تشمل التعريف الموسوعى والقاموسى للإرهاب وتعريف الظاهرة فى مفهوم الفقه الدولى ثم تعريفات

المتخصصين فى علوم الاجتماع والعلوم السياسية كما أفرد سيادته تعريفاً شاملا فى نهاية هذا الباب. كما ـ أننا وبناءً على فهمنا الدقيق لما أورده هذا الكاتب وغيره ـ قد آثرنا أن يكون لنا تعريف خاص بنا وذلك لإيماننا العميق بأن قصور التحليل العلمى يجعل من الصعب تعريف الظواهر، واعترافا بأننا قد عشنا تجربة الإرهاب بكل أبعادها ليس فقط كملاحظين ومحللين ولكن كمستهدفين، فإننا نود أن نضع تعريفا للظاهرة قد يكون منقوصا فى بعض جوانبه التى يمكن اكتمالها فى الدراسات المستقبلية. وقبل أن نضع هذا التعريف، فإننا سوف نتعرض لتوصيف بعض جوانب الظاهرة، وفى ذلك تهيئة للقارىء لتحليل ملاحظاته الشخصية وربما تكوين تعريفه الشخصى للظاهرة، وفيما يلى توصيف لأبعاد الظاهرة كما جاء فى كثير من المراجع وتؤيدها التجارب الميدانية لمسرح عمليات الإرهاب فى الكثير من دول العالم:

(١) الأعمال الإجرامية أو التهديد باستخدام العنف ضد أفراد أو جماعات أو دولة بهدف إثارة الفزع والرعب.

(٢) الأفعال العمدية الموجهة ضد السلامة الجسدية أو الذهنية أو الاجتماعية لبعض الأفراد أو المجتمع بأسره.

(٣) التخريب أو الإضرار العمدى بالأموال والمنشآت العامة المملوكة للدولة بطريقة قد تصل إلى حد الإضرار بمصالح المجتمع الداخلية والخارجية.

(٤) صنع أو تملك أو حيازة أو تقديم الأسلحة والذخائر أو المفرقعات أو المواد الضارة أو الرسائل المفخخة. وفى هذا التوصيف خطورة بالغة حيث إن هناك طفرة تكنولوجية هائلة قد انعكست بدورها على تطور إنتاج الأسلحة والمفرقعات ومختلف أدوات العنف وسهولة تداول المعلومات التكنولوجية فى هذا المجال.

(٥) الاعتداء على الحياة والسلامة الجسدية أو الحريات (الخطف أو الاحتجاز غير المشروع) لأفراد الجاليات الأجنبية التى تتمتع بالحماية الدولية سواء كانوا فى مهمات رسمية أو غير رسمية كالسياحة وخلافه.

(٦) قيام بعض الدول بمساعدة بعض المنظمات التى تقوم بأعمال إرهابية داخل أو خارج البلاد.

والمدقق للجوانب السابقة يمكنه استبيان العناصر التى يجب توافرها للحكم على الظاهرة على أنها إرهابية ومن هذه العناصر:

(١) عدم مشروعية استخدام العنف أو التهديد باستخدامه.

(٢) الهدف التكتيكى للعمليات الإرهابية غالبا ما يكون نفسيا أكثر منه ماديا، وعليه يخلق الإرهاب حالة من الرعب والفزع لدى أفراد المجتمع.

(٣) عادة ما يتجاوز العمل الإرهابى حدود الهدف المباشر والذى قد لا يكون له أدنى صلة بالهدف الاستراتيجى.

(٤) الهدف الاستراتيجى للعمليات الإرهابية سياسى بالدرجة الأولى، وغالبا ما يلجأ الإرهابيون إلى الابتزاز السياسى وذلك لخواء فكرهم وتناقض أفعالهم مع أقوالهم وعدم كسب أى أرضية سياسية أو شعبية بالوسائل المشروعة. وعليه فإن الإرهاب بالصورة المعروفة لدى المواطن المصرى هو أحد أشكال العنف السياسى.

(٥) يجب أن يكون هناك فكر أو فلسفة خلف العمل الإرهابى حتى يمكن صبغه بصبغة الإرهاب، وذلك يعنى أن العمل الإرهابى عمل منظم لجماعة متطرفة غالبا ما تكون محدودة العدد إذا ما قورنت بتعداد السكان فى المجتمع.

كل ما سبق يجعلنا نميل إلى تعريف الإرهاب على أنه **"التهديد باستخدام أو استخدام منهج منظم لكل ما من شأنه الإضرار البدنى والفكرى والنفسى والفسيولوجى والاجتماعى لبعض الأفراد أو لجسم المجتمع، ولا يتطلب الإرهاب تحديدا دقيقا للأهداف حيث إن الآثار النفسية للعمليات الإرهابية غالبا ما تفوق الآثار المادية**

التى قد لا تكون مرتبطة بالقضية الأساسية، وعليه فإن الهدف التكتيكى للعمل الإرهابى هو خلق مناخ من الخوف والرعب يمكن القائمين على العمل أو التنظيمات التابعين لها من تحقيق أهداف استراتيجية يكون طابعها الابتزاز السياسى الذى قد يصل لمحاولة الاستيلاء على السلطة بالقوة وحينئذ يصعب التفريق بين مفهوم الإرهاب وبعض أشكال العنف السياسى." لكنه فى النهاية يمكن القول بأن الإرهاب هو أحد صور العنف السياسى، وقد تزايدت الاهتمامات فى الآونة الأخيرة بدراسة أشكال ودوافع العنف حتى أن علما جديدا هو علم العنف "Violencology" أصبح وشيك الولادة.

الممارسة الديمقراطية ودوافع الإرهاب

تلعب الديمقراطية دورا محوريا فى عمليات التنمية الشاملة ودورا معقدا فى انتشار ظواهر الإرهاب والتطرف، فقد يساعد المناخ الديمقراطى على سهولة انتشار فكر التطرف الذى يقود إلى الإرهاب فى المستقبل، ولكن بصفة عامة فإن النظام الديمقراطى يكشف قضايا الإرهاب ويعريها من أى مضمون كما أن البديل الديكتاتورى يجعل القاعدة تتعاطف مع أصحاب الفكر المتطرف، بالإضافة إلى أن غياب الحوار الديمقراطى وعدم تشجيع المشاركة السياسية وغلق قنوات التعبير والاتصال الشرعية يجعل الاتجاه إلى بدائل غير مشروعة لتحقيق ذلك هو البديل الأكثر احتمالا، وغالبا ما تتسم هذه البدائل بالعنف حيث **أصبح الإرهاب بديلا ميسورا ومؤثرا فى نفس الوقت.** ذلك بالإضافة إلى أن النظام الديمقراطى يمثل إحدى الدعائم الأساسية للإطار المؤسسى، والمناخ الذى يمكن أن تتم فيه عمليات التنمية بأبعادها الشاملة والمتكاملة التى يكون الإنسان وسيلتها وغايتها. إن الديمقراطية وآلياتها للمشاركة السياسية تعتبر من الأنظمة الوسيطة حيث تعطى حقوق متساوية للمواطنين على اختلاف توجهاتهم فى إدارة شئون حياتهم وبلادهم، وعليه فإن أى نظام آخر قد

يكون تطرفا يمينا أو يساراً ولكنه فى النهاية يتطرف عن مبدأ أساسى فى حياة البشر وهو المساواة والعدل وحرية التعبير وحرية الاعتقاد وعدم الاعتداء على حقوق الآخرين، وفى إطار من المبادىء الإرشادية التى تضمن للمجتمع أن يؤدى رسالته غير منقوصة. هذا وأننا نعتبر أن كل أشكال العنف تطرفا عن مبدأ أساسى وهو السلام الاجتماعى - وهو مبدأ فطرى وعقائدى يستحق العمل على نشره ليس فقط داخل الدول ولكن بين الدول وبعضها وعلى ذلك فإن كل التجاوزات التى تقوم بها الحكومة الإسرائيلية ما هى إلا تطرف عنصرى وعنف إقليمى.

إن تحقيق الاستمرارية لنظام الحكم الديكتاتورى والذى لا يحظى بتأييد شعبى واسع قد يضطر النظام لاستخدام ما يسمى **بإرهاب الدولة** State Terrorism وهو ذلك الإرهاب الذى تقوده الدولة من خلال مجموعة الأعمال والسياسات الحكومية، التى تستهدف نشر الرعب بين المواطنين فى الداخل وصولا إلى تأمين خضوعهم لرغبات الحكومة، وفى الخارج بهدف تحقيق بعض الأهداف التى لا تستطيع الدولة أو لا تتمكن من تحقيقها بالوسائل والأساليب المشروعة، كما قد ترسل الدول مجموعات إرهابية لاغتيال بعض معارضيها السياسيين المقيمين فى الخارج وذلك كما حدث فى الفترة التى أعقبت قيام ثورة الخومينى فى إيران - كل ذلك بهدف فرض الهيمنة والسيطرة وتصفية العناصر المعارضة ومراكز القوى التى تمثل خطراً على استقرار النظام - كذلك قد تقوم الدولة ومن خلال أجهزة الإعلام بنشر **الإرهاب الفكرى** Conceptual Terrorism الذى يعيد صياغة وفرض أفكار لا تتفق مع المصلحة العامة للشعب وهذا النوع من الإرهاب قد يخلق إرهاباً آخر يسمى **بالإرهاب الثورى** Revolutionary Terrorism الذى يهدف إلى إحداث تغيرات أساسية وجذرية فى توزيع السلطة والمكانة والثروة فى المجتمع مما يخلق **حربا أهلية** وهذه تمثل درجة عالية وخطيرة من

درجات العنف السياسى قد تصل إلى ذروة العنف الداخلى. وطبعا ما حدث فى بعض بلاد أوربا الشرقية قد يؤكد ذلك، ولنأخذ مثلا شكل النظام السياسى فى رومانيا أيام رئاسة نيكولاى شاوشيسكو، والذى لعبت وسائل الإعلام فيه دورا هاما فى نشر الإرهاب الفكرى للنظام القائم ـ وفى المقابل قام بعض أفراد الشعب بالإرهاب الثورى الذى نتج عن قتل الرئيس شاوشيسكو وقيام ثورة مهدت لديمقراطية سياسية تدل عليها الخريطة السياسية الحالية ونتيجة الانتخابات الرئاسية التى تمت فى أوائل عام ١٩٩٧.

والديمقراطية ليست محصورة فى عمليات التصويت فى صناديق الانتخابات فهذه إحدى وسائلها الشكلية، ولكن الديمقراطية الفكرية هى أهم وأخطر أشكال الديمقراطية. إنه وللأسف لم يستطع النظام المصرى بعد وفاة **الرئيس جمال عبد الناصر** استيعاب الدروس والاتجاه إلى ديمقراطية الفكر وتعدده فى إطار المصلحة العامة وفى اتجاه الأهداف الاستراتيجية والغايات العليا للمجتمع. إن خوف النظام المصرى من انتشار الحركة الاشتراكية المتمركسة بعد موت **الرئيس الراحل جمال عبد الناصر** قد ساعد بطريقة مباشرة وغير مباشرة فى مساعدة التيار الدينى المتطرف، ولولا أن فطرة هذا الشعب هى الوسطية بعيدا عن الأفكار المتطرفة يمينا أو يسارا، ولولا محدودية الفكر الشيوعى وعدم وفرة حجم إمكاناتهم المادية والبشرية لنشأت حرب أهلية ولكن الله تعالى سلم، حيث أدركت [illegible] خطورة انتشار عدوى التطرف الدينى وتصدت له إلا أن هذا التطرف الدينى قد تحول إلى ما يسمى **بالإرهاب الرجعى** Reactionary Terrorism، وهو ذلك الإرهاب الذى يهدف إلى نشر بعض القيم الشاذة فى المجتمع، ومنها التعصب الدينى ضد الأقليات المسيحية والعمل ضد الأجانب والسياحة، ومحاولة التمسك ببعض القيم البالية الدخيلة على الإسلام والتى لا تتمشى مع روح العصر مثل معاداة السببية والديمقراطية والحداثة، وبصفة عامة فإن

الإرهاب الرجعى الذى شهدته مصر فى الفترات الأخيرة يستند فى طبيعته على أسس أيديولوجية وعنصرية مشوهة، لا تتمشى مع المنطق والعقل وتطور الحضارة البشرية ومعطيات العصر.

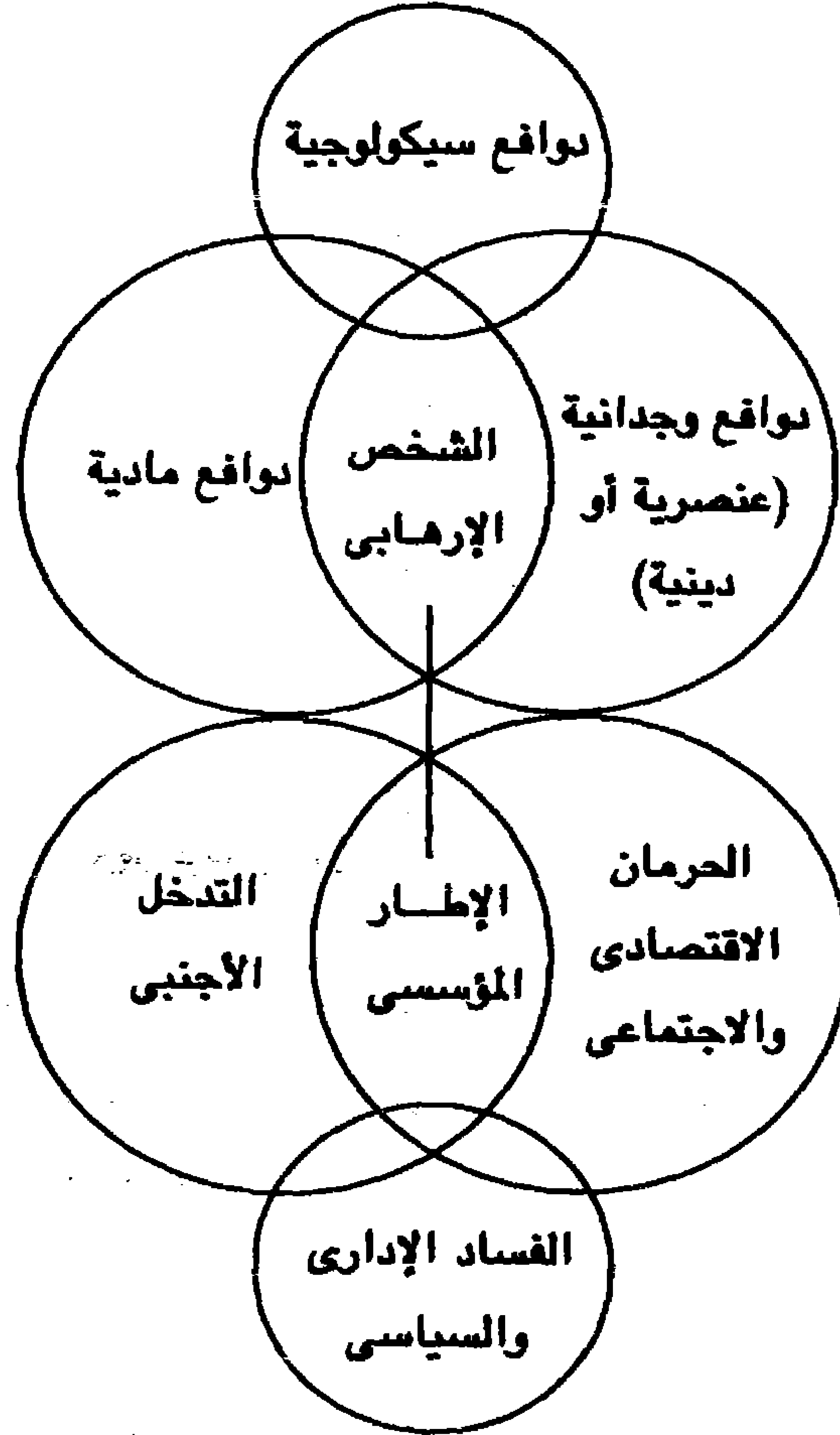
وبنظرة متأنية لما يقال عن الصحوة الدينية والتى لا يجب أن ننكر أن بعض المنتمين إليها من المسلمين قد منّ الله سبحانه وتعالى عليهم بالهداية، نجد أن البعض قد استغل الظاهرة لأهداف سياسية ووصل بأسلوب دعوته إلى ما يسمى بالإرهاب الفكرى وهو ذلك الفكر الذى يحاول فرض حدود معينة لا ينبغى تجاوزها فى تناول بعض القضايا الحيوية فى المجتمع، كذلك فرض نمط معين من الثقافة على عقول ووعى المواطنين قد يصل فى بعض الأحيان إلى حد الرقابة على فكرهم ومعتقداتهم وتصرفاتهم - وحينما يصل الوضع إلى هذا الحد فإن نوعاً جديداً من الإرهاب ينمو ويتطور يسمى **بالإرهاب النفسى** Psycological Terrorism وفيه تتحول الأساليب إلى ممارسة الضغوط على بعض الأشخاص من خلال نشر ستارٍ من الأكاذيب والاتهامات بصورة مستمرة حتى تنهار معنوياتهم وقد يضطر المستهدفون فى النهاية إلى إظهار تعاطفٍ مع هذا الفكر يتمثل فى سلبية المعالجة فى المستقبل وذلك النوع من الإرهاب قد ساد لفترة فى الأردن والجزائر. وهنا يجب أن لا ننكر أن غياب ديمقراطية حقيقية واستمرار العمل بالشرعية الثورية فى مصر لفترة ليست بقصيرة قد ساعد على انتشار التطرف الدينى إما مباشرة، كما حدث بعد وفاة الزعيم جمال عبد الناصر وتنشيط الحركات الإسلامية فى الجامعات، أو غير مباشرة، وعليه فإن الديمقراطية المبالغ فيها والديمقراطية المشوهة تعملان على انتشار أفكار التطرف إلا أن معالجة تطرف الفكر فى ظل النظام الديمقراطى تعتبر أسهل منها فى ظل الأنظمة الأخرى، وعليه فإن الديمقراطية يجب أن تكون وسيلتنا لاستيعاب التعدد الفكرى دون السماح لفكر معين بأن يتطرف ويفرض سيطرته على الآخرين. إن فرض الأفكار دون

الاستناد إلى السببية والرشد والموضوعية وكذلك الإجماع ما هو إلا شكل من أشكال الإرهاب الفكرى والعنف السياسى.

وبعد كل ذلك يجب أن نعى جميعا أنه لا سبيل للخلاص من أمراض المجتمع السائدة إلا من خلال نظام ديمقراطى حر يشكل الإطار المؤسسى لتنمية شاملة يكون الإنسان هدفها وفاعلها. وحينما يكون هذا الإطار مناسبا للتنمية الشاملة وتصبح التنمية عملية اجتماعية تهدف فى نهاية المطاف إلى السلام الاجتماعى، لا يكون هناك مساحة كبيرة لظهور مزيدٍ من العنف والتطرف والإرهاب، وكل ذلك يدل على أن الإطار المؤسسى يلعب دروا هاما فى الطريقة التى يمكن أن تتشكل بها دوافع الإرهاب ومثيراته. كما أن التنمية ترتبط إرتباطا وثيقا بمدى انتشار الأمراض المجتمعية وذلك بشكل دائرى وعضوى فكلاهما يؤثر ويتأثر بالآخر، إلا أنه من المؤكد إن تطرف التنمية وتخلف الموارد البشرية هى أهم دوافع التطرف والإرهاب الذى ينعكس تأثيره على التنمية، وعليه فإن دوائر التأثير والتأثر متعددة وقد تأخذ شكل الانتشار السرطانى إذا لم تقوم الدولة بسياسة مزدوجة ومتوازية لكل من التنمية الحقيقية والمواجهة الجادة لفكر التطرف وأعراضه.

دوافع الإرهاب

تتعدد وتتنوع الدوافع التى تقود الفرد إلى الإرهاب وتختلف باختلاف شخصية الإرهابى والظروف التى يعيش فيها كما يوضح الشكل رقم (٥).



شكل رقم (٥). بعض الدوافع الشخصية للإرهاب والتى تساعد على التعبير عنها بعض العوامل التى تشكل الإطار المؤسسى للمجتمع.

والحقيقة أنه لا يمكن الفصل بين الدوافع والمؤثرات حيث إنها تتفاعل جميعا لتؤهل الفرد نفسيا ووجدانيا وماديا للدخول فى عمليات إرهابية، وهنا نذكر أن العديد

من حالات الإرهاب فى العالم تزكى الدوافع النفسية، فقد ثبت أن مرتكب حادث تفجير المبنى الحكومى فى أوكلاهوما بالولايات المتحدة الأمريكية وقاتل **اسحق رابين** فى إسرائيل قد تعرضا لبعض الاضطربات والتقلبات النفسية الحادة، والتى يرجع علماء النفس أن بعضها قد يرجع إلى عوامل وراثية، والبعض الآخر بيئى يعود إلى بعض الضغوط العصبية التى يتعرض لها الفرد فى المجتمع بدءًا من المنزل وانتهاءً بالحياة العملية. كل ذلك يوضح أهمية التعليم والتنمية وبرامج الإصلاح الاقتصادى حتى تنعم الأسرة بالرفاهية، وحتى لا تكون المدرسة إحدى وسائل الضغط العصبى على الأسرة والطفل.

كما قد تلعب بعض **الدوافع الوجدانية** دورا هاما فى تطور ظاهرة الإرهاب، وهنا تلعب وسائل الإعلام وبعض المدارس الخاصة وبعض الأنشطة الموجهة فى المساجد والكنائس دوراً خطيراً فى نشر فكر التطرف الوجدانى بين الشباب، الذى قد يعانى ماديا فى المستقبل كما قد لا تتاح له فرصة عمل مناسبة مما يجعله يشعر بالاغتراب عن المجتمع، وحينئذ قد يبحث عن بدائل قد لا تكون لمصلحته الحالية أو المستقبلية. كما أن **الدوافع المادية** قد تغذى **الدوافع السيكولوجية والوجدانية** وتوجد لهما البيئة المناسبة حينما تعجز الإمكانيات المادية المتاحة عن تلبية متطلبات بعض الأفراد، وحينما لا تتوافر العدالة الاجتماعية وينتشر الفساد الإدارى والسياسى فإن البيئة تصبح مناسبة وتهيىء الفرد نفسيا للقبول بالدخول ضمن جماعات الإرهاب دخولا قد يبدو تطوعيا. إن كل العوامل السابقة قد تصل بالفرد إلى حالة من **الحرمان الاجتماعى**، وذلك من خلال إشعاره بعدم قدرة المجتمع على استيعابه استيعابا كاملا مما يفرض عليه العزلة النفسية أو الفيزيقية التى تقوده إلى مرحلة أخرى أو حالة أخرى وهى **الشعور بالاغتراب وعدم الانتماء** إلى جسم المجتمع، والحالة الأخيرة قد تنمى لدى

الفــرد استعداداً للانضمام إلى أى مجموعات تناهض النظام القائم ـ شرعيا كان أو غير ذلك.

طبعـا لا يجب هنا أن ننسى أن بعض الجماعات السياسية يمكن أن تستغل المناخ العام والحالة السيكولوجية والوجدانية والمادية لبعض الأفراد، وذلك بتجنيدهم للقيام بعمليات إرهابية قد لا يعون بالقدر الكافى أبعادها وأهدافها الحقيقية. كذلك فإن بعض الدول الأجنبية قد تساعد العمليات الإرهابية خارج حدودها، بالإضافة إلى أن التواجد العسكرى لبعض الدول الأجنبية فى صورة قواعد قد يخلق موجة من الاستياء العام لدى بعض أفراد المجتمع الذين قد لا يجدون بديلا عن القيام بعمليات إرهابية ضد هذا الوجود، وذلك كما حدث فى تدمير مقر قوات المارينز الأمريكية فى بيروت، كذلك حادث الإعتداء علي استراحة بعض الخبراء العسكريين الأمريكيين فى الظهران بالسعودية. وهنا يجب العودة إلى الإطار المؤسسى ومحاولة فهم بعض العوامل التى تؤثر على الدوافع الشخصية للإرهاب وتحليلها تحليلا موضوعيا.

طبعا لا ينكر أحد دور العوامل الاقتصادية إلا أن مناخ التعليم ومناخ ممارسة الشعائر الدينية كان ـ ولبعض الوقت ـ مناخا للتطرف وكما يقول **الأستاذ رجب البنا** فى كتابه الأمية الدينية والحرب ضد الإسلام: "كلنا تلاميذ فى مدرسة الإرهاب." يجب أن يعاد النظر فى العملية التعليمية، وكذلك محتوى الوعاء الدينى الذى يقدم لأبنائنا فى المساجد والكنائس وبعض النوادى. علينا جميعا أن نعى أن الصحوة الدينية مطلوبة ولكن التطرف مرفوض وأن الصحوة الدينية المتطرفة هى فى واقعها ومردوداتها غفلة وأمية دينية.

التنمية فى مواجهة التطرف والإرهاب

إن على الدولة دورا هاما فى التصدى للتطرف والإرهاب، ولا يجب أن يقتصر هذا الدور على التصدى البوليسى، ولكن يجب أن يتعداه إلى التصدى الفكرى والعمل على تنقية المناخ الذى يؤدى إلى تطرف الفكر من كل شوائبه. ولا تتم تنقية هذا المناخ إلا من خلال نشر السلام الاجتماعى بين المواطنين وإعطاء قضية التعليم الأولوية الأولى فى الأجندة القومية مع عمل تنمية شاملة حقيقية تخلق فرص عمل يستطيع الشباب من خلالها إثبات ذاته وتطوير عقيدة انتمائه للوطن. إن تنمية المصادر البشرية لن تتم إلا من خلال تقديم الخدمات التعليمية والصحية الراقية فى مناخ ديمقراطى يتمتع المواطن فيه بكل حقوقه السياسية والمدنية. وفى هذا المجال يجب أن لا ننكر أن مصر فى عودة حميدة إلى الديمقراطية والتعددية من ناحية وإلى الرجوع إلى الاقتصاد الحر وآليات السوق من ناحية أخرى، وكلا الاتجاهين لهما ارتباطا وثيقا بالحقوق السياسية والمدنية للمواطن المصرى وأيضا فهما يشكلان الإطار المؤسسى الملائم للتنمية الشاملة. كذلك فإن محاولة التصدى الفكرى للتطرف يعتبر إحدى الوسائل الهامة فى تنمية الثروات البشرية والتى أصبحت أهم من الثروات المادية والطبيعية فى مستقبل التنمية الشاملة فى عصر المعلومات وتكنولوجيا الاتصالات الذى يشكل ثقافته اقتصاد الجودة والسرعة وأهمية القيمة المضافة.

إن جماعات الدين السياسى وقياد[illegible] يرفضون ويشوهون كل أشكال العمل الوطنى بدءًا بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وانتهـا[illegible] بحرب أكتوبر العظيمة فى سنة ١٩٧٣ واتفاقيات السلام مع إسرائيل. إن محاولة اغتيال التاريخ الحديث والاعتداء على قياداته الوطنية قد تلقى قبولا لدى الشباب، خاصة وأن ظاهرة الأمية السياسية والثقافية أصبحت متفشية. إن تشويه التاريخ والتشكيك فى إخلاص قياداته مسألة لا يمكن السكوت عليها حيث أن لها ارتباطا مباشرا بتآكل عقيدة الانتماء وولادة عقدة

التطرف وتبعاتها. ومن هنا يجب على شبابنا أن يعرف إن ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ هى ثورة وطنية قام بها شباب وطنى حركته أسمى معانى الانتماء القومى ـ ولكن الثورة استخدمت الشرعية الثورية بشكل حاد، كما كان هناك تجاوز في بعض الممارسات الثورية وهذا كله لا يعيبها بل يضعها فى عداد الأعمال الوطنية التى يجب تقييمها بموضوعية دون أن ننسى أن من يعيش داخل الأحداث يرى الأشياء بصورة قد تختلف عن الصورة التى يراها من يعيشون الأحداث، كما أنه من السهل أن ننقد الأعمال دون أن توجد لدى الناقدين قدوة وقدرة الإقدام على نفس العمل المنقود أو أعمال شبيهة. كما يجب أن يعرف شبابنا أيضا بأن حرب أكتوبر ١٩٧٣ سوف تكون علامة فى تاريخ مصر على مر العصور فهى التى حررت المواطن المصرى من الخوف المبالغ فيه، وأعادت للعسكرية المصرية عزتها وكرامتها، كما أعطت العدو الإسرائيلى درسا لن ينساه، ويجعله يتردد آلاف المرات قبل أن يفكر فى الاعتداء على حبات الرمل المصرى.

أما اتفاقيات السلام مع إسرائيل فهى حصاد الانتصار من ناحية ومناخ التنمية من ناحية أخرى. كيف بالله يمكن أن تتم تنمية تحت نيران المعارك؟! وكيف ـ أيضا ـ وجميع الأطراف المتحاربة تستنزف ثرواتها فى عمليات غير تنموية. إنه لا بديل للسلام حتى يمكن عمل تنمية حقيقية تعود بالخير على الوطن والمواطن. ولكن هذا السلام يجب أن يكون قائما على العدل الذى تؤمنه القدرة الذاتية قبل المحافل الدولية. إن قصر النظر السياسى وعدم وضوح الرؤية لدى رئيس وزراء إسرائيل الحالى **"بنيامين نتنياهو"** وبعض مساعديه من يهود بروكلين قد يهيىء المناخ للقيام بعمليات إرهابية، يكون ظاهرها الدفاع عن عملية السلام، ولكن فى حقيقتها قد تضر العملية وتؤخر من تنفيذ بنود اتفاقاتها، مما يتسبب فى مزيد من الإرهاب إلى الحد الذى يهدد عملية السلام برمتها، وذلك كما أعلن **الرئيس محمد حسنى مبارك** فى عديد من لقاءاته،

خاصة بعد عودته من زيارته الأخيرة لكل من فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية والمغرب في شهر مارس من عام ١٩٩٧.

لقد انتشرت فى مصر كما انتشرت فى معظم دول العالم بعض الظواهر الإرهابية المحدودة، لكنه وللأسف قد صُورت هذه الظواهر فى الصحافة العالمية على أنها ظاهرة يومية وقومية، وبالطبع فتلك مبالغة لا يقبلها العقل أو الضمير، كما أن هناك مبالغة فى تصوير الأحداث، وعليه فلا يجب أن تُترك لعملاء هذه الصحافة أو جهلتها فرصة تشويه الوضع الأمني الداخلى. إن قيادات مصر بعد ثورة يوليو العظيمة قد عملوا جميعا بإخلاص للحفاظ على أمن وأمان المواطن المصرى، ولكن الحقد واليأس الذى استشرى فى عقول وقلوب أصحاب الإسلام السياسى قد تلازم مع الخوف العربى والأجنبى من طبيعة المد المصرى فى المنطقة والمد الإسلامي في العالم، مما لا نستبعد معه تواجد صيغة من صيغ التعاون لضرب النظام المصرى من خلال جماعات الإسلام السياسى، مستغلين بذلك بعض الظروف التى صنعتها عوامل الضغط الأجنبى لتعطيل مسيرة العمل الوطنى أحيانا وضرب منجزات الوطن أحيانا أخرى، وبالطبع كانت إسرائيل الأداة التى تم من خلالها كل ذلك. لكنه وبعد نصر أكتوبر ١٩٧٣ وتوقيع اتفاقية السلام، فإننا قد بدأنا بخلف قيادة **الرئيس محمد حسنى مبارك** مسيرة يسودها السلام والأمن القومى والتنمية، وفى بداية هذا العام أولى **الرئيس مبارك** اهتماما خاصا بتنمية الصعيد الذى تأخرت فيه عجلة التنمية عن شمال الوادى، وأيضا تركزت فيه بعض مظاهر التطرف والإرهاب لبعض الوقت. إن الاستراتيجية الذى ينتهجها السيد الرئيس فى التصدى لهذه المظاهر الغريبة على شعبنا وديننا هى استراتيجية السلام والديمقراطية والتنمية الشاملة مع تعميق عقيدة الانتماء.

الفصل السادس

الدين والإرهاب

الفصل السادس: الدين والإرهاب

ملخـــص

إن الإرهاب عرض لمرض وهو التطرف، وذلك يرتكز على إحدى ركيزتين **الأولى** أن الإرهاب نفسه تطرف عن السلام الاجتماعي، **والثانية** أن الإرهاب قد يكون نتيجة لتطرف الفكر ومحاولة فرضه بكل أشكال العنف بدءًا بالعنف اللفظي وانتهاءً بالعنف الجسدي. نظراً لانتشار بعض أشكال العنف ومواكبتها للصحوات الدينية والتطرف الديني في بعض الدول الإسلامية فقد ربط البعض بين الإسلام والتطرف والإرهاب وهذه العلاقة المزيفة جاءت نتيجة بعض الأسباب والتي منها انتشار الجهل بالإسلام بين غير المسلمين والأمية الدينية بين المسلمين أنفسهم، كذلك السلوك الشاذ المتعمد أو الجاهل لبعض المنتمين للإسلام أو المرتدين لعباءته. وهناك سبب هام وهو محاولة أعداء الإسلام وأعداء العرب وأعداء مصر في برمجة العقول على وجود علاقة بين الإسلام والعنف، وهذه العلاقة تلقى قبولاً وارتياحاً لدى منفذي البرنامج الصهيوني وذلك لأن أحدى ركائز هذا البرنامج هو رفض الغير وشرعية التخلص منه. كل ذلك يجعلنا نتساءل عن مدى تورط إسرائيل ومعاونيها في تنشيط العمليات الإرهابية في دول العالم الإسلامي. إن ما يقال عن الإسلام في الدول الإسلامية بما فيها مصر يقال عن المسيحية في مصر، حيث هناك تطرف مستتر بين المسيحيين قد لا يرقى إلى التعبير عن وجوده بالإرهاب. أيضا نقول أنه لا علاقة بين المسيحية والتطرف والإرهاب ولكننا ننبه عن وجود صحوة شكلية بين المسيحيين تحمل فكر متطرف وقد يقود إلى بعض أشكال العنف يوما ما. وبصفة عامة فإن العلاقة بين الدين والتطرف والإرهاب علاقة وضيعة وجميع الأديان برئية منها،

حيث أنه من غير المعقول أن يكون بين التعاليم الإلهية ما يدعو إلى التطرف والإرهاب وظلم الغير وقتل النفس التى حرم الله قتله إلا بالحق.

مقدمـــة

إن القائمين على العمليات الإرهابية من العناصر النشطة شباب فى مقتبل عمرهم (قاتل السادات رئيس مصر الأسبق وقاتل إسحق رابين رئيس وزراء اسرائيل الأسبق ومفجر المبنى الحكومى فى مدينة أوكلاهوما بالولايات المتحدة الأمريكية .... إلخ) قد تخلوا عن قيادة ذاتهم وأعطوا مفاتيح التحكم فيها إلى بعض الوسطاء المأجورين لخدمة قلة من القيادات السياسية التى تختفى وراء شعار **"نشر دين الله فى الأرض وتطبيق حكم الله"** لتحقيق أهداف سياسية غير معلنة، ولكنها بديهية ألا وهى زعزعة دواعى الاستقرار فى المجتمع لحساب الغير أو الوصول إلى الحكم. هنا يجب ذكر أن نشطاء أو وسطاء أو قيادات العمليات الإرهابية قد يكونوا مسلمين أو مسيحيين أو يهود أو غير ذلك. وقد يجد القارىء أننا نركز فى فصول هذا الكتاب على العلاقة بين الإسلام والإرهاب وهذا التركيز له أسباب عديدة منها إيماننا المطلق ببراءة الإسلام - مثله مثل المسيحية واليهودية - من التطرف والإرهاب ولكن الارتباط القائم هو بين مفهوم البعض لهذه الأديان أو ارتدائهم لعباءتها وهذه الظاهرة المقيتة التى لا تزيد عن كونها أحد الأمراض الاجتماعية. كذلك فإن ما شاهدته مصر من عمليات إرهابية فى الآونة الأخيرة جاءت مواكبة لما سماه البعض الصحوة الإسلامية، وربطت الظاهرة بالإسلام وذلك أيضا له أسباب كثيرة منها الجهل بتعاليم الدين الإسلامى ومن وجود مخطط غربى لبرمجة هذه العلاقة فى عقل غير المسلمين. كل ذلك بالإضافة إلى استهداف الاستقرار المصرى لأهمية دور مصر فى توجيه حركة الدائرة العربية والشرق أوسطية، كذلك مركزية دورها فى معادلة الصراع العربى - الإسرائيلى، وإن كان السلام إحدى مراحل هذا الصراع.

الدين وفلسفة العنف السياسي

إن بعض القيادات المشعوذة أو السياسية قد يميلون لاستخدام الدين كفلسفة جاهزة وذلك للتأثير على جزء من القاعدة الشعبية لتحقيق أهداف اقتصادية أو سياسية. هذه القيادات ليس لديها من المؤهلات القيادية والقومية ما يؤهلها للوصول إلى السلطة من خلال القنوات الشرعية والديمقراطية، وعليه فأسلوبهم فى ذلك هو استغلال الدين (كل دولة حسب دين الأغلبية) ففى مصر الإسلام وفى أمريكا المسيحية وفى إسرائيل اليهودية وهكذا. واستخدام الدين كفلسفة للوصول إلى الحكم فى هذه البلدان وبالذات فى دول الشرق الأوسط يتمركز على بعض المفاهيم العامة التالية: -

(١) إن الغالبية العظمى من شعوب المنطقة العربية متدينون بطبيعتهم ويرون أن من واجبهم الوقوف خلف كل من يدافع عن دينهم حتى وإن كان هذا الدفاع هو العسل المزوج بالسم الزعاف.

(٢) إن الدين فلسفة موجودة ومتاحة لقرون عديدة جعلتها تمتزج بثقافة المواطن البسيط. إن انتشار الجهل والفقر والمرض بين مواطنى دول العالم النامى جعل من هذه الثقافة فريسة يستخدمها بعض أصحاب الدين السياسى.

(٣) إنه لا سبيل للأقليات المتطرفة من تحقيق مكاسب سياسية إلا من خلال التضليل، ولذا جاءت أساليبهم ممزوجة بالأصولية تارة والتطرف عن وسطية الإسلام تارة أخرى. وبهذه المناسبة فإن الوسطية مبدأ سماوى لم يقتصر فقط على الإسلام ولكن تعداه إلى كل الأديان التى جاءت من قبله. وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى فى **الآية ١٤٣ من سورة البقرة: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس).**

(٤) سهولة نشر ثقافة الفهم الخاطئ لمفهوم الدين والدولة كنظام سياسى والاستخدام الاختيارى والانتقائى لبعض الآيات الدينية أو السنة للتدليل على أهمية نشر هذه الثقافة. إن بعض الجماعات الدينية قد وقعوا فريسة لفقهاء

التفصيل الذى صوروا لهم أن المجتمع كافر وبذلك انتشر مبدأ التكفير ومعاداة المجتمع وعدم التعامل معه أو الاندماج فى نسيجه. وبالطبع هذه مفاهيم خاطئة لاتمت للدين بصلة إلا أنها بداية للاغتراب والدخول فى التحولات التى تنتهى بالعنف السياسى والإرهاب بكل أشكاله كما سيجىء ذكره فيما بعد.

وكل المفاهيم السابقة جاءت وراء فلسفة الدين والدولة كنظام سياسى واحد وجعلت أهداف مجموعات الدين السياسى المعلنة هى نصرة دين الله والعمل بما أنزل الله، والواقع غير ذلك فليس فى قتل الأبرياء نصرة لدين الله وكيف يكون ذلك والله سبحانه وتعالى قد حرم القتل، وبالطبع ليس فى التعصب ضد الأقليات نصرة لدين الله وكيف يكون ذلك وقد حرم الله على نفسه الظلم. إن الإسلام كعقيدة يُساء استخدامه كل يوم من قبل قيادات الإسلام السياسى وبعض المرتزقة الذين يرون أن الإسلام مادة يتاجرون بها وكذلك بعض الذين فقدوا المقدرة على التمييز واختاروا لأنفسهم أن يعقل الآخرون نيابة عنهم. كيف وبالله عليكم يكون فى نشر الرعب فى قلب من يزرع لنأكل ومن يسهر لننام نصرة لدين الله. إن الأيدى الطاهرة التى تزرع الغذاء وتنشر الأمان لايجب أن ترهبها أو تلجمها أفكار أو أعمال خسيسة، ولا يجب أن تحصد أعمالها أيدٍ مدنسة باعت الغالى بالرخيص. إن عقول أصد اب الدين السياسى تتاجر بمقدرات الوطن، وعملتهم فى ذلك بعض المال والوعود الزا وجزء مشوه د العقيدة. كل ذلك يوضح أن مرض التطرف يصيب الأمة فى أ الثقافى والاقتصادى الاجتماعى فى المدى القريب، ثم أمنها السياسى والقومى فى المدى البعيد، والماضى القريب والحاضر يذكرنا بهذه السلسلة المرضية فى إيران وأفغانستان والجزائر والبقية قد تأتى. ونحن نتمنى من كل قلوبنا ألا تأتى.

كيف تُرك هؤلاء ليصوروا دين الله على أنه بيئة للعنف؟ كيف سُمح لهؤلاء أن

ينسبوا أنفسهم لدين قد شوهوه لمن لم يعرفوه أو من يعرفونه، ولكن أحبوا أن يروه مشوها؟! لقد جاء الإسلام ليصوغ علاقات البشر على أساس من الاحترام المتبادل والحب (حب الله وحب الآخرين وحب الحياة) وخدمة الوطن حيث إن الوطن هو مجموعة من المواطنين. إن المتطرفين ليسوا في حاجة إلى قوانين جديدة للوقوف أمامهم بقدر حاجتهم إلى علاج وعلاجهم في أيدينا جميعا. إن القائمين على العمليات الإرهابية شباب في مقتبل العمر ذوو نفوسٍ ضعيفة قد فقدوا مفاتيح التحكم في حياتهم وسلموها إلى قلة انتهازية لها أهداف غير معلنة تناقض تماما أهدافها المعلنة، وعليه فإن أفضل طرق المواجهة مع فكر التطرف هي المواجهة الفكرية والتي يجب أن تكون شاملة ولا تقتصر فقط على مواجهة يدير حوارها رجال الدين.

إن الأهداف المعلنة لجماعة الإسلام السياسي هي نصرة دين الله والواقع غير ذلك فليس في نصرة دين الله القتل وبث الرعب في قلوب الآخرين وتحطيم أجمل علاقات المودة الإنسانية التي حبانا الله بها، والله سبحانه وتعالى قد حرم قتل النفس إلا بالحق وذلك لأن فينا من روح الله، فكيف بالله طاوعتهم قلوبهم على قتل الأبرياء وفيهم من روح الله، وليس في دين الله اضطهاد للأقليات فالإسلام جاء لينشر تعاليمه بين الناس على أساس الحب وأن الناس جميعا سواسية وفي هذا أقصى حماية للأقليات، وليس في نصرة دين الله كراهية لمخلوقاته وليس في نصرة دين الله نشر الرعب في قلب المواطن الكادح الذي يزرع غذاءً أو ينشر أمانا لتحصده أيدٍ خسيسة رخيصة. إن القضية واضحة ولا تحتاج إلى ذكاء فائق لفهمها. إن اليأس السياسي الذي تواجهه جماعات الإسلام السياسي ومنفذو عملياتهم تجعلهم يوجهون سهام الغدر ويقتلون الأبرياء في حقولهم دونما أي مبرر سوى الصراخ لإثبات الوجود دونما أي وجود، وسوى محاولة الظهور بمظهر القوة دونما أي قوة. إن العملية الأخيرة التي نفذها بعض فلول الإرهاب في حقول الخير بنجع حمادي تكشف عن يأسهم

وضـآلة أعمـالهم وتجعلنا مـوقنين أنهم علـى وشك الانتهـاء حيث تكشف عمليـاتهم عن إفلاسهم وغربتهم عن جسم الوطن الأم الذى مـازالت أغلبيته المسلمة تحتفظ باعتدال وعدالة ووسطية الإسلام، فلا تظلم الأقليات، حيث الجميع أمام الوطن مواطنون شرفاء لا تفرق بينهم عـقـيدة أو جنس أو لون. ذلك لا يجب أن يؤخـذ على أنه إنكار لوجـود بعض أشكال العنف فى العلاقات التى قد تصطبغ بالطائفية، إلا أنه يجب التأكيد على عدم وجود سند دينى لمثل هذه الأشكال المريضة، التى يجب التعامل معها على ثلاث مراحل **الأولى** التـخلص منها وعلاجها **والثانية** هو توضـيـح عـدم وجـود أى عـلاقـة بين العنف السـيـاسى والدين وتلك بديهية حيث كيف يكون هناك دين من عند الله ويرسى مبادىء للعنف بين الناس الذين هم جمـيـعا من مـخلوقات هذا الإله الواحد. والمرحلة **الثالثة** والهامة هى توضيح حقيقة إنكار الدولة لأى شكل من أشكال العنف مهمـا كانت أسبابه ودوافعه. وذلك كان أحد أسبابى القوية فى كتابة مقـال بمجلة المصور بتـاريخ ٢٤/٤/١٩٩٧ تحت عنوان **"تصـريحات مـيلاد حنا لا تقل شـراسة عمـا قاله مـرشد الإخوان"** وذلك لرفض مقولة الدكتور ميلاد حنا بأن المسيحيين فى مصر مـواطنون من الدرجـة الثـانيـة. إنه وإن كـانت هناك بعض التـجـاوزات فى المـارسـات الفـردية والشخصية فإن الدولة حريصة على المساواة بين مواطنيها بغض النظر عن معتقداتهم، وتلك حقيقة تؤكدها مواد الدستور المصرى وتوجهات الدولة.

موقف الإسلام من غير المسلمين

من المفاهيم الخاطئة لدى المتطرفين وإرهابيين معاملة غير المسلمين بأساليب لا تتفق وتعاليم الإسـلام من ناحيـة ولا تجد لها تـغطية قـانونية أو دسـتورية من ناحيـة أخـرى. وهنا يـجب التنويه على أن بعض العـمليـات الإرهابيـة التى ترتكب ضـد المسيحيين فى مصر لا تتفق وروح الإسلام، ولكنها مقصورة من قبل الإرهابيين وورائها أهداف عديدة منها محاولة إظهار النظام المصرى بعجزه عن حماية الأقليات المسيحية.

إن فى ذلك دعوة للتدخل الأجنبى فى أشكال متعددة، وعليه فهناك صيغة من صيغ الوفاق أو الاتفاق بين الإرهابيين وأعداء مصر وأعداء الإسلام. إن معاملة غير المسلمين بطريقة لا تتفق وسمو الإسلام يرد عليها القرآن والسنة، وما روى عن معاملة سلف الأمة لأصل العهد والذمة.

أولا: القرآن: قال تعالى فى سورة الممتحنة الآية ٨: **(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين).**

وقال تعالى فى الآية ٤١ من سورة الحج: (الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور).

ثانيا: السنة: نهى **رسول الله صلى الله عليه وسلم** عن إيذاء من يعيشون بين المسلمين ولم يعتنقوا عقيدتهم فقال: **(من آذى ذميا فقد آذانى)** وقال **صلى الله عليه وسلم: (ألا من ظلم معاهداً أو تنقصه أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا خصمه).**

وفى كتاب **رسول الله صلى الله عليه وسلم** لأهل نجران المسيحيين: **(ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله، على أموالهم وملتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم).**

ثالثا: قال عمر رضى الله عنه عقب فتح بيت المقدس: **هذا ما أعطى عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الإيمان: أعطاهم أمانا لأنفسهم فى أموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من خيرها .... إلخ.**

رابعا: السلف والفقهاء: ويذهب طائفة من الفقهاء وعلى رأسهم الإمام الأعظم أبو حنيفة إلى أن قتل المسلم بالذمي أبلغ منه فى قتل المسلم بالمسلم لأن الاختلاف فى الدين قد تحمل على القتل إذا قتل ذميا أبلغ من تحقيقها فى شرع القصاص عن المسلم إذا قتل مسلما.

من كل ما سبق يتضح جليا أن الإسلام يحترم الحياة الإنسانية على الإطلاق، ويحترم حق الإنسان في الحياة، وأنه وضع عقوبة القصاص لحماية الحياة دون نظر إلى جنس القاتل أو مكانته الاجتماعية أو الاقتصادية أو لونه أو دينه. وعلى ذلك فالإسلام يضع الأسس الواضحة لتحقيق العدالة والسلام الاجتماعى لإيجاد المناخ المناسب للتنمية الشاملة وإسعاد البشرية. وهنا يجب التنويه على حقيقة هامة جدا وهى أن جميع الأديان السماوية تحترم حرية العقيدة والاعتقاد وتسمح لتابعيها بالدعوة لدين الله دونما تطرف فكرى أو عنف - أى بالحكمة والموعظة الحسنة - كما أن الإسلام يحترم حق الناس فى الحياة وذلك لأن الحياة هبة من الله سبحانه وتعالى ولا يجب أن يتصرف فيها غيره إلا من خلال قانون الدولة وتشريعاتها ومؤسساتها الشرعية.

زيف الربط بين الإسلام والإرهاب

لقد جاءت الأديان السماوية لتنشر العدالة والسماحة والسمو والسلام بين بنى البشر وعليه فلا نعتقد أننا بحاجة إلى تقديم أدلة فقهية على أن الأديان السماوية بريئة من كل إدعاءات تربط بينها وبين الإرهاب، حيث يميل بعض المغرضين إلى الربط بين الدين والتطرف والإرهاب، وغالبا ما يكون الإسلام ضحية ذلك الربط مع أن الإسلام دين الوسطية وينهى عن الإرهاب فى كافة صوره وأشكاله. قد عالجت جميع الأديان السماوية ما فى النفس البشرية من جموح ورغبات غريزية وحيوانية واستأصلت من هذه النفس غرائز العدوان والعنف، وأهم ما يميز الشرائع السماوية هو الموازنة الدقيقة

بين الحقوق والواجبات، ولقد كفلت آخر رسالات السماء وهى **الإسلام** وفى ظل قيادة رسولها الكريم مبادىء المساواة بكافة أبعادها وجوانبها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فأضحى المجتمع المسلم فى عهد الرسول وخلفائه الراشدين وكأنه أسرة واحدة كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.
وجاء الإسلام فكان بوتقه انصهرت فيها كافة التنوعات العرقية واللغوية والعقائدية، وكانت المساواة السياسية والديمقراطية من أهم مكونات السياسة العامة لإدارة شئون الدولة من خلال البيعة والشورى وما هى إلا أشكال حقيقية للديمقراطية، **فعمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول "لو رأيتمونى على خطأ فقومونى بحد السيف."** كما كفلت الشريعة الإسلامية للجميع حرية العقيدة وكان أهل الكتاب يتمتعون بحقوقهم فى ظل نظام يسوده الأمن والاستقرار لكافة المواطنين شريطة الالتزام بأمن المجتمع، كما أن التاريخ الإسلامى حافل بعدالة ونزاهة القضاء والنظر إلى الجميع على أنهم متساوون بغض النظر عن توجهاتهم وعقيدتهم وفكرهم ولونهم وجنسهم ولم يكن هناك أى نوع من الإرهاب الفوضوى Anarchism فكان **سيدنا عمر** ينام تحت نخلة فيراه الناس ويقولون "**حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا عمر.**"

من كل ما سبق تتضح عظمة الإسلام وهو المكمل والمتمم لكل رسالات السماء.
ورغم عظمة الإسلام ومظاهر تجليها فى أوائل عهد الدولة الإسلامية، حيث كانت هناك قواعد تحمى هذه المظاهر وتعمل على خلق القيم الثقافية للمجتمع الإسلامى إلا أن الإرهاب الفردى كان منتشرا وليس أدل على ذلك من اغتيال بعض الخلفاء الراشدين وعلى رأسهم الخليفة العادل عمر بن الخطاب. إلا أن العنف والإرهاب المنظم بالشكل الذى نراه حاليا فى بعض دول العالم الإسلامى فهو جديد على الأنظمة الإسلامية والمجتمع الإسلامى، وكلها دلائل على انتشار الأمية الإسلامية بين المسلمين وغيرهم.
والمبادىء الإسلامية ضد أى اعتداء على الغير فى أى صورة من الصور وكلنا يعرف

المعالجة الإسلامية لجرائم **الحرابة والبغى** وكلاهما من أنماط العنف الموجه ضد المجتمع وأفراده، ولنذكر على سبيل المثال لا الحصر بعض الآيات التى تتعرض لهذه الأنماط ففى **الآية ٣٣** من سورة المائدة يقول الله سبحانه وتعالى:

"إنما جزؤا الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الأخرة عذاب عظيم." صدق الله العظيم

وطبعا الحرابة هى قطع الطريق على الناس ومحاربتهم فى أرزاقهم وأولادهم وأنفسهم ومعادة النظام الشرعى للدولة والعمل على خلخلة دواعى الاستقرار فى المجتمع، كما أن البغى يعنى الخروج عن طاعة الإمام فعالية وتأويلا، والبغاة فى الإسلام هم طائفة من المسلمين خالفوا رأى الجماعة وانفردوا بمذهب ابتدعوه، والحرابة والبغى ظواهر كانت ضئيلة أيام الإسلام الأولى ولكنها بدأت تأخذ شكلا جماعيا مع ظهور الخوارج الذين خرجوا على طاعة **الإمام على بن أبى طالب** رضى الله عنه وكرم الله وجهه. وعليه فالذى يفرق بين الحرابة والبغى هو وجود التأويل فى الأخيرة، لكن الصفة الغالبة لهذه الجرائم هى الإضرار بدواعى استقرار المجتمع ورفاهية أفراده. ونعتقد - والله أعلم - أن ما يتم هذه الأيام فى بعض بلاد العالم الإسلامى من ظواهر العنف السياسى يشبه إلى حد كبير جرائم البغى فى الإسلام حيث إن جماعات الإسلام السياسى يستخدمون التأويل لمقاصدهم من خلال الفهم الخاطىء للدين والبدع. إن التفسير السياسى للدين بهدف استغلاله للوصول إلى غايات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية. غالبا ما يؤدى إلى تفشى أمراض التطرف التى تظهر أعراضها فى صور متعددة تبدأ بالإرهاب الفكرى والنفسى وتنتهى بالإرهاب الدموى.

وبصفة عامة فإن الإسلام، مثله فى ذلك مثل الأديان السماوية الأخرى، جاء لينشر روح المحبة والتراحم والسلام بين الناس ووضع القواعد والمبادىء العامة لذلك وكلها قواعد ومبادىء **وقائية** تجعل المسلم يقى نفسه وعشيرته شرور الغرائز الحيوانية مثل العنف والعدوانية والإرهاب، كما أن الإسلام أيضا يضع قواعد **علاجية** إذا ما حدثت بعض هذه المظاهر فهناك الحدود الزاجرة الفاصلة التى تقضى على الداء وتحول دون عدوى الآخرين به، وفى ذلك فإن الأئمة الأربعة قد أقروا إباحية مقاتلة المتطرفين والإرهابين حتى يعودوا إلى صوابهم ويرجعوا إلى الطاعة والالتزام. وفى نهاية هذا الفصل نريد أن نصل إلى حقيقة هامة ومؤكدة وهى أن أى محاولة للربط بين الإسلام والتطرف والإرهاب عبارة عن زيف قد يكون نتيجة الجهل بالإسلام أو محاولة تلويثه وذلك يستوجب جهد مكثف لجعل هذه الحقيقة ثقافة عامة للمجتمع الإنسانى.

الفصل السابع

قضية الاغتراب وعولمة التطرف والإرهاب

الفصل السابع: قضية الاغتراب وعولمة التطرف والإرهاب

ملخــص

إن التطرف الفكرى كمرض اجتماعى قد يكون من أسبابه أو نتائجه الغربة عن المجتمع، وتلك الظاهرة عكس الانتماء والتوحد مع حركة المجتمع وتوجهاته. وعلى ذلك فإن التطرف الفكرى يرتكز أول ما يرتكز على علاقة الإنسان بمجتمعه بغض النظر عن الأفكار والثقافات السائدة فى المجتمع، وذلك لا يعنى أن هذه الأفكار والثقافات لا تؤثر على سرعة نمو الظاهرة وتفاقم أعراضها. كل ذلك يعنى أن ظاهرة التطرف هى فى الأصل اغتراب وهذا الاغتراب قد يتم لأى إنسان فى أى مجتمع وبالتالى فإن التطرف الفكرى مرض إنسانى قد يتطور ليكون ضمن أعراضه إرهاب لا يجب أن يلصق بفكر معين بقدر ما يجب أن يُقبل على أنه ظاهرة عالمية تستخدم فيها الفلسفات والأديان كأدوات فقط، مع محاولة استغلال الأمية الثقافية والدينية السائدة بين بعض قطاعات المجتمع. وعليه يجب التنبه إلى عولمة الظاهرة وخطورة التعاون بين عناصرها بغض النظر عن الفلسفات التى تتبناها لخداع حوارييها. ويتعرض هذا الفصل أيضا لموضوع هام وهو تعرض بعض شبابنا الذين يسافرون فى مهمات علمية أو وظيفية إلى الخارج لعدوى التطرف الفكرى، وهنا نركز على بعض المبتعثين للحصول على درجات علمية من جامعات الولايات المتحدة الأمريكية.

مقدمة

إن الإرهاب أصبح ظاهرة اجتماعية يجب عدم تجاهلها، ولكن هذه الظاهرة

أصبحت غير محددة بزمان أو مكان أو بيئة أو ثقافة معينة، والتاريخ الحديث يوضح أن الظاهرة أصبح لها صبغة العالمية فى نموها وتطورها، وأن عولمة هذه الظاهرة جعل الفهم العام للظاهرة بنظرة سطحية محدودة فهماً قاصراً لا يفيد فى علاج المرض، ولكن قد يشخص بعض الأعراض فقط. وفى خلال عام ١٩٩٥ تعرض الرئيس **محمد حسنى مبارك** لمحاولة اغتيال آثمة وفاشلة فى أديس أبابا على أيدى متطرفى الإخوان المسلمين، ونجحت محاولة اغتيال إسحق رابين رئيس وزراء إسرائيل السابق على يد متطرف يهودى، وقام أحد أعضاء الجناح الأيمن لميليشيا ميتشيجن وهو مسيحى الأصل بتفجير المبنى الحكومى فى مدينة أوكلاهوما بالولايات المتحدة الأمريكية وكانت النتيجة قتل أكثر من مائة شخص منهم ثمانية عشر طفلا، ونجحت مجموعة الحقيقية العظمى فى اليابان فى قتل العديد من المواطنين اليابانيين بإطلاق غاز عصبى فى مترو أنفاق طوكيو، وفى نهاية عام ١٩٩٥ تم الاعتداء على السفارة المصرية فى الباكستان وللأسف فقد تنافست أربع جماعات متطرفة فى إعلان مسئوليتها عن الحادث المؤسف، الذى راح ضحيته بعض الأبرياء فى السفارة المصرية الذين يعملون لخدمة مصالح مصر ورعاياها.

عولمة التطرف والمظاهر العامة

إن عولمة الظاهرة الإرهابية تعنى أن هناك متغيرات عديدة ولكن العنصر الثابت فيها هو الإنسان وعليه فإن الظاهرة لا ترتبط [illegible]ين معين أو فلسفة معينة بقدر ارتباطها بالحالة النفسية والسيكولوجية والوجدانية والاجتماعية والاقتصادية للمتطرفين، كذلك المناخ الذى يمكن أن ينمى ظاهرة التطرف والمناخ الذى قد يسمح لهذا المرض الاجتماعى أن يعبر عن نفسه فى صورة أعراض عديدة منها الإرهاب بكافة أشكاله. وعليه فإنه برغم اختلاف الفلسفات التى يمكن أن تشكل فكر التطرف والإرهاب إلا أنه يمكن إجمال بعض المظاهر العامة للتطرف والتى يمكن تلخيص بعضها فيما يلى:

(١) حروب الكلمات دون المضمون.

(٢) الجدل حول الموضوعات السطحية.

(٣) استغلال الدين لأهداف شخصية.

(٤) محاولة تضييق فكر الناس وتعميته.

(٥) اللعب بالمشاعر ومحاولة إلهابها.

(٦) النظرة إلى الاعتدال أو الوسطية على أنه شرك بالله والمبالغة فى النظرة إلى أمور التوسل والوسيلة التى ينتهجها بسطاء المسلمين.

(٧) اتهام الآخرين بالكفر والاعتداء على حرية عقيدتهم، وإصدار الأحكام بدون حيثيات أو براهين.

(٨) الاعتداء على الأقليات والمجموعات الضعيفة فى المجتمع.

(٩) الخلط بين مفهوم الثقافة الجنسية وثقافة الجنس والنظر إلى المرأة على أنها أداة لإشباع حاجات الرجل وإغفال دورها فى التنمية القومية.

(١٠) الاعتماد على المأثورات ضعيفة السند حينما تخدم أهداف التطرف.

(١١) تشويه معانى الديمقراطية وقذف الآخرين إلى حد تكفيرهم.

(١٢) الخواء الفكرى والتركيز على الأشخاص دون الموضوعات.

(١٣) فقد الثقة فى مقدرة الآخرين على الإصلاح، وإشاعة ذلك بين جموع المواطنين لكسب تأييد القاعدة بصفة عامة والتعاطف مع مظاهر العنف التى يستخدمونها بصفة خاصة.

(١٤) العمل بأسلوب التنظيمات السرية، وذلك لإحساسهم بالانعزال عن المجتمع.

(١٥) استغلال بعض الأزمات التى تعانى منها الدولة للهجوم على رموزها ومحاولة كسب تأييد المواطن البسيط. وفى ذلك قد يرتكبون الجرائم ويصورونها دفاعا عن حقوق المواطن ومحاولة العودة بمسيرة الوطن إلى شرع الله.

(١٦) التقليل من حجم الإنجازات القومية طالما أنها على أيدى آخرين لا ينتمون إلى جماعاتهم. إن أسلوب النقد لدى المتطرفين يخلو من البرهان والدليل كما لا يعتمد على الأسلوب الحضارى فى الاستدلال، وعليه فيتحول النقد إلى تشويه.

(١٧) عدم وضوح أهداف الإرهاب التكتيكية وإخفاء الأهداف الاستراتيجية عن العامة وحتى عن بعض المنتمين إلى جماعات الإرهاب.

(١٨) عدم الاستقرار وإشاعة مناخ الخوف والرعب تعتبر البيئة الخصبة لنمو الظاهرة واستغلالها، وعليه فيميل المتطرفون إلى المحافظة على هذا المناخ ومعاداة التقدم والتنمية.

(١٩) محاولة التشكيك فى قيمة الانتماء للوطن بطرق قد تبدو شرعية مع اتهام المنتمين على أنهم قوميون. مع أن الأدلة الصحيحة فى الإسلام (القرآن والسنة) مثلا تحض على الانتماء.

(٢٠) اتهام رموز الدولة بالكفر والفساد دونما دليل وإطلاق الإشاعات بين الناس لخلخلة الثقة بالمسئولين، علما بأن **الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما)، وقال: (إذا رأيتم الرجل يرتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان)، وقال: (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة).**

وعلى ذلك فإن التطرف عبارة عن منا[illegible]ة لفكر الخواء واليأس السياسى الذى يحاول تضييق مجال الاختيارات أمام الناس، حيث إن الغاية النهائية للفكر المتطرف هى تقوية المركز السياسى والاجتماعى لأصحاب هذا الفكر، فإنه كثيراً ما يعتمد المتطرفون على استخدام الأساليب السيكولوجية لخلق مناخ من الخوف بهدف إجبار الناس على قبول فلسفة التطرف ووسائل التعبير عنها والتى قد تصل إلى حد التصفية الجسدية، وبذلك يميل الإرهابيون إلى قتل بعض الأبرياء. وليس القتل فى حد ذاته

هدفهم ولكن الهدف من وراء القتل هو خلق مناخ الخوف وإرباك الحياة اليومية والاجتماعية وإصابة المعارضة لهذا الفكر بالشلل التام وإن كانت فى كثير من الأحيان أغلبية. إن مشكلة العالم النامى هى أنه كثيرا ما تنتشر فيه الأغلبيات الصامتة التى تسكت عن الحق أحيانا، وفى ذلك تقوية لموقف الباطل وإن كانت فى الأصل غير مقصودة. ذلك ما حدث فى كثير من دول العالم حينما سكتت الأغلبية ولم تقف مع أجهزة الدولة لعلاج المرض. والمتطرفون المسلمون يجدون أن وسيلتهم للوصول إلى أهدافهم الشخصية هى صبغ الإسلام بالصبغة السياسية، وذلك من خلال بعض المفاهيم الخاطئة حول الدين والتى قد تُمزج أحيانا بعادات البدو والجاهلية. والأديان والفلسفات باختلاف أنواعها تستخدم فى الأيام الأخيرة بهدف الحصول على مكاسب سياسية لبعض المجموعات المنظمة.

فى هذا القرن، أكثر من أى قرن مضى، تحتاج البشرية إلى التعليم حيث يصعب استغلال المتعلمين لخدمة الفكر المتطرف، وذلك لأن الإنسان المتعلم يستخدم المنهج العلمى فى فهم الأشياء، وعلى النقيض من ذلك فالإنسان الجاهل قد يكون فريسة لقبول بعض الأفكار المتطرفة التى تقدم له فى صورة توهمه بأن فى ذلك حفاظا على الدين والدولة. والتعليم يعتبر أسلوبا للوقاية من البرمجة السيكولوجية التى كان بعض شبابنا فريستها على مر عقود مضت، وهذه البرمجة تجعل من الإسلام وعادات البدو مزيجا يهدف إلى رفض التطور وعدم المساواة خاصة بين الجنسين مع أن الإسلام جاء ليهذب النفس البشرية ويطور المجتمع. وحيث أن الإرهاب أصبح ظاهرة عالمية وعليه فلا يمكن استبعاد وجود شبكات اتصال نشطة لتبادل المعلومات والذى قد يكون بعضها أساسا لتكنولوجيا بسيطة يمكن استخدامها لإشاعة الرعب والفزع بين أفراد المجتمع. وفى هذا المجال لا يفوتنا أن نذكر أن شبكات المعلومات العالمية والمتاحة بأرخص التكاليف قد أصبحت مصدرا خطيرا لهذه المعلومات فمثلا قام مفجر

المبنى الحكومى بمدينة أوكلاهوما بالولايات المتحدة الأمريكية باستخدام شبكة الإنترنت فى الحصول على المعلومات التى يمكن استخدامها لعمل قنابل من أبسط المواد مثل بعض عبوات البلاستيك والأسمدة الكيماوية.

والدول يجب أن تتعاون فى محاولة لكبح جماح هذا التطرف والقضاء عليه نهائيا، مع الأخذ فى الاعتبار بأن نمو الظاهرة فى بلد قد يؤثر على بلاد أخرى بطرق مباشرة وغير مباشرة. وهذه المحاولات تحتاج تعاون رجال الدين والقانون وعلم النفس وعلم الاجتماع بنفس درجة تعاون رجال الأمن العام والأمن القومى والبوليس السياسى .... إلخ، مجتمعين فى قالب واحد، وفى محاولة لإيجاد صيغة مناسبة للتعامل مع أمراض التطرف الفكرى، بأساليب وقائية وعلاجية، وعلى الدول ألا تترك مواطنيها العاديين يواجهون باختيار صعب بين النظم الدكتاتورية من ناحية والتطرف من ناحية أخرى. وإذا ما حاولت بعض الدول مواجهة الإرهاب دون عمل إصلاح داخلى على المستوى السياسى والمستوى الاقتصادى تصبح الجماهير فى وضع استعداد لثورة قد تقودها عناصر إرهابية أو متطرفة وذلك كما حدث فى بعض الدول العربية وإيران ـ وكذلك فإن التعاون بين وسائل الإعلام ورجال القانون والدين والأمن من أهم وسائل مكافحة التطرف والإرهاب فى المستقبل. إن الدعامة الأساسية فى مقاومة الأمراض المجتمعية وخاصة أمراض العنف ترتكز على أربعة محاور هامة وهى **التنمية الشاملة والتعليم والديمقراطية** ... ء. والتنمية الشاملة لا تعنى النمو الاقتصادى ولكنها عملية اجتماعية يكون الإنسان أهم مكوناتها والمستفيد النهائى منها. وعلى دول العالم النامى التى تعانى من بعض أشكال العنف الداخلى أن تحول مواردها البشرية إلى رأس مال بشرى وفكرى قادر على حسن استغلال الثروات والموارد الطبيعية وإضافة القيمة التكنولوجية التى تعظم من حجم الدخل القومى اللازم لبناء الإنسان.

إن التعاون العالمى يجب أن يحل محل السياسات الخفية لبعض الدول (وبعضها عربية) التى تساعد الإرهاب والتطرف. يجب أن يكون لدينا مفهوم واضح وهو أن من يساعد الإرهاب اليوم سوف يصبح فريسته فى الغد، والشرق الأوسط ليس أمامه إلا أن يطور سياسات وخططاً مشتركة تكون استراتيجياتها الأمن القومى العربى والسلام فى الشرق الأوسط. ويجب أن تتعاون هذه الدول على مستوى أجهزة مخابراتها وتتبادل المعلومات الخاصة بنشاط المتطرفين والإرهابيين وديناميكيتهم القومية والدولية، كما يجب أن تلتزم دول العالم بتسليم الإرهابيين إلى الجهات التى ارتكبوا ضدها جرائم إرهابية. وأهم مما سبق كله ـ كما سبق أن نوهنا ـ هو أن تهتم هذه الدول بتنمية شاملة وتنمية حقيقية للموارد البشرية بها يكون ضمن أهدافها الاستراتيجية عدم الاعتماد على المعونات الأجنبية وتدعيم القدرات الذاتية. إن التطرف الفكرى أصبح أحد الأمراض الاجتماعية التى يساعد على انتشارها وتفشيها عوامل الحرمان والفقر والجهل وغياب المناخ الديمقراطى، الذى يسمح بتنفيث الفكر الشاذ وتفريغه من شحناته العدائية والعودة بتابعيه أو مريديه إلى الخط العام الذى قد نختلف على وسائله ولكن لا نختلف على أهدافه. إن الأهداف الحقيقية هى أن تقوم الدولة بعمل تنمية شاملة يكون الإنسان أداتها وهدفها للوصول إلى غاية سامية وهى الأمن والأمان للمواطن باختلاف عقيدته وجنسه ولونه وحسبه ونسبه ... إلخ. وبالطبع كل ذلك يتمشى مع روح الدستور المصرى وشريعة السماء.

إنه بالرغم من زيادة عدد ضحايا حوادث السيارات وجرائم القتل العادية إلا أن الإرهاب الجسدى له توابع سياسية أكثر. **وفى جميع الحالات يجب أن يكون تحرك رجال الأمن محسوسا ومحسوبا حتى لا يشكل تهديداً لأمن المواطن العادى قد يكون أسوأ فى نظره من تهديد الإرهاب. وعليه فيجب على الحكومة أن توازن بين حقوق المواطن العادى والتكتيكات المطلوبة للتعامل مع التطرف والإرهاب.** إن سياسة الانتقام

التى تنتهجها بعض الحكومات قد تجعل المواطن العادى يتعاطف مع الإرهابين على أنهم مغلوبون على أمرهم محاولا فى ذلك إيجاد أعذار للسلوك الإرهابى مع نمو شعوره بالرفض لأعمال الحكومة وتلك الظاهرة (التعاطف مع الفكر المتطرف والسلوك الإرهابى – والرفض للحكومة والتشكيك فى جديتها بعمل إصلاحات اجتماعية واقتصادية وسياسية) ما هى إلا عرض لمرض اجتماعى عاشته إيران لبعض الوقت وللأسف تعيشه الجزائر والسودان فى الوقت الحالى وهذا المرض يسمى الشيطان الفقير "Poor-Devil Syndrome".

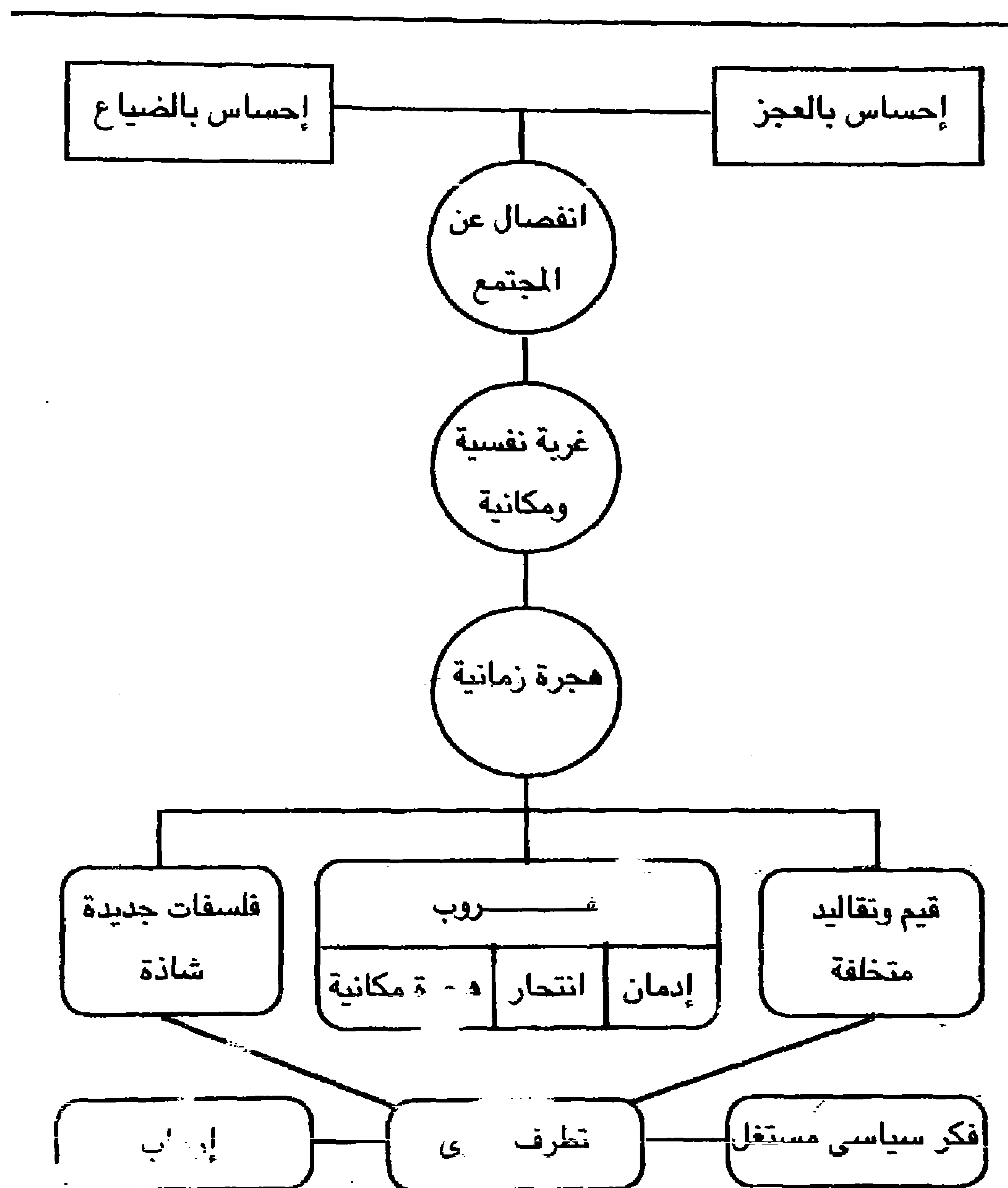
كذلك فإن تبادل إجراءات العنف بين الدولة وبعض مرتكبى موجة الإسلام قد يلقى مراما لدى المسلمين المهاجرين إلى بعض الدول الأجنبية مما يبرر لهم الهجوم على بلادهم ونظامها السياسى. هذه الظاهرة ظهرت بين المصريين، خاصة الذين هربوا من السلطات المصرية بالسفر للخارج بعد تصاعد الخلاف بينهم وبين الرئيس عبد الناصر فى الخمسينيات. نفس الظاهرة تنمو الآن بين بعض المسيحيين الذين هاجروا للخارج وغالبا ما يظهرون استيائهم بسبب وبدون سبب، كما أن بعضهم وخاصة المنضمين للجمعية القبطية الأمريكية، يقومون بتزييف بعض الحقائق وذلك لإحراج النظام المصرى لدى دول العالم الغربى والولايات المتحدة الأمريكية، خاصة أثناء زيارة بعض الشخصيات المصرية الهامة للـ ـرج ـ لهذه الدول.

تطور الفكر المتطرف وتحوله إلى ظاهرة إرهابية

وعلى أية حال فهناك بعض الدوائر المتصلة فى تطور عمليات التطرف الفكرى إلى إرهاب وكذلك التوابع السياسية التى يمكن أن تؤدى إلى ثورة فكرية أو دينية، تأتى بحكومة متطرفة تكبت الحريات والآراء ولاتهتم بمصالح البلاد، والمثل على ذلك واضح فى ثورة الخمينى بإيران. وهذا يفرض سؤالا هاما وهو كيف يمكن أن يتحول الفكر

المعتدل إلى فكر متطرف؟ والإجابة عن هذا السؤال معقدة ومتعددة ولكن أحب أن أشير إلى بعض الكلمات التي جاءت في محاضرة بعنوان الجامعات وتحدي العصر ألقاها **الأستاذ الدكتور حسين كامل بهاء الدين وزير التعليم** في افتتاح الموسم الثقافي بجامعة القاهرة (١٨/١٠/١٩٩٥) حيث قال سيادته "**إن التطرف الفكري عبارة عن هجرة زمانية نتيجة غربة مكانية**". وقد أعجبني هذا التعبير البليغ وجعلني أتصور هذه الهجرة في عقول المتطرفين وأضع الرسم التخطيطي التالي [شكل رقم (٦)] ليعبر عن التحولات النفسية التي تجعل من الجاهل متطرفا يستغله الآخرون لمصالح سياسية.

والمدقق لتعبير السيد وزير التعليم والشكل يجد أن الأصل في موضوع التطرف والإرهاب هو الغربة المكانية وهذه الغربة قد تحدث للإنسان في أي مجتمع بغض النظر عن الاتجاه العقائدي لهذا المجتمع، وعليه فإن هذا الشكل يوضح أيضا أن الظاهرة مرتبطة بالإنسان ومدى قدرته على الانفراد بمناخ خاص وإطار شخصي يجعله بعيدا عن المجتمع في فكره وسلوكه وتوجهاته وهنا تظهر الغربة المكانية وهي عكس الانتماء وهذه الغربة تجعل توجهات الإنسان غير متفقة مع المنهج العام للمجتمع، وقد يؤدي عدم التناغم والانسجام والتآلف مع حركة المجتمع إلى يأس يستتبعه ميول عدوانية على المجتمع وقياداته.



شكل رقم (٦). يوضح هذا الشكل أن الغربة والإحساس بالعجز هما من أخطر مسببات الأمراض الاجتماعية وعلى رأسها التطرف الفكرى، وهنا يجب التنويه على أن التحول لا يرتبط بزمان أو مكان أو عقيدة معنية.

والشكل يوضح أن الهجرة الزمانية تعنى انفصال الإنسان عن القيم المجتمعية السائدة فى بلده وهذا الانفصال قد يكون من أسبابه الإحساس بالضياع والعجز الذى قد يرجع إلى أسباب متعددة منها أن الإنسان نفسه غير مؤهل وليس لديه من المهارات ما يجعله قادراً على الحصول على ما يريد لإشباع رغباته وتطلعاته، أو أن الحالة الاقتصادية بصفة عامة متدهورة ويجد الإنسان نفسه قيمة معطلة لا تجد المناخ المناسب لإثبات ذاته واستخدام قدراته، ولسنا فى مجال البحث عن أسباب حيث إن الأسباب متداخله ويساعد بعضها الآخر فى علاقات عضوية ودائرية.

وحينما يحس الإنسان بالعجز والضياع وينفصل عن مجتمعه فلا يجد أمامه إلا الهجرة المكانية أو الزمانية وكلها تعنى الإحساس بالغربة والاغتراب، والاغتراب عكس الانتماء. والهجرة المكانية عمل مفيد وقد أوصى به النبى صلى الله عليه وسلم فى سيرته حيث كانت هجرته من مكة إلى المدينة. ونظراً لعدم توفر فرص عمل كافية ومناسبة فى الداخل فقد يحاول بعض الشباب البحث عن هذه الفرص خارج حدود الوطن، وذلك سلوك سوى ولكن يجب أن يحمل هؤلاء الشباب فى قلوبهم وعقولهم أن الدولة التى أنفقت عليهم الكثير لتنمية قدراتهم البشرية وتطوير مقدرتهم على العطاء من خلال عمليات التعليم المجانى والرعاية الصحية والاجتماعية ما زالت تنتظر منهم دفع ضريبة هذه الرعاية فى صور متعددة أولها الهوية المصرية والانتماء الوطنى، وآخرها الإسهام المادى وعودة رأس المال المصرى للاستثمار داخل حدود الوطن حتى يمكن مواصلة الرعاية والمواطنة لأبناء الوطن الذين لايزالون فى أول أو منتصف الطريق. ولكن قد يترتب على هذه الهجرة أن ينشغل الشباب بتلقى ثقافة وعادات جديدة مثل ثقافة البدو وعادات العرب القديمة، التى تسربت إلى الإسلام لتسيىء إليه أحيانا، كما قد تقود المهاجرين إلى حالة من العزلة عن المجتمع بعد عودتهم إلى مواطنهم الأصلية. وفى هذه الحالة قد يعبرون عن عزلتهم ببعض الأشكال من خلال

التقليد والتمسك بالمظاهر التى قد تكون دافعا لصحوة دينية شكلية. ويجب التنويه أيضا على أن فكر التطرف قد ينمو ويتطور بعيدا عن أرض الوطن ثم يتم تصدير هذا الفكر بعد ذلك إلى أماكن متفرقة، وهنا ننبه على خطورة التجمعات الطلابية للمسلمين العرب فى جامعات الولايات المتحدة الأمريكية كما سيأتى ذكره فى الجزء الثانى من هذا الفصل. وفى هذا الجزء أيضا نقدم بعض المقترحات التى يمكن من خلالها الوقاية من وقوع شبابنا فى مصائد وحضانات التطرف الفكرى الموجودة والمعروفة فى جامعات أمريكا.

الجامعات الأجنبية والإسلام السياسى

أعلم أن وزارة التعليم المصرية تقوم بجهد خارق حتى تعود العملية التعليمية إلى أهدافها المنشودة، التى تتلخص فى تنمية الموارد البشرية حتى تكون قادرة على استخدام المصادر الطبيعية والمادية والتكنولوجيا وثورة المعلومات استخداما يُمكّن مصر من دخول سوق المنافسة العالمية فى عالم الكوكبة الجديد. كما أعلم أيضا أن الوزارة تقوم بجهد لا يقل أهمية عن عمليات التنمية التقنية ألا وهو تنمية الشباب فى مراحل التعليم حتى تصبح ثقافة المواطن المصرى هى ثقافة الأمن والأمان والانتماء بعيدا عن تطرف الفكر أو إرهابية الحوار.

وفى نظام العولمة الجديد يأخذ ال[illegible]ـرف الفكرى والإرهاب أ[illegible]كالا جديدة ومتعددة تشترك فى الأساليب رغم اختلافها بل وتنافرها أحيانا فى الفلسفـ[illegible]. وفى هذا المجال فإننا نرى أن بيئة الإرهاب أصبحت متعددة بل متعدية الجنسيات وتحتاج منا إلى وقفة، لا سيما وأن بعض شباب مصر الذين يسافرون إلى البلاد العربية والأجنبية بحثا عن العلم أو المال، قد لا تتوفر لهم بيئة ومتطلبات إنماء وتطوير روح المواطنة وعقيدة الانتماء. وهنا أركز على بعض الشباب الذين يسافرون فى مهمات

علمية أو للحصول على درجات الماجستير أو الدكتوراه من الدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية.

إن الحركة الإسلامية فى الدول الأجنبية أصبحت نشطة جدا وهذه ظاهرة طيبة، ولكن تُستغل هذه الحركة من قبل قيادات الإسلام السياسى الذين لم يكن الإسلام، للأسف، لديهم سوى وسيلة استغلوها للوصول إلى بعض الأهداف الاقتصادية والسياسية، وقد تصل حدة هذه الأساليب إلى الإرهاب القومى، كما حدث من قبل فى إيران. إن النشاط المتميز لقيادات الإسلام السياسي فى الخارج قد يؤثر فى تشكيل أفكار بعض شبابنا بعيدا عن سماحة وسلام الإسلام وتكون النتيجة هى تصدير الفكر المتطرف إلى مصر أو القيام بعمليات إرهابية محدودة (الآن) أو غير محدودة (فى المستقبل) داخل أو خارج حدود الوطن. إن مستقبل هذه العمليات قد يهدد المواطن العادى الذى يسافر للخارج ولا تُكفل له وسائل الحماية التى تُكفل للدبلوماسيين، وهذا يهدد التنمية فى مصر وقد يهدد علاقاتنا ببعض دول العالم. إننا لا نهدف من وراء هذه المقدمة توريط بعض النظم الأجنبية فى السماح لرجال الدين السياسى بنقل بعض أنشطتهم لهذه البلاد وذلك هروبا من السلطات المصرية واستغلالا لمناخ بعض هذه الدول، ولكن قيادات الإسلام السياسى فى الخارج قد يستغلون المناخ الديمقراطى الموجود فى بعض الدول الغربية لمزاولة نشاط لا يعتبر من وجهة نظر هذه الدول معاديا لنظمها أو مهددا لأمنها الداخلى والخارجى. إن نشاط الفكر المتطرف قد يسهل اشتراك عناصر أخرى فى عمليات التخطيط لنقل هذا الفكر أو التعبير عنه داخل بلادنا، وعليه فيجب علينا توفير الحماية الفكرية لشبابنا الذين يسافرون فى مهمات علمية مؤقتة ولكنها طويلة وقد تسمح لهم بالانقياد إلى مثل هذه المؤثرات الفكرية الشاذة. لا يقف الحال عند التطرف الدينى ولكن قد يتعداه إلى بعض أشكال التطرف الأخرى التى شوهدت فى الآونة الأخيرة وسميت بعبدة الشيطان.

إن سفاراتنا بالخارج عليها دور خطير يتعدى دور الحقائب الدبلوماسية: دور فكرى إيجابى واعٍ يتعدى المصالح الشخصية والوظيفية إلى مصالح الوطن. إن تأمين ثقافة المواطنين المصريين الموجودين فى مهمات شخصية أو مؤسسية أو قومية خارج الوطن، مع المحافظة على علاقات نشطة ومستمرة معهم تتعدى العلاقات الهاتفية والبريدية والمالية، كل ذلك يُعد من أخطر مسئوليات السفارة المصرية بالخارج. إننا فى حاجة إلى أن يقوم المستشار الثقافى بدور رئيس الجامعة فى البلد التى يعمل بها حتى يكون مسئولا، ليس فقط عن تنمية مهارات المبعوثين، ولكن أيضا عن تنمية صفاتهم وانتمائهم الوطنى. إننا نهيب بوزارة التعليم، بالتعاون مع وزارة الخارجية المصرية وجهاز الأمن القومى، أن ترتكز استراتيجية سفر مبعوثيها على المحاور التالية:

(١) تعاون وزارات التعليم والأوقاف وجهاز الأمن القومى فى إعداد وتوجيه مبعوثى الجامعات المصرية قبل سفرهم للخارج بما يحفظ ويثرى روح الانتماء.

(٢) الاتصال المباشر والمستمر بين المكاتب الثقافية ومبعوثى الجامعات المصرية بهدف المحافظة على الإحساس الوطنى وتطوير عقيدة الانتماء بعيدا عن أساليب كتابة التقارير، ر [illegible] لا نتعامل فقط مع الأعراض ولكن نتعامل مع الأسباب التى قد تؤدى إلى انحراف شبابنا عن سماحة الإسلام وانتمائه لوطنه حبا، فهما وعملا.

(٣) رصد حركة قيادات الإسلام السيـ[illegible]ى، خاصة المـ[illegible]ـين منهم، وتفهم طبيعة وديناميكية علاقات التعاون [illegible] ـكات التطرف العالمية.

(٤) مبادرة مصر بعمل اتفاقية عا[illegible] لمحاربة الإرهاب وتسليم [illegible] فى عمليات إرهابية على أن تكون هذه ا[illegible]ـبادرة تقنينا يتحمل من خلاله مجلس الأمن مسئولية تنفيذ بنود الاتفاقية. نعلم أن بعض هذه الاتفاقيات موجود فى ملفات المنظمات العالمية، ولكن تنفيذ بعض هذه الاتفاقيات يعتبر منقوصا ويحتاج إلى بعض التعميم.

(٥) إعادة النظر فى أسلوب تكليف المعيدين أوتعيين الحاصلين منهم على درجة الدكتوراه فى وظائف أعضاء هيئة التدريس حتى لا يتسرب إلى جسم الوطن الجامعي من لهم توجهات، لاتختلف فقط فى الوسائل ولكن تختلف فى الأهداف عن أهدافنا القومية.

(٦) تطوير أساليب الاتصال بين مكاتبنا الثقافية والجامعات الأجنبية على أن تقوم هذه الجامعات بتقديم صورة من تقارير التقدم العلمى للمبعوثين المصريين إلى الجامعات المصرية.

(٧) إعطاء صلاحيات أكبر للقنصليات وذلك فيما يختص بمتابعة المبعوثين والاتصال بجامعاتهم لمعرفة مدى تقدمهم العلمى وحل مشكلاتهم العلمية والاجتماعية ودعوتهم للاحتفال بالمناسبات القومية، خاصة تلك المناسبات التى تجعل الإنسان المصرى فخورا بمصريته وذلك مثل انتصارات حرب أكتوبر ١٩٧٣.

(٨) أن ترتبط الموافقة على مد البعثات والمهمات العلمية بالإنجاز الحقيقى للمبتعث كما تدل عليه تقارير الجامعة الموفد اليها.

(٩) أن تكون هناك معايير واضحة وموضوعية لاختيار العاملين بسفاراتنا وقنصلياتنا بالخارج حتي لا تتحول الوظائف بسفاراتنا إلى إعارات لا تتوافق فيها أهداف العاملين الشخصية مع أهداف السفارة القومية. ومن ثمَّ تفقد ألوظيفة إيجابيتها العملية وتتحول إلى مجرد شكل.

(١٠) سفر السادة رؤساء الجامعات والالتقاء بمبعوثى جامعاتهم مرة كل سنة على الأقل، خاصة إلى الدول التى تحظى بأكبر عدد من الدارسين المصريين. وذلك لتتبع مسيرة العمل والوقوف أمام الظواهر وتقييمها.

(١١) يُمكن الدعوة لمؤتمر للمبعوثين ينظمه المكتب الثقافي ويُدعي إليه وزير التعليم وبعض القيادات الوطنية لمناقشة أهم قضايا العصر. نعلم أن هناك

أنشطة مماثلة، ولكن نعلم أيضا غياب المتابعة وتغليب الشكل على المضمون.

(١٢) التركيز على تقديم خدمات التسكين والإقامة والإعاشة للمبعوثين قبل وفور وصولهم حتى لا تتلقفهم أيدي المتطرفين ورجال الإسلام السياسي.

(١٣) الاهتمام بإعداد الكوادر الوطنية ورعاية القيادات الجامعية الواعدة مع إعطائهم فرصة المشاركة في تأمين ثقافة المبعوثين بالخارج.

(١٤) ربط الحصول على مهمات علمية أو بعثات بالمهارات التقنية ومهارات الاتصال بالطلاب والقدرة على تنمية عقيدة الانتماء وتطوير روح المواطنة الجامعية والقومية. يجب أن تتم عمليات التنمية والتطوير بتلقائية حتى لا تتحول برامج إعداد القادة إلى نشاطات تؤثر على الثقة في ثقافة المؤسسة الجامعية.

(١٥) أن تحتل الأقدميات مرتبة متأخرة في معايير اختيار المبعوثين من المعيدين والمدرسين المساعدين وأعضاء هيئة التدريس.

(١٦) أن تُقدم تقارير موضوعية وافية في نهاية المهمة العلمية من كل من المبعوثين والجامعات التي أُوفدوا إليها. ويجب أن تكون هذه التقارير متاحة، حيث إن سرية التقارير قد تهيىء مناخا لاستغلالها وبذلك تفقدها الكثير من موضوعيتها.

(١٧) الاهتمام بوضع معايير جديدة لتعيين السادة أعضاء هيئة التدريس ومعاونيهم.

(١٨) أن تسقط المدة التي يقضيها عضو هيئة التدريس في مهمة علمية من مدة الخدمة إذا لم يتمكن من نشر بحث واحد على الأقل في السنة الأولى وبحثين في السنة الثانية.

(١٩) يوقف تمويل أي مبعوث يثبت بالدليل القاطع قيامه بأي أعمال عدائية أو عدوانية تضر بمصالح الوطن في الداخل أو في الخارج، وتخرج عن إطار

الديمقراطية المسئولة والنقد البناء، ويطالب بالعودة لأرض الوطن. وفى ذلك نهيب بالجامعات أن تأخذ عمليات مد الدراسة للمبعوثين بالخارج مأخذ الجد خاصة للذين يطلبون مداً بعد المدة الكلية المحددة لإتمام الدراسة.

(٢٠) السماح بمرونة النقل بين الجامعات الأجنبية فى حالة عدم توفيق المبعوث في الجامعة التى وصل إليها أولا.

الفصل الثامن

التطرف وسياسة اليأس والتجربة المصرية

الفصل الثامن: التطرف وسياسة اليأس والتجربة المصرية

ملخــص

مرت مصر على مدى خمسين عاما مضت بظروف اضطرتها لاستنفاذ جزءًا كبيراً من ثرواتها الطبيعية ودخلها القومي في أعمال غير تنموية، خاصة الحروب التي خاضتها بدءً بحرب ١٩٤٨ وانتهاءً بحرب ١٩٧٣. ذلك لا يعني ـ بالطبع ـ أن الإنفاق العسكرى كان غير ضرورى، وذلك لأن المقدرة العسكرية تسببت فى استرجاع الأراضى والثروات المسلوبة، كما أنها وبعد عملية السلام تؤمن مسار عمليات التنمية. كذلك فإن النظام الاقتصادى وحركة القطاع العام قد تسببتا فى بعض الخسائر وذلك لتضخم العمالة من ناحية وقلة عدد ساعات العمل المنتجة من ناحية أخرى ودعم بعض السلع والخدمات من ناحية ثالثة، مما جعل الحكومة تتجه حاليا إلى خصخصة القطاع العام واتباع الاقتصاد الحر وآليات السوق، وبالطبع فإن النتيجة المتوقعة هو ظهور بعض أشكال البطالة. كل هذه العوامل تضافرت لخلق بعض المشاكل الاقتصادية التى استغلت من قبل قيادات الإسلام السياسى وأعداء الوطن فى الداخل والخارج للتشكيك فى قدرة النظام المصرى على تنمية المجتمع، والتخفى وراء شعار الإسلام هو الحل وارتداء عباءة الإسلام. طبعا قد تواكبت هذه الأحداث مع انتشار التعددية الحزبية وبدء العمل بالشكل الديمقراطى مما أوجد شرعية للهجوم على النظام والتحرك اليائس لجماعات الإخوان وبعض الجماعات الإسلامية للحصول على دعم شعبى، وبالطبع كان صعيد مصر بظروفه التنموية المتخلفة وطبيعته الجغرافية والاجتماعية مسرحا لتجاوزات هذه الجماعات والتى ظهرت فى شكل إرهاب أضاف إلى هذا الإقليم تخلفا من نوع جديد.

مقدمـــة

حـينمـا تكون دوافع المتطرفين سـياسـيـة، وذلك هو الغـالب، فـإن تفكيـرهـم غيـر المنطقى غالبا ما يدور حـول الموضوعات التافـهة، وبذلك يكون أسلوب الحوار غير مقنع للآخرين، وبالذات المتعلمين منهم، وعليه نجد أن التطرف يتجه إلى وسيلة اتصال أخرى تبدأ بالإرهاب الفكرى وتنتهى بالتصفية الجسدية. وعند هذه النقطة نجد أن المتطرفين يبررون الوسائل بالغايات المعلنة. إن الغاية النهائية للمتطرفين غالبا ما تكون غير معلنة والمعلن منها يسـتهدف كسب تأييد الغـالبـيـة العظمى من فئات الشعب وراء بعض الشعارت الفارغة من المحتوى مثل **شعار الإسلام هو الحل**. كيف يكون الإسـلام هو الحل دون إصـلاح حقـيقى يعتمد على مـبادئ الإسـلام؟! وكيـف لا يمكن تطبـيق هذا البـرنامج فى جـو ديمقـراطى تشـارك فيـه جـمـيـع طوائف وفـئـات الشـعب؟ مـاذا تفـعل الحكومة المصرية الآن للإصلاح؟ هـل تتبع الحكومة برنامج عمل شيطانى للإصلاح أم تتبـع مـبادئ الإسـلام فى رعـاية المواطنين وتوفـيـر عوامل الأمن والاسـتقـرار بأبـعادهـا الإجتماعية والاقتصادية والسياسية؟ هل ما تقوم به حكومة **الدكتور الجنزورى** خلف قيادة **الرئيس حسنى مبارك** من ...مـيـة لسـيناء وجنوب الوادى واسـتـزراع الأراضى الصـحـراوية عمل غير شرعى أم أن أصـحـاب الإسـلام السيـاسـى لديهم وسـيلة أخـرى يمكن بهـا إشـبـاع البطون الجـائعة؟ هـل ذلك مـن ...سـلام أم أن الإسـلام الذى تعرفـه العامة يختلف عن الإسلام السياسى للمتطرفين؟ ... فشل المتطرفين ...هم في محاولة كسب القاعدة بالمنطق والعقل، جعلهم يطو... اليهم من مجرد الكلمـ...ت المقروءة إلى إطلاق النار على رموز النظام بدءًا بالشرطـ... بسيط وانتهاءً باغتيال رئيس ...جلس الشعب المصرى الأسبق ومحاولة اغتيال رئيس الجمهورية حينما كان فى زيارته لأديس أبابا سنة ١٩٩٥. لماذا لا يستغل هؤلاء المناخ الديمقراطى والعمل على تغيير ما يرونه منافيا لتعاليم الإسلام؟ الإجابة بسيطة جدا وسهلة فليس لديهم مقدرة العمل فى النور

ومن خلال القنوات الشرعية، وليس لديهم برنامج إصلاح حقيقي وليس لديهم سوى فن التلفيق الذى يرفضه المنطق وترفضه القاعدة ويتنافى مع مبادىء الإسلام.

لا يجب أن ننكر أن الأمية الدينية والجهل الثقافى لدى بعض أفراد الشعب من ناحية والحالة الاقتصادية من ناحية أخرى قد أدت إلى حصول المتطرفون على بعض التأييد لفترة وجيزة من الزمان. الآن وبعد أن اتضحت نوايا هؤلاء المتطرفون وأسلوبهم الذى يتناقض مع المعلن من أهدافهم، ونشاط الحكومة المكثف فى كشف الظاهرة من ناحية وعمليات الإصلاح الاقتصادى والتنمية الشاملة من ناحية أخرى نقول وبكل أمانة أن هناك تعرية للظاهرة ولفظها من كل طوائف وفئات الشعب، ولكن الرفض وحده لايكفى! يجب أن تكون لدينا قناعة بضعف المتطرفين والإرهابين والدليل البديهى على ذلك أنهم يقومون بأعمالهم ضد الأقليات، كالمرأة والمسيحيين والسياح، كذلك عشوائية التهديف، وإن كان ذلك له أسباب أخرى سيأتى ذكرها فى مواضع أخرى.

إن اليأس السياسى والتطرف وجهان لعملة واحدة وحينما تنضج جوانب هذه العملة فإن الإرهاب الموجه لضرب الأهداف المختلطة (بشرية أو طبيعية) تكون الوسيلة. وبالطبع تهدف هذه الوسيلة إلى نشر الرعب بين طوائف وفئات الشعب بهدف الحصول على مكاسب سياسية قد يكون المحافظة على مبادئ الدين وتطبيق الشريعة الإسلامية الحقيقية فى أدناها. وفى ذلك نقول: إن سياسة إجبار الناس على تبنى فكر بعينه سياسة نهى عنها الله سبحانه وتعالى ويتجلى ذلك فى بعض آيات القرآن الكريم فعلى سبيل المثال يقول الله سبحانه وتعالى فى **الآية ١٢٥ سورة النحل**، بخصوص الدعوة إلى فكر الإسلام وهو سبيل الله سبحانه: **بسم الله الرحمن الرحيم**

"ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين." صدق الله العظيم

إنه ورغم أن الأحوال الحالية توحي بالاستقرار النسبى وأن الدولة لها كامل السيطرة على ظاهرة الإرهاب المحدودة إلا أننا ننبه بأن الظاهرة ما هى إلا عرض لمرض، وحتى يمكن التخلص من هذا المرض فلابد من القضاء على مسبباته وتغيير المناخ الذى قد يستشرى فيه هذا المرض. وقد يفيدنا وإلى حد كبير سرد بعض العوامل التى شكلت مناخ التطرف والإرهاب فى المنطقة العربية بما فى ذلك مصر، والتى منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلى:

أولا : نظرا للأهمية الجغرافية والاقتصادية والسياسية للمنطقة العربية خاصة أهمية دور مصر الريادى فى المنطقة فإن هناك تدخلات أجنبية ظهرت فى المنطقة بشكل مباشر أو غير مباشر، وكل هذه الأشكال من التدخلات لاتلقى قبولا من المواطن العادى، وقد أمكن لبعض جماعات التطرف استغلال استياء المواطنين ورفضهم للتدخل والضغط الأجنبى ووصم الحكومات بالضعف تارة والعمالة تارة أخرى.

ثانيا: كان ضمن سياسات التدخل الأجنبى فى المنطقة إقحام بعض الدول العربية وعلى رأسها مصر فى حروب الجوار، وبالذات مع إسرائيل، وكانت نتائج هذه الحروب واضحة ولعبت دورا ما فى خلق المناخ المناسب لتطور ظاهرة الإرهاب. وفيما يلى سرد مختصر ومبسط لبعض آثار الحروب مع إسرائيل على المستويين الاقتصادى و السياسى والعقائدى:

(ا) على المستوى الإقتصادى : رفع شعار لاصوت يعلو فوق صوت المعركة والذى كان من شأنه توجيه جزءٍ كبير من موارد الدولة فى الإنفاق العسكرى، وبذلك ارتفعت أولويات الأمن العسكرى فوق أولوية التنمية الداخلية مما أثر على الأحوال الاقتصادية للمواطن العادى والخدمات التى تقدم إليه. ولقد كان هذا التحول فى الإنفاق ضرورة استراتيجية حيث لا يمكن عمل تنمية حقيقية فى بلد

تقع تحت نيران العدو وسيطرة الاحتلال.

(ب) على المستوى السياسي: تجاهُل الرأى العام العالمى لمقدرات الشعب العربى والفلسطينى والتحيز الواضح لدولة إسرائيل. لقد استتبع احتلال بعض الأراضى العربية والعبث ببعض المقدسات الإسلامية فى القدس المحتلة وسياسات القمع ضد المواطنين فى الأراضى العربية المحتلة، خاصة الفلسطينين، أن اكتفى الرأى العام العالمى بالاستنكار فى المحافل الدولية دون تدخل حقيقى لرد العدوان ورفع صور الاحتلال. كل ذلك أدى إلى نتيجتين **أولاهما** ظهور موجة من الكره لبعض دول العالم الأول **وثانيهما** تزعزع ثقة المواطن العربى فى بعض قياداته. إن التعنت الإسرائيلى بقيادة رئيس الوزراء الإسرائيلى الحالى بنيامين نتنياهو قد يغذى بطريقة غير مباشرة نزعات التطرف بين جموع الفلسطينين والسوريين والأردنيين واللبنانين، كذلك قد يلجأ الموساد الإسرائيلى إلى التغذية المباشرة للتطرف والإرهاب داخل الدول العربية، خاصة دول الجوار مع إسرائيل وعلى رأسها مركز ثقل المنطقة (مصر) بهدف شغل قيادات هذه الدول عن السياسة الخارجية التى تفضح دعاوى إسرائيل بالسعى إلى السلام.

(ج) على المستوى العقائدى: كان من نتيجة الحروب مع إسرائيل إحتلال بعض الأراضى العربية وخاصة القدس، وكلنا يعرف الأهمية المحورية لمدينة القدس والمسجد الأقصى فى الإسلام. إن العبث الذى تقوم به الحكومة الإسرائيلية فى القدس والمسجد الأقصى قد يشكل ضغطا من بعض الإسلاميين المعتدلين على حكوماتهم للتحرك فى مواجهة البرنامج الصهيونى لتهويد القدس. كل ذلك يمكن أن يستغله بعض المتطرفون للعمل ضد حكوماتهم من خلال أساليب غير شرعية تصل إلى العنف السياسى والتصفية الجسدية. إن عملية السلام أصبحت فى مأزق وإذا لم نقوم بتحريك المفاوضات قبل أن تظهر مثل هذه

العمليات الإرهابية الموجهة ضد رموز دول التفاوض فسنصل إلى طريق مسدود قد يضع العالم العربى أمام خيار المواجهة العسكرية غير المحسوبة.

ثالثا: كان من نتيجة بعض الضغوط السياسية والاقتصادية أن اتجهت بعض الحكومات العربية إلى إيجاد صيغة من صيغ الوفاق مع قادة الإسلام السياسى، لبعض الوقت وبخاصة الإخوان المسلمون، مما أعطى لبعض هذه القيادات شرعية التصرف سرا وعلانية فى بعض المحاور وأهمها:

(أ) عمل شبكات اتصال مع قيادات الإسلام السياسى فى العالم.

(ب) تنمية وتطوير وتجنيد بعض العناصر المتطرفة.

(ج) دخول الحياة النيابية والنقابية ومحاولة السيطرة على المجتمع المدنى.

(د) استغلال الظروف والأزمات الاقتصادية والسياسية ومحاولة التظاهر برفع المعاناة عن قوى الشعب والوقوف ضد تدخل النفوذ الأجنبى والتشهير بالإدارة السياسية. كما أن جماعات الإسلام السياسى قد تستغل بعض الأزمات الطبيعية كالزلزال والفيضانات وذلك بالمبادرة بتقديم المعونات للمنكوبين دون تكامل أو تنسيق مع الدولة، وذلك بهدف تشويه موقف الحكومة من هذه الأزمات. هذا ولا يجب أن يكون فى ذلك تعميم حيث أن البعض يقدم هذه المساعدات ابتغاء مرضاة الله وحبا فى الوطن ومواطنيه.

رابعا: كان نتيجة تصاعد عمليات الإرهاب فى بعض الدول العربية والإسلامية والمعاداة العلنية للإدارة السياسية واغتيال بعض الشخصيات الحكومية أن تصدت بعض هذه الدول للعناصر المتطرفة والإرهابية بأساليب [illegible] المعالجات الإسعافية دون البحث فى أسباب العلة الحقيقية والقضاء عليها خاصة العمل على إعادة صياغة الفكر الوطنى للوقوف ضد تيار التطرف الدينى الذى يلفظ عقيدة الانتماء القومى والديمقراطية السياسية ضمن استراتيجياته. إن أسلوب الانتقام السياسى الذى اصطبغت به سياسة حكومات بعض الدول

الإسلامية (إيران وأفغانستان والجزائر والسودان على سبيل المثال) قد أدى إلى مزيد من العنف، خاصة وأنه لم تكن هناك سياسة واضحة لعمليات الإصلاح الاقتصادى للقضاء على بعض الأسباب الاقتصادية التى تلعب دورا فى توجهات عناصر الإرهاب النشطة التى تنفذ العمليات الإرهابية وتحركها ظروف اقتصادية واجتماعية دون أى تطلعات سياسية. إن الفقر والجهل من الأسباب الرئيسة التى تسلب بعض العناصر النشطة إرادتها وتجعلها غير قادرة على التمييز، وبذلك يمكن استغلالها فى تنفيذ بعض العمليات الإرهابية بدون مقابل أو حتى بمقابل زهيد.

خامسا: القصور الإعلامى فى توصيل بعض الحقائق والتى منها:

(أ) عالمية أو عولمة الإرهاب وعدم ارتباطه بالتدين الإسلامى فحسب. إن الفكر الإرهابى فكر موضوعى والتصدى له يجب أن يكون بموضوعية حيث قد يصل الشعور العام لدى المتطرفين والإرهابيين بأن الدولة تكرههم وعليه فهم يكرهون الدولة وتختلف الأسباب ويصبح التصدى شخصيا وخاليا من الموضوعية، بل قد يأخذ التصدى شكل الثأر بين رجال الأمن والمتطرفون، وفى ذلك خطورة حيث تفقدنا رجالنا الشرفاء من قوات الشرطة أولا، وقد تضطر هذه القوات إلى اتباع عشوائية المواجهة والاتهام ثانيا، والخطورة الثانية قد تتراكب فتكون سببا لتطرف بعض الشباب تعاطفا مع الحركة واعتراضا على ظلم الاتهام الذى وقع عليهم.

(ب) إن دور الدولة فى التصدى للإرهاب دور أمنى ليس فقط للمحافظة على الاستقرار السياسى والشرعية، ولكن أيضا للمحافظة على الأمن الثقافى وحضارة المجتمع، وعليه فليس العداء مع الإسلام أو المسيحية أو اليهودية ولكنه عداء مع من يركب موجة الدين للوصول إلى أهداف شخصية (سياسية بالدرجة الأولى) وقد يكون الدين نفسه أول ضحايا هذه الأهداف.

(ج) أهمية الوصول إلى المواطن العادى بفكر مبسط يشرح العلاقة بين التنمية والأمن الداخلى والخارجي ووجود الغطاء السياسى والانتماء. إن ثقافة المواطن العادى أصبحت ليست ثقافة التنمية فى حربه ضد التطرف، ولكنها ثقافة الوقوف خلف الإدارة السياسية. يجب أن يصل المواطن البسيط إلى ما هو أعمق من مجرد الوقوف وراء الإدارة السياسية حيث إن ذلك الوقوف هو الوسيلة لغاية التنمية ورفاهية واستقرار وأمن المواطن العادى. وهنا يجب التنويه على أن الإرادة المصرية هى هدفنا فى التصدى للتطرف الفكرى والإرهاب، حيث إن عدم الاستقرار من ناحية وغياب الإطار المؤسسى للتنمية الشاملة من ناحية أخرى قد يجعل البلاد تعتمد على الدعم الأجنبى، وكلنا يعرف أن هذا الدعم قد يكون مدعاة للتدخل والضغط الأجنبى، والأخير يغذى عوامل عدم الاستقرار فى المدى القريب والبعيد. كل ذلك يوضح أهمية دور الإعلام فى نشر ثقافة للفظ التطرف بكل أشكاله وبغض النظر عن مسبباته.

(د) بعض أقلام الإعلام المعارض أصبحت تلعب بمصالح الوطن، وذلك بالخوض فى موضوعات التطرف من وجهة نظر سياسية لاتختلف فى تطرفها عن التطرف الدينى. على سبيل المثال فقد نقلت جريدة المصور فى أحد أعدادها الصادرة فى شهر أبريل لعام ١٩٩٧ بعض التصريحات الصادرة عن السيد مصطفى مشهور المرشد العام للإخوان المسلمين والدكتور ميلاد حنا المفكر المعروف واتصفت تصريحات الطرفين بالعنف اللفظى والإعلامى الذى يثير فتنة طائفية قد تمهد لأعمال إرهابية. لقد تحدث السيد مصطفى مشهور عن الجزية بشراسة قد تمزق بعضا من روابط الاندماج الاجتماعى بين المسلمين والمسيحيين، وتحدث ميلاد حنا عن وجود خطط لبرمجة تهميش مشاركة الأقباط السياسية وأن أقباط مصر مواطنين من الدرجة الثانية وأيضا فإن ذلك شكل من أشكال العنف اللفظى الذى يثير مشاعر الأقباط، خاصة

محدودى الثقافة السياسية والدينية.

سادسا: نتيجة للظروف الاقتصادية والسياسية التى مرت بها البلاد، فإن أولوية التعليم فى مراحله المختلفة قد تقهقرت وفقد العديد من الشباب مفتاح النجاح فى الحياة وهو الإيمان بذاتهم ورسالتهم، وكانت النتيجة الطبيعية لذلك هو فشل الوصول للغايات وهى علة أدت إلى الإحساس بالضياع والغربة على حساب الإحساس بالقيمة الذاتية وعقيدة الانتماء. وفيما يلى سرد لبعض أسباب وأعراض هذه العلة مع شرح كيفية التغلب عليها كلما تطلب الأمر ذلك.

(١) عدم وجود أهداف حقيقية

والأهداف ليست تمنيات ولكنها رغبات محسوبة والحياة فى هذا المضمون تشبه ملعب كرة القدم ولا يمكن أن يكون لها معنى بدون وجود مرمى للأهداف، وعدم وجود المرمى يعنى عدم وجود الأهداف وبالتالى تصبح اللعبة بلا معنى. والأهداف فى الحياة يجب أن تكون ذات قيمة محسوبة على أساس الرغبات والاحتياجات الشخصية والعامة وليست محاولة لتهديف حياتنا لإرضاء الآخرين، والحياة بهذا الشكل قد يصادفها بعض الفشل ولكن الفشل هام للنجاح على المستوى الفردى والأممى فمن منا كان يتصور أن ننتصر على إسرائيل فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ المجيدة لولا هزيمة حرب يونيو ١٩٦٧. يجب إعداد شبابنا حتى تكون له رؤية فى حياته حيث إن بلورة هذه الرؤية تمثل نصف النجاح، كما يجب أن نعطى شبابنا حرية التجريب والمخاطرة وحق الوقوع فى بعض الأخطاء إذا ما كانت هذه الأخطاء نقطة انطلاق للنجاح.

(٢) عدم وضوح الأهداف

لابد وأن تكون الأهداف واضحة ومحددة فمثلا لا يمكن أن تكون ضمن أهداف الإنسان أن يصبح مشهورا أو غنيا، ولكن يجب تحديد وتفصيل نوعية الشهرة أو الغنى. إلا أنه وفى الآونة الأخيرة أصبحت أهداف الشباب غير واضحة وإذا

ما تبلورت الأهداف لدى القلة فإن رؤيتهم لنهاية الطريق قد تكون محدودة وكل ذلك يؤثر على علاقة الإنسان بالمجتمع حيث قد يلقى بعض الشباب اللوم على المجتمع للهروب من بعض أشكال قصورهم الذاتى. إن تربية شبابنا على استيعاب الحاضر وتهديف المستقبل تعتبر أخطر من تزويده بالمهارات التقنية وذلك لأن هذه المهارات يمكن التدريب عليها فى كل المراحل العمرية.

(٣) عدم وجود أسباب للأهداف

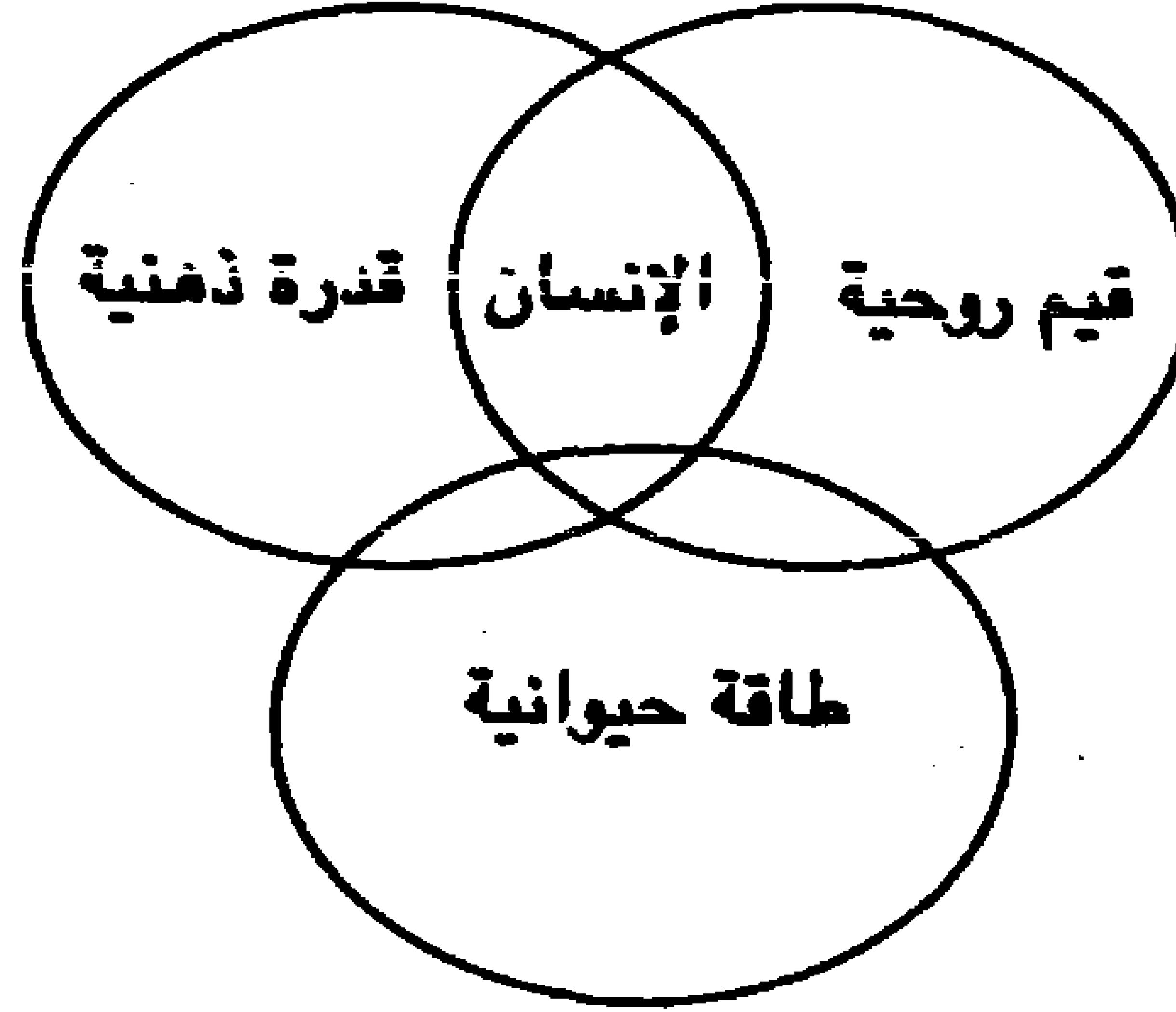
والأسباب غالبا ما تشكلها قيم الإنسان. وهنا يجب أن نذكر أن الإنسان فى مجمله ثلاثة عناصر يجب أن تعمل فى توافق وتكامل وتناسق وهى:

(أ) الطاقة الحيوانية (Animal Energy)

(ب) الإرادة الذهنية (Mental Will)

(ج) القيم الروحية (Spiritual Faith)

وإذا ما تغلبت الرغبات الحيوانية لدى الإنسان فإن أسبابه وأساليبه غالبا ما تكون على نفس المستوى. وما الإرهاب إلا شكل من أشكال تغلب الطاقة الحيوانية على الإرادة الذهنية والقيم الروحية، والشكل التالى يوضح عناصر الإنسان كما يعرفها الإنسان.



شكل رقم (٧). العناصر الثلاثة التى تشكل فى تفاعلها وتوازنها مركز سلوك الإنسان وعلاقاته بالآخرين.

(٤) العجلـة

وفى ذلك نعيب على شبابنا الاستعجال، فالأمر قد يحتاج فى بعض الأحيان إلى مـزيد من الوقت وهناك بعض المشـاكل التى لا تصلح مـعـهـا الأسـاليب الإسعافية (Quick-Fix).

(٥) التوقعات غير منطقية

لابد وأن تكون توقعات الشخص لأهدافه والبرنامج الزمنى اللازم للوصول إلى هذه الأهداف منطقية ومحسوبة، إلا أنه يمكن إجراء بعض التعديلات حسب الظروف التى تواجه السير قدما تجاه الأهداف. وهنا يجب ألا نخلط بين التوقعات غير المنطقية والتحديات، فيجب أن تكون التوقعات المنطقية فيها تحدٍّ حتى يستطيع الإنسان أن يرتفع إلى كامل إمكاناته وقدراته، والتحديات يجب أن تكون معقولة وممكنه حتى يكون احتمال الوصول للهدف مناصفة بين النجاح والفشل وهذا أضعف الإيمان.

(٦) الخوف من التغيير

إن التغيير أصبح سمة العصر والإنسان الذى يخاف من التغيير قد يظل متمسكا بالبالي والقديم الذي قد لا يكون في الحفاظ عليه أي فائدة تذكر، ولابد أن يكون هناك خوف من التغيير ولكن الإنسان الناجح هو الذي يتحكم في درجة الخوف واتجاه التغيير. وليست الشجاعة في تحلي الإنسان بمشاعر عدم الخوف ولكن الشجاعة هي القدرة على العمل والإقدام والمخاطرة رغم وجود هذه المشاعر. وعليه فإن وجود هذه المشاعر بدرجة معقولة هي التي تجعل الإنسان يقدم على المخاطرة بحسابات دقيقة تزيد من احتمالات النجاح، أما مشاعر الخوف المرضى فقد تبعث على التردد والجمود.

(٧) عدم كتابة الأهداف

إن قدماء المصريين هم أول من وضعوا حكمة الكتابة حينما قالوا : **إذا ما كتبت نفذت وبعض الحكماء يقولون: إن أضعف أنواع الحبر أحسن من أقوى ذاكرة،** وعلى ذلك فيجب كتابة أهدافنا على المستوى الشخصي والمؤسسي حتى يمكن مراجعتها وتقويمها. إن كتابة الأهداف تبلور الفكر، والفكر المتبلور يخلق الالتزام السيكولوجي عند الإنسان، ويحفزه على التنفيذ. إن كتابتنا لأهدافنا ما هي إلا وسيلة لتوصيف رسالتنا، والرسالة المكتوبة (Mission Statement) هامة جدا في حياة الشعوب على المستوى الفردي والمؤسسي والقومي، وهي جزء هام من رؤيتنا للمستقبل ووضوح الرؤية يسهل كتابة هذه الرسالة، وكتابة الرسالة يخلق الالتزام، والالتزام يضفي على العمل الجدية والسرعة والتميز.

(٨) غياب الالتزام

إن اللحظة التي يلتزم فيها الإنسان بأهدافه هي نفس لحظة بدء التنفيذ فلا يبدأ التنفيذ مع غياب الالتزام. ذلك المفهوم يلقي علينا جميعا مسئولية إشراك كل من يعمل معنا في صناعة القرارات في جو تسوده روح الإخاء والديمقراطية.

لا بد من غرس إحساس الفرد بذاته وبأنه يملك وطنه وعليه مسئولية الحفاظ عليه فى كل وقت. إن علاقات العمل بصفة عامة، وعلاقات الرؤساء بمرؤوسيهم بصفة خاصة تلعب دوراً هاما فى إنماء روح الولاء المؤسسى والانتماء القومى. تلك مسئولية يجب أن نعيرها أهمية خاصة بالنسبة للشباب، حيث أنهم هم المستقبل ولابد لهم من قيمة الانتماء التى تنشط التزامهم بقضاياهم كجزء من قضايا المجتمع ودون تعارض بين المصالح الشخصية والمصالح العامة.

(٩) عدم وجود خطة.

إنه بدون وجود خطة واضحة فلن يستطيع الإنسان بلوغ أهدافه وتحقيق ذاته. **إن عدم التخطيط للمستقبل هو تخطيط للفشل،** وهنا يجب أن ننوه على أن أفضل وسائل التنبؤ بالمستقبل هى أن تكون لدى الفرد القدرة والرغبة فى صياغة هذا المستقبل، وحينما توجد لدى الفرد القدرة والرغبة يبدأ الإنسان فى صياغة المستقبل بشكل موضوعى تغلب فيه الحقائق على المشاعر والمعلومات على الآراء والمؤشرات، والتفكير قبل العمل، والعمل قبل الكلام، وحينئذ يرى الإنسان قبح التطرف ويعود بذاته إلى جسم المجتمع ووسطية أفكاره.

(١٠) غياب أساليب التقدير النفسى

يجب أن يكون لدى الإنسان من الوسائل ما يمكنه من تقدير نفسه وذاته فى كل مرة يحقق هدفا مفيدا، وقد يتفاوت التقدير من فنجان قهوة إلى رحلة نيلية إلى قضاء وقت بالخارج حسب طبيعة الهدف الذى تم تحقيقه. كما يجب على الأجيال الناضجة رعاية البراعم وتقديم كافة التسهيلات التى تجعلهم يحققون ذاتهم وينجحون فى حياتهم، ثم بعد ذلك يجب الثناء على نجاحهم واحتضانهم وتوجيههم. إن شعور بعض الشباب بعدم أهميتهم لذاتهم وللمجتمع قد يفرض عليهم حالة من اليأس والغربة وكلها من أسباب تدهور قيمة الانتماء لدى شبابنا وتطرفه أو تخلفه عن حركة المجتمع.

(١١) عدم رؤية الهدف

إنه لا يمكن تحقيق أى هدف بشكل فيزيقى إلا إذا تم تحقيقه بشكل ذهنى، وذلك بمعنى أن يكون الإنسان قادرا على رؤية نفسه في مرحلة ما بعد تنفيذ هذه الأهداف. إن الرؤية الصحيحة لا بد وأن تترجم إلى رسالة ومبادىء إرشادية لتنفيذ هذه الرسالة حتى يكون التنفيذ فى صالح الفرد والمجموع والوطن. كل ذلك يوضح أن رسالة التطرف كاذبة وخالية من أى مبادىء إرشادية ولا يمكن الصاقها بدين الله، كما أن أسلوب الإرهاب يعد تنفيثا للطاقة الحيوانية في معزل عن سيطرة القدرة الذهنية وفى غياب القيم الروحية والضمير الإنسانى.

(١٢) عدم التنفيذ

وهذا العامل لا يحتاج إلى إيضاح حيث إن وجود الأهداف الواضحة دون العمل على تنفيذها سوف يجعل من هذه الأهداف تمنيات وضربًا من الخيال. إن التمنى لا يصنع أى نجاح إذا ما خلا من التخطيط والتنظيم والتنفيذ.

إن حياة الإنسان فى كل زمان ومكان لا تخلو من صعوبات ولكن الصعوبة الحقيقية تكمن أصلا فى تفاعل الإنسان مع ال[illegible] اقف، وعليه فإن هناك حلاوة فى استخدام الصعوبات لخلق النجاح وذلك كما قال [illegible] كسبير "Sweet are t[illegible] uses of adversity"، فلم يقل إن الصعاب حلوة و[illegible] قال إن هناك حلاوة [illegible] استخدام الصعاب بطريقة إيجابية. كما أن هناك حكمة [illegible] غوية فى اللغة الصينية القديم[illegible] يث إن هناك رمزاً واحداً لمعنى كلمتى الكارثة والفرصة. والكوارث تنشط العقل وتحفز على الخيال والإبداع والبحث عن فرص النجاح، فمن منا ينكر أن كارثة حرب يونيو ١٩٦٧ هى التى نشطت القدرات الذهنية والإبداعية بين صفوف القوات المسلحة المصرية والقيادة السياسية، وكان ذلك هو أولى علامات النصر الذى جاء تحقيقه فى أكتوبر

١٩٧٣. يجب علينا جميعا أن نقتنع بالحكمة النبيلة التى جاءت على لسان "بودا" "Buddah" وهى: " **إن الحياة صعبة**" ولكن حينما نقبل هذه المقولة فتصبح الحياة سهلة بالعمل الجاد.

الأمن ورأس المال الاجتماعى والتنمية فى صعيد مصر

إن المدقق لتفاصيل التقرير الذى صدر من مجلس الشورى حول مشروع التنمية المتواصلة لجنوب مصر يجد أن هناك بعض الملامح العامة والهامة للوضع التنموى للإقليم وأبرز هذه الملامح هى:

أولا: إن هناك اعترافاً واضحاً (وذلك واقع ملموس) بتطرف التنمية فى محافظات الصعيد خاصة فى فترة ما قبل ثورة ١٩٥٢ حيث كان تطرف التنمية يتعدى التنمية بمفهومها الاقتصادى إلى تنمية الموارد البشرية. إنه وبغض النظر عن الأسباب التى أدت إلى تباطؤ عجلة التنمية الشاملة فى صعيد مصر فإن البنيان الاقتصادى لمحافظات الجنوب أصبح يعتمد بالدرجة الأولى على الزراعة والسياحة.

ثانيا: لقد أدى التباطؤ فى معدلات التنمية إلى فوارق محسوسة بين محافظات الجنوب والشمال فى مستوى المعيشة ونصيب الفرد من الخدمات ومتطلبات المعيشة. كذلك أدى هذا التباطؤ إلى حدوث تراكمات فى بعض المشاكل التى أصبح بعضها مزمناً ويحتاج إصلاحه إلى المزيد من الوقت والجهد والمال والإدارة فى ظل قيادات إقليمية لها رؤية واضحة لرسالة المجتمع ومبادئه الإرشادية.

ثالثا: نظرا لانخفاض مستوى المعيشة وضعف مستوى الخدمات المقدمة، خاصة تلك التى لها تأثير مباشر على تنمية الموارد البشرية، فإن محافظات الصعيد أصبحت طاردة للصفوة من أبنائها الذين هاجروا إما إلى محافظات الشمال أو

خارج أرض الوطن. لقد أصبحت بعض هذه العقول المهاجرة ضمن دائرة الاستثمار بعيدا عن المحافظة الأم، ونظرا لما وصلت إليه أحوال الإقليم لم تفكر هذه العقول في العودة لتنمية محافظاتها الأصلية.

رابعا: بالإضافة إلى ماسبق فإن هناك مبالغة في حوادث الإرهاب المتفرقة التي تتم في صعيد مصر ليس فقط على المستوى القومي ولكن على مستوى الصحافة العالمية وأجهزة الأمن بالسفارات الأجنبية. الحقيقة أن هذا الأمر مُحير ويحتاج إلى وقفة لأنه غير معروف بالضبط إذا ما كانت دوافعه عفوية أو غير ذلك. ولكنني أذكر ثلاثة أسباب لمثل هذه المبالغات **أولهما** انتشار بعض الجمود الصحفي وتلقي بعض المراسلين أخبارهم من مصادر غير موثقة **وثانيهما** هو المزيد من الحيطة لدى الأجانب للمحافظة على رعاياهم دون أي مخاطرة، وكل ذلك يسيء للإقليم سياحيا وتنمويا، وكلنا يعرف أن بعض محافظات الصعيد كانت ولفترة ليست بعيدة تجد صعوبة في إقناع المسئولين بالسفارات والشركات الأجنبية بزيارة هذه المحافظات. كما أن بعض السفارات الأجنبية تسد نصائح إلى رعاياها بعدم زيارة الإقليم رغم عدم وجود الأسباب التي ترقى إلى مستوى مثل هذه الإجراءات. وثالث هذه الأسباب فيه محاولة لبرمجة العقل الغربي لقبول بعض الادعاءات التي تربط بين الإسلام والتطرف والإرهاب، وفي ذلك خلط مقصود بين مفهوم الدين والتدين، حيث كثيرا ما توصف تصرفات المتطرفين والإرهابيين على أنها توجهات إسلامية وهذا خطأ فادح يجب العمل على تصحيحه.

إن كل ما يمكن أن يترتب على تطرف التنمية بالإضافة إلى تفاقم بعض المشاكل القومية العامة كالسكان والأمية والبطالة، كذلك المشاكل الخاصة ببعض محافظات الصعيد مثل ضعف الموارد الصناعية، قد تضافرت لتخلق ثقوبا في نسيج

السلام الاجتماعي بمفهومه العام الذى يتعدى العلاقة بين المسلمين والأقباط إلى العلاقة بين جميع فئات وطوائف الشعب وعلاقات العمل. لقد ألقت هذه الثقوب ضوءاً على بعض الأمراض الاجتماعية التى صاغت ثقافة هذا الإقليم فى الآونة الأخيرة لتصبح ثقافة ضعف الثقة "Low Trust Culture"، وهذه الثقافة كانت العامل الأساسى فى تفاعل كيمياء العلاقات بين الناس وأفرزت بعض الأمراض المجتمعية، مثل العنف والكراهية والعدوانية وارتفاع معدل الجريمة والتعصب الدينى والتطرف الفكرى وزعزعة عقيدة الانتماء القومى لدى بعض العناصر التى حالت ثقافتها الذهنية دون الفهم الصحيح لقيم المجتمع ومبادئه وتعاليم الأديان السماوية وسماحتها، خاصة وأن كل الأديان جاءت لتسعد البشرية وتنقيها من عوامل الأنانية والحقد وتزرع فيها عقيدة الانتماء للوطن الذى قال فيه أمير الشعراء أحمد شوقى:

وطنى لوشغلت بالخلد عنه نازعتنى إليه فى الخلد نفسى

وقال فيه بعد عودته من المنفى:

فيا وطنى لقيتك بعد يأس كأنى قد لقيت بك الشبابا

إن كل منا يملك من الأسباب المحسوسة وغير المحسوسة ما يجعله فى مثل انتماء أمير الشعراء أحمد شوقى، ولكن بعض الظروف التى يمر بها مجتمعنا من ناحية، وكذلك ظهور فقهاء التفصيل من ناحية أخرى، واغتيال تاريخنا الحديث وشخصياته القومية من ناحية ثالثة قد جعل شبابنا يفقد جزءاً من هويته، وعلى جيل الرواد مسئولية قومية تجاه الشباب ـ عليهم أن يعيدوا أمور الوطن إلى نصابها بموضوعية وذلك حتى يمكن للشباب أن يطور من انتمائه وولائه لوطنه. إن الأزمات العارضة لا يجب أن تكون سببا فى التخلى عن بلدنا ولكنها يجب أن تكون سببا فى الارتباط بها أكثر من ذى قبل حتى يمكن النهوض بها.

تمر مصر فى الآونة الأخيرة، مثلها فى ذلك مثل العديد من بلدان العالم، ببعض الأزمات الاقتصادية التى أفرزتها العديد من العوامل وعلى رأسها الحروب التى استوجبتها ضرورة الدفاع عن كرامة الوطن واستقلالية إرادته وقراره، والنظام الاقتصادى شبه الشمولى الذى استوجبته عوامل الحرمان الذى عاناه السواد الأعظم لهذا الشعب فى ما قبل ثورة يوليو ١٩٥٢. وبرغم الجهود الكبيرة التى قادها **الرئيس مبارك** للإصلاح الاقتصادى، إلا أن قطاعا لا بأس به من شباب مصر قد انتابه الشعور باليأس فى مستقبل أفضل وكانت الهجرة الزمانية هى إحدى أساليبه للخروج من أزمته النفسية، وكلنا يعرف أن أولى ضحايا هذا الأسلوب هو عقيدة الانتماء الوطنى التى تزعزعت بالفعل عند بعض الشباب. إن خماسية "**ضعف الثقة - الشعور باليأس - الهجرة الزمانية - الأمية الدينية - الانتماء السالب أو الشاذ**" قد جعل بعض الشباب يفقد قدرته على إدارة شئونه وقيادة ذاته ويتركها للآخرين وأول من استغل هذا المناخ هم جماعات الدين السياسى والذين يتحركون من خلال بعض الشعارات الفارغة التى لا تحكمها برامج حقيقية وإنما تحركها عوامل الحقد واليأس السياسى "Political Envy and Despair"، وبالطبع فإن جماعات الإسلام السياسى والتى لم تؤهلها مصداقيتها أو قدراتها لأن تلعب دورا وطنيا قد وجدت من هذا المناخ فرصة مناسبة لضرب النظام الشـ[illegible]ـعى، من خلال استـ[illegible]ـلال بعض هؤلاء الشباب فى تنفيذ بعض العمليات الإرهابية بهدف زعزعة الثقة فى [illegible]ـدرة النظام الـ[illegible]ـاسى على حماية الأمن الداخلى ونشر الخوف بين جموع [illegible] ومحاولة تأهليهم للتـ[illegible]ـى عن قيادتهم السياسية الشرعية، آملين أن يحدث فى [illegible]ـصر مثلما حدث فى إيران [illegible]ـزائر والسودان، ناسين أن السواد الأعظم للمصـ[illegible]ـريين يفهمون جيدا أن "**الدين لله والوطن للجميع**" وأن جميع الأديان السماوية جاءت لتقضى على التطرف الفكرى والإرهاب حتى يسود مناخ الحب والمودة بين بنى البشر وتنتشر ثقافة السلام الذهنى والسلام الاجتماعى والأمن القومى.

إنه وللأسف الشديد قد انعدمت مفهومية قيادات الإسلام السياسى لطبيعة الشعب المصرى، وما زالوا يحاولون الوصول إلى أهدافهم اليائسة من خلال استغلال القنوات غير الشرعية أحيانا والإجرامية أحيانا أخرى وتأتى محاولاتهم لاستغلال مشاعر اليأس والغربة لدى القلة المارقة من الشباب ضمن مخططهم اليائس.

إن الظروف الطبيعية بالإضافة إلى بعض العادات والتقاليد الموروثة فى صعيد مصر قد جعل من بعض محافظاته مسرحا للعمليات الإرهابية، وهنا نخص بالذكر محافظتى أسيوط والمنيا، وكلاهما تتاخم حدود بعض مناطقهما السكنية الصحراء بالإضافة إلى وجود عديد من الجزر بمجرى نهر النيل وانتشار بعض الزراعات الخاصة (القصب مثلا) وكل ذلك يمثل مأوى لمخططى ومنفذى بعض العمليات الإرهابية. هذا لا يعنى غياب دور بعض العوامل الاقتصادية والاجتماعية ودخول بعض الثقافات الشاذة والغريبة على شعب مصر من ناحية والتفسير القاصر أو الخاطىء أو المغلوط لتعاليم الإسلام من ناحية أخرى. وكل ذلك ساعد فى تهيئة مناخ التطرف فى بعض المحافظات؛ فمثلا تعتبر محافظات الصعيد أفقر من المحافظات الأخرى، كذلك فإن نسب الأمية والجهل بهذه المحافظات أعلى من المتوسط العام على مستوى الجمهورية، ذلك بالإضافة إلى هروب بعض القيادات الماهرة من الخدمة فى جنوب الوادى ولفترات طويلة، والتاريخ الحديث يذكرنا بأن محافظات الصعيد كانت فى الماضى القريب منفى إداريا لعقاب بعض موظفى الدولة. إن سفر العديد من رجال الصعيد للعمل فى العراق وليبيا ودول الخليج قد أثر بشكل سلبى على النسيج الأسرى والمناخ العائلى للعديد من الأسر. إننى أتوقع أن يكون هذا النسيج المتهالك والمناخ غير المستقر قد ساهم فى رفع درجة استعداد شباب هذه العائلات للدخول فى مسلسلات التطرف والعنف.

وحتى يحظى الصعيد ببرامج التنمية المتواصلة لا بد من البدء بالموارد البشرية وذلك لتطوير رأس المال الفكرى والاجتماعى فى إطار من الانتماء المؤسسى والقومى، وبذلك يصبح العمل لخدمة الوطن رسالة لا تحددها ساعات العمل اليومى، ولكن تحددها قيم إرشادية تتمشى مع مبادىء المجتمع وتعاليم الأديان السماوية التى جاءت ليعيش البشر فى سلام ذهنى وسلام اجتماعى على المستوى المحلى وفى مظلة من الأمن القومى على المستوى الخارجى. إن تنمية جنوب الوادى والبحر الأحمر ومحافظات سيناء والوادى الجديد تشكل مستقبل وأمن مصر. وإذا ما عُمرت هذه المحافظات وانعكست فيها ديناميكية السكان والهجرة فستصبح قضية تنميتها الشاملة مسألة وقت لا أكثر، وبذلك تصبح هذه المنطقة إحدى دواعى الأمن الداخلى والأمن القومى. والحقيقة أن **السيد الرئيس مبارك** يولى هذا الموضوع عناية خاصة، وكلنا يعرف مشاريع الرى والاستصلاح التى تبنتها حكومة **الدكتور الجنزورى** لتنمية هذه المناطق وجعلها مناطق انتاجية جاذبة.

إن الإفرازات الأمنية السلبية التى نتجت من تباطؤ عجلة التنمية فى صعيد مصر جعلت المناخ العام لا يساعد على سرعة إعادة تنمية الإقليم وتعويضه عما فاته فى السنوات الماضية - وذلك لا يرتبط فقط بالتأثير على النشاط السياحى ولكن أيضا على النشاط الاستثمارى. ويكفى أن نضرب مثالا بصعوبة دعوة العاملين ببعض السفارات والشركات الأجنبية لزيارة بعض محافظات الصعيد، وبخاصة أسيوط والمنيا، حتى يمكن عمل لقاءات استثمارية بهدف اتخاذ الخطوات اللازمة للاستفادة من بعض المعونات والمنح الأجنبية فى هذه المحافظات. ومن هنا نرى أن العلاقة بين السلام الاجتماعى والأمن من ناحية والتنمية من ناحية أخرى علاقة تبادلية وعكسية يؤثر كل منها فى الآخر ويتأثر به. كل ذلك يوضح أن هناك علامات على طريق تنمية صعيد مصر تبدأ بإعادة صياغة ثقافة السلام الاجتماعى والأمن بمفهومها الشامل كما

سبق أن بينا، وتنتهى بعمل تنمية حقيقية تقودها إدارة تنموية متطورة لها رؤية مطلة على كل أبعاد التنمية ولا سيما البعد الأمنى.

إن البعد الأمنى فى مشروع تنمية الصعيد يختلف عن البعد الأمنى فى مشروع تنمية سيناء على الرغم من وجود مستويات من التشابه - إن منشور البعد الأمنى فى هذه المشروعات يعكس كل المستويات بدءًا بالاستقرار الداخلى وانتهاءً بالجوانب العسكرية ومستقبل السلام فى الشرق الأوسط وعلاقات الجوار واحتمالات حرب المياه فى المستقبل. إن قاعدة المنشور هى ثقافة السلام الاجتماعى وقمته هى الأمن القومى، وعليه فلا بد من أن يكون للدولة دور هام فى تنمية صعيد مصر وإن كان ذلك يتنافى ظاهريا مع الاتجاه العام للدولة وسياسة الاقتصاد الحر والخصخصة وآليات السوق، وعليه فإن آلية مبتكرة لتطوير برامج التنمية فى محافظات الصعيد يجب أن تكون ضمن أهداف الحكومة الحالية بقيادة **الدكتور كمال الجنزورى**، حتى يمكن أن تُميِّز هذه المحافظات بمشروعات تقوم الدولة فيها بدور استثمارى يفوق دورها فى المحافظات التى نالت هذا الحظ من قبل. كما يجب العمل على تحطيم الروتين الوظيفى من خلال التخلص من بعض القرارات التى تعطل مسيرة التنمية والحد من مركزية إدارة الانتاج والخدمات فى هذه المحافظات.

إن طريق التنمية طويل وملىء بالصعاب ولكن لا بد أن تكون أهم علاماته السلام الاجتماعى والأمن القومى. وثقافة السلام الاجتماعى ثقافة ديناميكية يمكن إعادة صياغتها، والأمن القومى استراتيجية حيوية ندعو فيها للسلام القائم على العدل فى إطار من الشرعية الدولية والمقدرة الذاتية التى تضمن للسلام استمراريته وعدم استغلال مناخه.

وفى النهاية نقول: إن مثلث الأمن ورأس المال الاجتماعى والتنمية الاقتصادية فى جنوب الوادى يشكل أهمية كبيرة بالنسبة للأمن القومى المصرى، وعليه فإن الحفاظ على استقرار الأمن دون تدعيم رأس المال الاجتماعى (رأس المال البشرى، رأس المال الفكرى، السلام الاجتماعى، العدل والمساواة .. إلخ) يعتبر ضربا من الخيال. إن عمل تنمية حقيقية شاملة وموصولة، لا توفر فقط الخدمات الأساسية والحاجات الضرورية، ولكن تخلق فرص عمل لاستيعاب الطاقات البشرية المعطلة، يجب أن تكون استراتيجيتنا للعمل الوطنى سيرا فى طريق مصر المستقبل، وعلى العكس من ذلك فإن أى تنمية محدودة ـ اقتصادية مثلا ـ قد تأتى بثمار سريعة تقضى على بعض الأعراض كالمسكنات، ولكن تعطى عامل الزمن فرصة تعقيد المشكلة واستفحال المرض.

وعلى ذلك فالأمن والتنمية والسلام الاجتماعى والانتماء هى أهم مكونات التحول الاجتماعى الذى هو هدف التنمية الشاملة، وكلها محاور يجب أن تسير جنبا إلى جنب فى إقليم يمثل أخطر الجبهات فى مستقبل الوطن. إن الجبهة الجنوبية لمصر لمن أهم جبهات المستقبل، خاصة وأن الأوضاع فى السودان الشقيق لا تبشر بإدارة سياسية على مستوى تحديات القرن الحادى والعشرين، وأيضا فهناك احتمال لدخولنا مع دول أفريقيا فى منازعات حول المياه فى المستقبل كذلك وجود أخطر منشأة فى مصرنا الغالية (السد العالى) فى أعالى هذا الجنوب. وبعد هذه الرؤية إلى الطريق، ما استراتيجيات وأساليب ومقومات الوصول إلى أهدافنا؟ إن أهم وأخطر مقومات تحقيق التنمية والسلام الاجتماعى والأمن القومى أسلوب الإدارة وأهمية الدور القيادى على كل مستويات العمل الوطنى.

عقدة التطرف وقيادة التغيير

إن المدقق لأحوال العالم يجد أن هناك عقدة تطرف قد انتشرت بين الشباب الذى تقمص شخصية "هاملت" وانعزل عن وسطية مجتمعه، وفضّل أن يكون تحت لواء

تطرف الفكر متصوراً أن فى ذلك تميزًا أو تحّدياً لديناميكية المجتمع. إن أسلوب التعامل مع عقدة التطرف بهدف علاجها أو الوقاية من انتشارها، وتصعيد توابعها يتطلب دراسة تحليلية لأبعاد المشكلة ودوافعها من الزوايا السيكولوجية والبيئية والوجدانية، كذلك الدينية، خاصة وأن الظاهرة قد أصبحت تطرفا واضحا عن الوعاء الدينى للمجتمع. ولكن لا يجب أن يُدار التغيير بواسطة الدولة فقط، حيث لا يمكن للدولة أن تكون طرفا فى حوار مع التطرف، كما لا يجب أن تُدار عملية التغيير اعتماداً على السلوك الإرهابى تاركين وراءه فكراً قد نعتبره أخطر على المجتمع من ظواهر إرهابية محدودة ومتفرقة. وعليه فإن التغيير يجب أن يُقاد ولا يُدار بالطرق التقليدية المعروفة محدودة التأثير والتى كان من أخطائها ما يلى:

(١) الطموحات المتواضعة للتغيير والرضى المبالغ فيه بالقليل من الإنجازات التى يستتبعها التراخى، وقد ارتضت الدولة ولفترات طويلة ببعض هذه الإنجازات التى نعتبرها أموراً علاجية فمثلا قد أُستتاب بعض المتطرفين، وقُتل بعض الإرهابين ولكن قضية الفكر لم نحقق فيها الإنجازات المطلوبة وبالقدر الكافى حتى الآن، ويجب أن نشعر وباستمرار أن مستقبل هذه القضية يكتنفها بعض الشك.

(٢) التقليل من شأن الرؤية فى إدارة مستقبل الصراع مع التطرف، والتشدق بوصف الظاهرة على أنها عابرة والواقع العالمى والمحلى يشير إلى غير ذلك، من خلال ماتراه وماتحمله وسائل الإعلام من صور مأسوية له. إن تغيير بعض الأفكار التى تسربت إلى المحتوى الثقافى وكانت سببا للعنف الفكرى والعقائدى والسياسى تستغرق وقتا، ولا يجب أن تلهينا بعض نجاحات الأجل القصير عن قضية التلوث الفكرى والثقافى التى تسببت فيه هذه الظاهرة، كما لا يجب أن تتسبب بعض الإنجازات التى تتصل بالأعراض فى التراخى، حيث إن عملية التغيير يجب أن تكون جوهرية ومستمرة. وذلك *لأن الأفكار المسمومة وتسربها*

إلى المحتوى الثقافى لها صفة الاستمرارية وتستوجب استراتيجية مضادة. إننا لا نقلل من أهمية إنجازات الدولة فى محاربة ظاهرة التطرف والإرهاب ولكن يجب التأكيد على أن هذه الإنجازات لا تكفى، حيث إن تأثيرها الوقائى محدود ولا يزيد عن كونه ترهيبًا من الانزلاق فى مسلسل العنف. رغم أن الانتصارات فى الأجل القصير تحافظ على قوة الدفع، إلا أنه لا يجب أن يقف طموحنا عند هذه الانتصارات، كما لا يجب أن يتحول أسلوب المعالجة ـ وفيه الترهيب ـ إلى إرهاب من نوع آخر.

(٣) الفشل فى غرس التغيير فى ثقافة المجتمع: فما زالت بعض مؤسساتنا الاجتماعية وعلى رأسها المدارس والمساجد والكنائس والنوادى ـ بقصد أو بدون قصد ـ تشارك فى إعداد شبابنا للتطرف الفكرى وبعض الأمراض المجتمعية الأخرى، من خلال نمطية أساليب ووسائل عفا عليها الزمان، ربما كانت صالحة فى زمنها ولكنها الآن ومع الطفرات المعرفية والانفجار الثقافى باتت محدودة التأثير.

(٤) إن طريقة المواجهة التى تستخدمها الدولة فى إدارة الظاهرة طريقة علاجية إسعافية حملّت الشرطة مالا تستطيع تحمله لأنه قد تُرك لجهاز الشرطة التعامل مع السلوك والفكر معا، فى حين أن الأصل أن لا يتعامل هذا الجهاز مع الظاهرة إلا بعد أن تأخذ سلوك العنف أسلوبا، وعليه أصبحت إدارة التغيير تعنى العداء بين جهاز الشرطة والمتدينين، وذلك يكلف الشرطة الكثير ويلقى بعض الظلال على الاستقرار الداخلى من وجهة نظر المراقبين عن بعد.

(٥) عدم المقدرة على توصيل الرؤية ـ رؤية التغيير ـ وذلك لأن المسئولين عن هذه الرؤية قد اعتبرتهم العامة من فقهاء السلطة، ومن هنا فقدوا منطقية الإقناع المؤثر وعليه فيجب أن تتحول مسئولية نقل الرؤية إلى من لا تقيدهم إطارات فكرية أو وظيفية. ويكون الهدف من توصيل الرؤية هو إقناع العامة

بالتضحية حيث لا يضحى من لا يفهم ويرى سبب التضحية كما يجب أن يكون سبب التضحية أكبر من التضحية نفسها وتلك حالة لم تصل إليها إدارة التغيير بعد، ويجب أن تُخول مسئوليتها لقيادات التغيير بعيداً عن الهياكل والإجراءات الوظيفية. كما أن صياغة رؤية لتغيير الفكر الراهن وتنقيته من دنس التطرف يتطلب إحساس القلب وفكر العقل ويقظة الضمير، وذلك لأن الرؤى الفعالة هى التى توضع فى قالب تفكيرى سليم يرشده الضمير الوطنى والرحمة، كما أن حاملى لواء الرؤية لا بد وأن تكون لهم من القيم الراسخة ما يجعلهم يقودون الرؤية دون انفصام قد يأتى بنتائج عكسية. إن القائمين على رؤية تغيير فكر الشباب لم يستطيعوا مخاطبة مصالح الناس فى الأجل الطويل، وعليه فكانت رؤاهم غائمة وغير مركزة وقد افتقرت فى كثير من الأحيان إلى التركيز والوضوح ـ ومن هنا يجب أن تكون الرؤى مصاغة صياغة دقيقة وفى رسائل خالية من البكاء على الماضى وعبادته، حيث إن الرؤى تنظر دائما للأمام دون أن تتجاهل الماضى. إن خلق رؤية للمستقبل أمر قد تسوده الفوضى والاضطراب ويأتى مشحوناً بالعواطف، وعليه فلابد من وجود فريق عمل فعال قوى وذى مصداقية عالية، يجتمع فيه الحس الوطنى الذى يقوى الانتماء، فتقدم الرؤية من خلال المصلحة العليا وهى مصلحة الوطن وأمنه واستقراره وانطلاقه وازدهاره.

(٦) التسرع فى إعلان النصر علما بأن قضية معالجة الفكر قضية لا يمكن أن يتم فيها نصر بين يوم وليلة، وعليه فإنه من الخطأ أن نتسرع فى الإعلان عن أى نصر، كما لا يجب أن تحبطنا أى ممارسات قد تعكس بطء عملية التغيير.

إن التسرع فى إعلان النصر على الإرهاب غالبا ما يؤدى إلى التراخى ليس فقط فى الممارسات، ولكن فى التركيز والالتزام، وعليه فغالبا ما نعود مرة أخرى إلى نقطة البدء، حيث إن السلوك الإرهابى ما هو إلا عرض لمرض التلوث

الفكرى الذى أصبح يتدفق بطريقة عكسية بين العقل البشرى والمحتوى الثقافى للمجتمع. كل ذلك يوضح أهمية العمل على تنظيف القلب والعقل من المعتقدات والقيم التى تحرك سلوك الإنسان إلى أى شكل من أشكال العنف.

(٧) إن العقلية التى أدارت الصراع الفكرى مع التطرف والإرهاب قد كانت وراء ارتكاب العديد من الأخطاء السابقة، كما أن الفريق الذى أُوكلت إليه إدارة التغيير من رجال الدين والدولة كان ضعيفاً ولم يكن لبعضهم مصداقية القيادة ومهاراتها، وعليه فغلبت فى أعمالهم الأشكال على المضامين. كما أن أغلبية أعضاء المجتمع قد دافعوا عن بعض قيم التطرف وذلك لانتشار الأمية الثقافية والأمية الدينية وعقدة المعاداة الخفية للسلطة. إن رضا المجتمع عن بعض قيم التطرف لبعض الوقت كانت سببا فى نشر ثقافة هذا التطرف فأصبحت ضمن المحتوى الثقافى للمجتمع، وهذا أخطر ما فى المشكلة حيث يتطلب علاجها الوقت والجهد والفهم والتفانى والصبر. وهنا لا يجب أن نُقصر التطرف على التطرف الدينى فهناك العديد من أشكال التطرف والعنف التى لاتمت للدين بصلة، فمثلا تنتشر ممارسات متطرفة فى علاقات العمل وكذلك فى إدارة مؤسساتنا القومية، وعليه فقد يكون هناك تطرف إدارى وإزدواجية فى المعاملة والكيل بأكثر من مكيال، وهذه الأشكال قد [illegible]ثر على شبابنا وتدفعه إلى أشكال أخرى من التطرف قد يكون التطرف الدينى [illegible]حدها.

(٨) إن مشكلة التطرف الدينى أنها [illegible] فى ثقافة لا يصعب [illegible]قط تغييرها ولكنها تهدد أى جهد يهدف إلى التغ[illegible] ويدعو إلى قيم وقواعد سلوكية [illegible]جديدة، وعليه فإنها عملية تتطلب عملا جريئا ومثابرة. والأصعب من ذلك كله أن مشكلة التطرف لا تتطلب تغييراً كليا ولكن تتطلب تنقية لثقافة موجودة قد ارتكزت على وعاء دينى له من إجماع التقدير والاعتقاد ما يجعل التعامل مع المشكلة يمثل أيضا مشكلة فى بعض الأحيان، خاصة وأن الأمية الدينية أصبحت منتشرة بين

فئات وطوائف المجتمع، مما يجعل تكفير المعتدلين من المسلمين أمراً سهلا فى حين أن ذلك منافى لما جاء بالسنة الشريفة كما قد بينا فى مواقع أخرى من هذا الكتاب. وعلى ذلك فإن التحدى الحقيقى هو زراعة الأفكار والقيم الجديدة فى الثقافة الحالية دون أن يشك العامة فى محاولة تغيير أو تشويه المحتوى. وعليه فإن رؤية التغيير بهدف تنقية المحتوى الثقافى لا بهدف هدم الثقافة الموجودة يجب أن تصل إلى الرجل العادى دون عناء أو تفكير طويل.

(٩) إن الإرهاب فى مصر لم يصبح منظماً بالشكل الذى كان عليه من قبل، وعليه فإن هناك نقصا فى المعلومات، ولكن هذا النقص لا يجب أن يمنعنا من اتخاذ القرار، خاصة ونحن نعلم أن ظروف اتخاذ قرار التعامل مع الجماعات الإرهابية تتسم غالبا بقلة المعلومات وضيق الوقت والمخاطرة، وعلى المجتمع أن يدرك هذه الحقيقة حتى يجد العذر لأجهزة الشرطة فى بعض تجاوزاتها ـ إن كانت هناك تجاوزات غير مقصودة. وذلك لا يعنى أننا لا يجب أن نبحث دائما عن مزيد من المعلومات، ولكن لا يجب أن يضطرنا هذا البحث إلى عدم اتخاذ القرار فى الوقت المناسب وقبل حدوث مضاعفات. إن ذلك يستوجب الاعتماد على قدرات عقلية متميزة من بين أجهزة الشرطة تستطيع أن تغطى نقص المعلومات من خلال المهارات التحليلية والتخليقية للمعلومات المتاحة. ولذلك يجب تدريب رجال الشرطة ومعاونيهم على عدم رفض البدائل ـ حيث إن تلك من سمات العقل البشرى ـ لتكون هناك مرونة الحركة التي يختار فيها الشكل المناسب للصدّ والرد، والتعامل مع المشكلة ورسم علاج لاجتثاث جذورها.

(١٠) إنه برغم عهدنا بالتطرف والإرهاب فإن العلاقة السببية الحقيقية لدوافع الإرهاب ما زالت غير مفهومة بالشكل الشامل، ويجب أن تولى رعاية أكبر من مراكز البحث العلمى المتخصصة فى السلوكيات، كما يجب إلقاء الضوء على طبيعة التكوين الوراثى والبيئى للظاهرة. إن عدم إدارك العلاقة السببية

الحقيقية قد يجعلنا نستمر في بعض الممارسات التي قد تتسبب في تفاقم المشكلة وتصبح هذه الممارسات جزءاً من المشكلة.

إن نظام المصفوفات المعروفة قد يفيد كثيرا في تناول بعض الأمراض الاجتماعية، وفيه يمكن تصنيف المعلومات وتبويبها لفصل عناصر المشكلة ورؤية العلاقات والارتباطات بين المعلومات المتاحة بمنظور كلي شامل. إلا إن التعامل مع المعلومات وتحويلها إلى أوزان ترجيحية للمفاضلة بينها لا يجب أن يشغلنا بالأرقام عن الأفكار والخيارات. وهنا يجب التنويه على أن الأوزان الترجيحية متعددة الأبعاد، وذلك لأن الترجيح الغريزي يعتمد بصفة أساسية على العقل الباطن ولا يعتمد على العقل الواعي. والعقل الباطن يقيس الأمور من خلال عواطف تغيب داخلها منطقية التفكير ومن ثم القدرة على رسم صور العلاج الناجح.

وحينما تستقر رؤية التغيير في ضمير الأمة فإن مسئوليات القيادة تنتقل تدريجيا إلى مسئولية إدارة التغيير حيث تصبح الرسالة واضحة والمحافظة على قوة الدفع بها أمرا متكرراً، إلا أنه يجب التركيز على أهمية البدء في تغيير الثقافة من خلال إقناع الناس بضرورة تغيير قيمهم وسلوكهم الذي قد يحمل بين طياته بعض أشكال التطرف الفكري. ومهمة الإقناع هذه تتكون فيها أجهزة فكرية متعددة من خلال المؤسسات الاجتماعية المختلفة، ولابد أن تتجه إلى النشيء كما تتجه إلى الكبير بالوسائل التربوية الاجتماعية التي تناسب كل نوعية بفكرها وظروفها وتطلعاتها

الفصل التاسع

مناخ التعليم والتطرف الفكرى

الفصل التاسع: مناخ التعليم والتطرف الفكرى

ملخــص

إن مناخ العملية التعليمية يعتبر أخطر العوامل التى تؤثر على عائد التعليم وتنمية الثروات البشرية ورأس المال الفكرى فى أى مجتمع، وهو الذى يُصيغ رسالة التعليم ومبادئها الإرشادية. وحينما تتوفر الإمكانات المادية والبشرية المناسبة فإن وحدة المبادىء تقضى على الفرقة بين القائمين على العملية التعليمية والمستفيدين منها. إن بعض الظروف السياسية والاقتصادية التى مرت بها البلاد فى فترة ما بعد ثورة يوليو المجيدة قد أفرزت مناخا ضاغطاً على العملية التعليمية، كان من نتيجته أن فقدت العملية التعليمية أهم مبادئها وهو توازن العلاقة بين التعليم والمقدرة التعليمية لمدارسنا وجامعاتنا، وذلك مبدأ اقتصادى معروف، صيغته توازن الإنتاج مع المقدرة الإنتاجية لضمان الاستمرارية. كل ذلك وبالإضافة إلى ضغط الانفجار السكانى قد أثر على المناخ الفيزيقى والنفسى والاجتماعى للعملية التعليمية، وكانت المعرفة والمهارات التقنية ومهارات الاتصال الإنسانى أولى ضحايا هذا المناخ. وكلنا يدرك منزلق اختلاف القيم وعدم الثقة وانتشار الدروس الخاصة وتسرب بعض الامتحانات وعدم أمانة التقويم والأمية الدينية والتعصب الأعمى والتطرف الفكرى. إن خطورة المناخ التعليمى تكمن فى مخرجات التعليم الثقافية والاجتماعية والسياسية ودورها فى المحافظة على النظام الديمقراطى والسلام الاجتماعى والأمن القومى. وحتى يمكن إعادة صياغة المناخ التعليمى فإنه يجب أن يوضع التعليم على قمة الأولويات القومية مع التركيز على التعليم الأساسى، كذلك فإن إدارة العملية التعليمية يجب أن تخلق ثقافة عالية الثقة فى

مؤسساتنا التعليمية وذلك لن يكون إلا من خلال إدارة واعية لها رؤية تفوق مجرد اجتياز الطلاب للامتحانات التجريبية والنهائية ونتائجها إلى صياغة العقل المصرى وتمكينه من استيعاب تحديات العصر فوق كل ما هو مألوف. إن مضمون العملية التعليمية يحتاج إلى مزيد من التحليل وذلك حتى لا تتحول مدارسنا وجامعاتنا إلى مؤسسات تربى التعصب الدينى والتطرف الفكرى. إن المسئولين عن كتابة التاريخ تقع عليهم مسئولية كبرى فى ربط الشباب بجذوره وعدم السماح له بالاغتراب والانفصال عن جسم المجتمع. كل ذلك يوضح خطورة محتوى مقررات التربية الدينية والتربية القومية أو الوطنية وأهمية إعداد القائمين على تدريس هذه المواد حتى لا تصبح هذه المقررات مادة لبرمجة فكر الشباب فى اتجاه بعض أشكال التطرف والتعصب والعنف. هذا الكلام لا ينطبق فقط على المسلمين ولكنه وبنفس القدر ينطبق على المسيحيين، حيث يوجد فى مدارسنا بعض المدرسين الذين قد تربوا فى مناخ التعصب أو التطرف، وعليه فيقومون تلقائيا بتغذية هذا الفكر الشاذ فى عقول شبابنا وهم فى مقتبل حياتهم. إن وجود مثل هذا النوع من المدرسين محدودا ولكنه يزداد فى المدارس الخاصة، ذات الصبغة الدينية، عن المدارس الحكومية. إن مناخ العملية التعليمية فى المدارس الخاصة يحتاج إلى إعادة نظر، حتى وإن كان ما يثار حولها مجرد إشاعات أو مؤشرات خالية من المعلومات الدقيقة. كذلك فإن مناخ التعليم فى بعض المساجد والكنائس (لقاء الثلاثاء ودروس الأحد) غالبا ما يشوبها بعض أشكال التعصب، خاصة إذا قدمت هذه المؤسسات خدمات تعليمية مقصورة على طوائفها من ناحية ولاتمت للدين بصلة من ناحية أخرى.

مقدمة

سبق وأن تحدثنا عن العلاقة العضوية والدائرية والتفاعلية بين رأس المال

البشرى والتنمية الشاملة، كما ألقينا بعض الضوء على عناصر تنمية الموارد البشرية، وركزنا بصفة خاصة على أهمية التعليم فى هذا المجال، إلا أنه لا يمكن الحديث عن كم ونوع التعليم فى مصر أو أى بلد آخر دون الكلام عن مناخ العملية التعليمية، كذلك يجب النظر إلى مناخ التعليم على أنه إحدى قضايا التنمية الهامة، وعليه فإن إعادة صياغته حتى يحتضن العملية التعليمية وينميها لتعظيم العائد منها هى إحدى قضايا الساعة الملحة. كما أن مناخ التعليم يشكل البيئة الاجتماعية للعملية التعليمية وعلاقات العمل بين أعضاء هيئة التدريس ومعاونيهم والطلاب، وعليه فإنها لا تؤثر فقط على عائد العملية التعليمية فى المهارات التقنية ولكنها تؤثر أيضا فى مهارات التفاعل الإنسانى. والمهارات الأخيرة لا تقل أهمية عن المهارات التقنية حيث إنها نواة تشكيل رأس المال الاجتماعى فى عمليات التنمية. كذلك فإن مناخ العملية التعليمية ونماذج علاقات التفاعل والتحاور بين الطالب والأستاذ تعتبر من الأساليب الهامة التى تربى القبول بمبدأ التعددية الفكرية بما فيها التعددية العقائدية، وبذلك فإن المناخ التعليمى السليم يعتبر وقاية من توحد الفكر وتطرفه وغرس لقيمة الديمقراطية والتعددية.

إن المناخ العام للعمليات التعليمية يشبه حقول الألغام، فالاتجاه المستقبلى لا يزال غير واضح المعالم والتنبؤ بنجاح وفاعلية العملية التعليمية فى تشكيل ثقافة المواطنين، وتنمية مهاراتهم للدخول فى عمليات التنمية القومية أصبح عملية صعبة، بل إن عدم المقدرة على التنبؤ فى ضوء المؤثرات الأخرى كمشكلة السكان قد يضيف إلى هذا المناخ أبعادا أخرى مثل التناقض والتشويش وعدم وضوح معالم الطريق.

إن ما وصلت إليه العملية التعليمية فى الوقت الحالى كان وليد عناصر متشابكة جعلت أولوية التعليم تأتى فى المقام الرابع بعد الأمن السياسى والاجتماعى والاقتصادى، وذلك لأسباب عديدة منها أن الدولة ولعشرات السنين مرت بظروف

سياسية عصيبة، واستنفدت معظم ثرواتها للدفاع عن أرض الوطن العربي وإرادة الشعب المصري السياسية، ونظرا للحرمان الذي تعرض له الشعب المصري ولقرون عديدة فقد بدا أن القيادة السياسية قد انزلقت بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ إلى منعطف الخداع المتبادل بين الحكومة والشعب، فكانت الحكومة تعد ولا تستطيع التنفيذ وتوزع أرباحا وهمية على العاملين، وأيضا تدعم سلعا كانت في الأصل منتجا خاسرا لم يغط تكاليف إنتاجه، وفي المقابل كان الشعب يصفق ولا يعمل ولفترات طويلة وكانت النتيجة سيادة القطاع العام الذي لا يمكن إنكار دوره ولكن ـ أيضا ـ لا يمكن القول إنه كان أداة لتنمية الوطن تنمية حقيقية بكل أبعادها. كل ذلك قد أثر بشكل مباشر وغير مباشر على توازن التعليم والمقدرة التعليمية لمدارسنا ومعاهدنا، والنتيجة واضحة منها الازدحام ونظام الفترات في المدارس وتحول الدراسات العملية إلى دراسات نظرية في بعض المعاهد والجامعات .... الخ. ولكن أخطر ما يواجه العملية التعليمية في الوقت الحالي هو أن مناخها لا يسمح بالامتلاء الثقافي والتكامل السيكولوجي والانتماء للوطن لدى العديد من الشباب وكلها عوامل لها دور خطير في تطور ظاهرة الخواء الثقافي إلى اليأس والانعزال عن حاضر المجتمع ورفض قيمه الثقافية ومحاولة البحث عن محتوى ثقافي آخر، غالبا ما يكون أجنبي الصنع، أو الهجرة الزمانية للماضي وتلك هي بعض أسباب الصحوات الدينية الشكلية وصحوات الأزمة. إن الهجرة الزمانية للماضي والبكاء عليه، وحتى عبادته ظاهرة تزاحم الحاضر وقد تسبب في عقول هؤلاء الشباب الذي فقد هويته وارتباطه، وعليه فإن الخواء الثقافي قد يسمح بتناول المخدرات الفكرية، وبذلك يصبح هؤلاء الشباب صيدا سهلا في أيدي قيادات التطرف والإرهاب.

كل ذلك يوضح أهمية تطهير عقل وقلب الشباب والعمل على تزويده بالمعلومات الصحيحة التي تحترم ذكائه وتوفر له معرفة راسخة وأصيلة تقيه شرور المخدرات الفكرية والتي قد تنتشر في البيئات الفقيرة والمجتمعات العشوائية بشكل سرطاني.

مركز المناخ التعليمي

إن بيئة ومناخ التعليم يجب أن يتمركزا على بعض المبادىء الطبيعية التى يتفق عليها كل المهتمين والمستفيدين بالعملية التعليمية، وهذه البيئة هى أنسب البيئات ملائمة لنمو الطلاب وتطوير مهاراتهم وصياغة سلوكهم على أساس من المسئولية والمحاسبة وأيضا الفعالية. إن تمركز مناخ التعليم على المبادىء الطبيعية يجعل اتجاه كل العاملين أو المهتمين بالعملية التعليمية اتجاها متوازيا ومتوازنا، دون تعارض أو تناقض فى فهم رسالة التعليم وأهمية دوره فى تنمية قدرات الشعب ومقدرة الدولة على المنافسة فى ظل نظام الكوكبة الجديد (أحيانا يسمى العولمة أو العالمية وكلها ترجمة لمعنى المصطلح الانجليزى Globalization). إن أول مبدأ طبيعى يجب أن تتمركز عليه نظرتنا للتعليم هو القيمة المضافة إلى الثروات الطبيعية، فعلى سبيل المثال ثبت أن ٩٠٪ من قيمة المصنوعات ـ حتى الإليكترونية منها ـ هى قيم مضافة بفعل العلم أما باقى القيمة (١٠٪) فترجع للمحتوى المصنوع من المواد الطبيعية (الخامات وخلافه)، وذلك مما جعل بلاد النمور السبع واليابان تغزو العالم اقتصاديا رغم عدم توفر الثروات الطبيعية. إن هذه البلاد أعطت التعليم أولوية مطلقة، وذلك لأن المواطن المثقف المدرب الماهر ذى الصفات الحميدة هو القادر على توفير الأمن السياسى والاجتماعى والاقتصادى لنفسه ولبلده. أما فى البلاد النامية للأسف فلا زال التعليم يحتل مكانة متأخرة، مما جعل المناخ التعليمى يتمركز على بعض القيم غير الموضوعية والتى تختلف باختلاف الشخص، فقيمة التعليم لدى المدرس تختلف عنها لدى الطالب، وكلاهما تختلف عن القيمة لدى ولى الأمر وسوق العمل المصرى. إن تعارض هذه القيم جعل المناخ السائد للعملية التعليمية مناخا يعمه جو من عدم الثقة والشعور بعدم التقدير وتبسيط علاقات التعليم إلى أستاذ ـ طالب، أقل ما فيها هو رسالة التعليم وأكبر ما فيها هو علاقة شراء النجاح بالدروس الخاصة، التى أصبحت روشتات للإجابة عن أسئلة امتحانات نمطية دون استيعاب المحتوى، ثم تفوق الطالب فى

المقررات دون أن يتمكن من تحويل معلوماته إلى معرفة، رغم أن الأخيرة هى التى تنمي المهارات، وكلنا يعلم أن التنمية الشاملة فى أى مجتمع تتوقف على كم وكيف المعرفة والمهارات المتاحة. إن نجاح الطلاب دون استيعاب المقررات الدراسية ودون تحول معلوماتهم إلى معرفة قد تفقدهم ثقتهم بأنفسهم وبالنظام التعليمى، وأيضا فإن عدم تحول المعلومات إلى معرفة قد يفقد بعض شبابنا التعرف على المنهج العلمى وتحليل المضمون وتلك مهارتين تساعدا على التفكير المنطقى من خلال مبدأ السببية والذى يعتبر خط الدفاع الأول ضد فكر التطرف وذلك لأن التطرف يتنافى مع كثير من المبادىء الإنسانية.

إن المتناقضات فى رؤية المهتمين بالعملية التعليمية تبعد المعلمين عن وظائفهم الرئيسية، فبعضهم يريد إعداد الأجيال المقبلة ولكن يقابلهم توقعات متناقضة ومتعارضة، منها على سبيل المثال أن المجتمع ينظر إلى التعليم على أنه القادر على القضاء على الأمراض الاجتماعية والسياسية والعقائدية، مما يلقى عبئا جديدا على المعلم خارج دائرة إتاحة المعرفة وتدريب المهارات، ولكن فى نفس الوقت تقل مدخلات العملية التعليمية ومرتبات القائمين عليها. إن العامل المادى له عظيم الأثر وقد يكون العامل المحدد لنجاح العملية التعليمية وذلك لأنه يؤثر على المصادر الطبيعية والمصادر البشرية التى يمكن إتاحتها لخدمة التعليم. إن المناخ العام الحالى هو حصيلة سنوات من عدم المقدرة على الإنفاق على التعليم. تصبح أولويته مناسبة يصبح قادرا على استيعاب الأعداد الكبيرة والتى تحركها عوامل اجتماعية أهمها زيادة عدد السكان، والنظرة إلى الشهادة العلمية من منظور اجتماعى غير تنموى. إن أخطر ما يهدد مناخ العملية التعليمية هو انتشار جو عدم ثقة بين القائمين على التعليم والمستفيدين منه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، كذلك الشعور بعدم جدية إصلاح العملية التعليمية – كل ذلك جعل المدرس يبحث عن الأعمال التى تقتل وقته المؤسسى،

وتحافظ على وقته الشخصى الذى يُدر عليه الربح من خلال الدروس الخاصة أو الأعمال الأخرى التى لاتمت للعملية التعليمية بصلة، كالعمل كسائق سيارة أجرة أو صاحب محل أو مطعم وخلافه. كما أن الشعور السائد لدى شريحة كبيرة من المعلمين بعدم تقدير جهودهم قد تضيف إلى دواعي جو عدم الثقة، وأيضا تصيب الجادين منهم بخيبة الأمل والعزوف عن المشاركة الحقيقية، والانضمام إلى التيار العام السائد حاليا خاصة لدى مدرسى المرحلة النهائية فى الثانوية العامة والفنية.

إن قضية التقدير من القضايا الهامة فى إدارة العمل المؤسسى وذلك لأن أعمق وأقوى أنواع الجوع هو الجوع العاطفى، وعدم التقدير يجعل الإنسان لديه من الجوع العاطفى ما يضعف من قدرته على العطاء على المستوى الفيزيقى والذهنى. كذلك فإن الجوع العاطفى قد يدفع بالشخص إلى طريق الاغتراب وهو الطريق العكسى للانتماء، وعليه فإن إصلاح العملية التعليمية يجب أن يبدأ بخلق مناخ تعليمى عام يُقدَّر فيه عمل المدرس بطريقة تجعله يشعر برسالته ويؤمن بالقول الشهير "**كاد المعلم أن يكون رسولا**". **إن الشعور بعدم التقدير يغذى مشاعر سلبية أخرى فى حلزون صاعد، ينتهى بالدروس الخاصة وتسريب الامتحانات، وعدم توفر أمانة وموضوعية تقويم الطلاب وتدفق الأعداد غير المؤهلة مهنيا وأخلاقيا إلى سوق العمل المصرى المحدود وانتشار البطالة فى كافة صورها وأخيرا قلة الإنتاج مما يؤثر على الإنفاق على العملية التعليمية فى دورة جديدة من دورات تقهقر أولوية التعليم.** وبالإضافة إلى كل ذلك فإن مناخ العملية التعليمية قد يؤثر بطريقة مباشرة على انتشار بعض أشكال التعصب الدينى والتطرف الفكرى. نظرا لتدهور العملية التعليمية فى كثير من المدارس الحكومية فقد لجأت بعض الجهات لتمويل مدارس خاصة أخذت طابعا دينيا (إسلامية كانت أو مسيحية) وهنا بدأ مسلسل العنف اللفظى داخل هذه المدارس وأصبح بعضها يمثل حضانات للتطرف الفكرى، أيضا فإن بعض المدرسين الذى يعارون إلى دول الخليج

بحثا عن المال قد يحملوا معهم فى رحلة العودة بعض فكر التطرف الذى قد لا يؤثر على سلوكهم فقط، ولكن يؤثر أيضا وبشكل قد لا يبدو ملموسا على مستقبل سلوك أولادهم وتلاميذهم.

الرؤيـــة والتغييـر

إن القليلين من قيادات التعليم لهم من الرؤية ما يجعلهم يقدرون أن هناك عدم توازن بين الثروات والمطالب مما قد أدى إلى مشاكل عديدة تراكمت بشكل قد أثر على مناخ العملية التعليمية. إن المناخ الحالى قد يضيف مشاكل جديدة أو يعقد من المشاكل الموجودة، وكلها عوامل قد تجعل من العملية التعليمية عبئا على الأسرة المصرية من ناحية وقد تتسبب فى تأهيل شبابنا للاغتراب وهو خطوة أولى تجاه التطرف الفكرى من ناحية أخرى. وفى هذا المقام نود أن ننكر أن رؤية التعليم لدى الدول المتقدمة أصبحت رؤية اقتصادية، ولها عناصرها الإنتاجية وأيضا لها مدخلاتها ومخرجاتها، وأصبح هناك مفهوم عام لمبدأ طبيعى وهو أن التعليم الراقى للجميع، لابد وأن تتوازن فيه الإنتاجية مع المقدرة على الإنتاج، خاصة فى ظل الانفجار السكانى الذى يهدد وفى مقدمتها الدول النامية. إن عدم توازن العملية التعليمية مع مقدرة مؤسساتنا التعليمية على تقديم هذه الخدمة للمواطنين يوجد نوعا من الانتهازية لبعض قاصرى النظر، متصورين أنه إن لم يأخذ أحدهم نصيبه فسوف يأخذه الآخرون، وإذا ما أخذ أى واحد نصيبا أكبر لأى سبب من الأسباب تصور الآخرون أن ذلك سوف يؤثر سلبا على نصيبهم، وتلك من مظاهر قصور الرؤية، ومن أعراضها المنافسة للتفوق الوهمى بين طلاب المرحلة الثانوية، وأيضا المنافسة غير الجادة للحصول على أماكن بالمؤسسات التعليمية الخاصة مثل كليات الشرطة والكليات العسكرية وبعض الجامعات والأكاديميات والمعاهد الخاصة. إن عدم وضوح الرؤية لدى المستفيدين بالعملية التعليمية تجعلهم يسيئون استخدام الثروات، أما القائمون على العملية التعليمية

فيترتب على عدم وضوح الرؤية لديهم غياب السياسات العامة المبنية على فهم دقيق لرسالة التعليم ومبادئه الإرشادية وارتباطه بطريقة مباشرة بعمليات التنمية فى كل محاورها وعلى رأسها التنمية البشرية. **إن عدم وجود رؤية واضحة لرسالة التعليم ومبادئه الإرشادية، بالإضافة إلى مناخ عدم الثقة السائد تجعل وسائل الاتصال بين القائمين على العملية التعليمية والمستفيدين منها دفاعية وتجعل توقعاتهم متضاربة ومتعارضة، وكل ذلك يجعل مناخ العملية التعليمية أقرب إلى العنف منه إلى التسامح.**

وهنا يجب التركيز على طبيعة العلاقات بين القائمين على العملية التعليمية، حيث إن هذه العلاقات لاتؤثر فقط على المسيرة التعليمية وأهدافها التكتيكية ولكنها تؤثر على الأهداف الاستراتيجية والتى منها تشكيل عقل وفكر شبابنا وعليه فإن غياب القدوة قد يوثر سلبا ولمدى قد يتعدى مجرد ظهور بعض السلوكيات الشاذة داخل أسوار المدارس إلى التأثير على التكوين العقلى والوجدانى والسيكولوجى للشباب بعيد تخرجهم ودخولهم سوق العمل المصرى. إن غياب القدوة لا ينحصر فقط فى مهارات الاتصال فى العلاقات المدرسية والجامعية، ولكن يتعداها إلى غياب القدوة المهارية والقدرة التقنية بين المدرسين. وتضغط مشكلة السكان على العملية التعليمية مما يجعل التعيين فى وظائف هيئات التدريس بالمدارس ضرورة ترتفع فوق مستوى التأهيل المهنى والتفاعلى مما يستتبعه فقدان القدرة والقدوة بين العديد من مدرسى المدارس، وذلك يؤثر بالطبع على مستوى الإعداد الفكرى لشبابنا وقد يكون ضمن الأسباب الرئيسية لانتشار الأمية السياسية والثقافية والدينية والاجتماعية بين الشباب. إن هذه الأشكال من الأمية تهيىء المناخ الفكرى لشبابنا للقبول بالأفكار المتطرفة والشاذة.

ومن هنا يجب أن يحاول المجتمع معالجة مشاكل التعليم بشتى الطرق. وتبذل وزارة التعليم حاليا قصارى جهدها للعمل على حل بعض المشكلات المتراكمة، والمعقدة التى أصابت التعليم فى مصر فى الأربعين سنة الماضية، إلا أن بعض البرامج قد

تضيف إلى عوامل الغموض والتخبط، وذلك كما حدث حينما استحدثت وزارة التعليم نظام السنوات الخمس للمرحلة الابتدائية، ونعتقد أن الوزارة ستعود إلى ماضي المرحلة حينما كان ست سنوات إن آجلا أو عاجلا. إنه وبصفة عامة حينما تغيب الرؤية تهتز سياسيات وخطط التعليم، وتصبح معايير النجاح قليلة أو غير موضوعية، وكل ذلك يعمل على هدم ثقافة مؤسساتنا التعليمية ويسمح بوجود الفوضى المؤسسية وانتشار مناخ عدم الثقة والأنانية، ولن نرقى بالعملية التعليمية من خلال مزيد من القرارات، ولكن من خلال إيجاد المناخ الذى يبرز رسالة التعليم ومبادئه الإرشادية فى كل أنشطة المدارس والمعاهد والجامعات. **يجب أن يكون لدينا مفهوما واضحا لرسالة التعليم يتعدى الحصول على الشهادات والوظائف إلى مستقبل المجتمع ومقدرته على تحقيق الاستقرار والأمن بأبعادهما الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية.** إن رسالة التعليم تتلخص فى المحافظة على عقول شبابنا وإعطائهم مفاتيح الغد لاطلاق طاقاتهم وقدراتهم وتسليحهم بالقدرة على المنافسة فى تلقائية اجتماعية وانتماء قومى يرتفع فوق التعصب الشاذ والمريض للخصوصيات.

إنه وبدون الرؤية العامة للعملية التعليمية فإن مجموعات متعددة من القائمين أو المستفيدين من العملية تحاول الضغط لتقنين مصالحها الشخصية، وفى نفس الوقت يحاول المواطن العادى الضغط فى الاتجاه العكسي نحو أسلوب دقيق للمحاسبة فى ضوء رسالة العلم والتعليم. فمثلا يحاول [illegible] أن يبحثوا عن حرية بعيدا عن القيود المفروضة عليهم، ويحاول أولياء الأمور فى نفس الوقت أن يضغطوا فى اتجاه البحث عن مقياس كمى للحكم على مستوى الأداء والنتائج فى العملية التعليمية، وهذه الطاقات المتشاحنة والمتنافرة تؤثر على الروح المعنوية للقائمين على العملية التعليمية، وتضيف إلى مناخ عدم الثقة سلوك النقد المبالغ فيه ولوم الآخرين وعدم تحمل المسئولية أو البعد عن محاسبة الذات. وكل ذلك يجعل المؤسسة التعليمية تتعامل مع أعراض

المشاكل دون البحث فى الأسباب الحقيقية للعطب المؤسسى. وتتراكم هذه المشكلات داخل مؤسساتنا التعليمية وتنعكس على المناخ التعليمى بطريقة مؤادها أن يفقد بعض الشباب انتماءه لهذه المؤسسات وتلك خطوة قد تمهده للدخول فى مرحلة الاغتراب التى تؤثر سلبا على الانتماء القومى.

وهنا يأتى السؤال الهام وهو ما هى الرؤية التى يجب أن تشكل عقل وقلب المعلم؟ والإجابة عن هذا السؤال ليست بعيدة عن تفاصيل الرؤية القومية العامة للتعليم، فالأصل فى العملية التعليمية أن يُقدم المعلم خلاصة جهده وخبرته وفكره من خلال دور تنسيقى وتنشيطى محدد، يمكن أن يقوى التلميذ ويجعله قادرا على تحمل مسئولية تعليم نفسه بنفسه وأن يتعلم من غيره. **إن الرؤية العامة للتعليم المبنية على مبادىء طبيعية أهمها أنه لا تنمية بشرية بدون تعليم، فالتعليم ينمى القدرات ويحفز الطاقات ويطور المهارات اللازمة للتنمية القومية، كما أن التعليم الصحيح لا بد وأن ينمى المواطن ثقافيا وسياسيا واجتماعيا، بطريقة تمكنه من المساهمة فى الحفاظ على النظام الديمقراطى والسلام الاجتماعى والأمن القومى، وكلها دوائر متشابكة يؤدى التعليم فيها دورا أساسيا إن لم يكن مركزيا.** وهنا يجب التركيز على دور التعليم فى تشكيل دواعى الأمن الاجتماعى، فالتعليم يجب أن يؤهل الشباب للاندماج الاجتماعى بعيدا عن روح التطرف والتعصب والأنانية ـ ليس فقط من خلال السلوك الاجتماعى التلقائى ولكن أيضا من خلال الفهم لأهمية رأس المال الاجتماعى فى مستقبل الشعوب ـ خاصة وبعد دخول العالم فى مرحلة الأزمات الاقتصادية التى وإن ضغطت على نسيج اجتماعى متهالك فقد تسبب مشاكل أبعد فى تأثيرها من المشاكل الاقتصادية. إن هذه الرؤية العامة تطلق طاقات المدرسين الإبداعية، وتفك القيود التى تحد من عطائهم ولو نفسيا، وتجعل المدرس يعود مرة أخرى إلى كامل دوره كمعلم وليس كسيد، ولقد أثبتت التجربة أن الفائدة من العملية التعليمية تفقد تدريجيا حينما يشعر التلاميذ أن

معلمهم قد تحول من دور "الأستاذ" إلى دور "السيد"، وفي هذا المناخ الذى اصطبغت علاقة التلميذ بأستاذه بمفهوم السيادة الزائفة، تنمو السلوكيات السلبية وتتسم بيئة التعليم بالاضطراب والعنف والتطرف، ويصبح التلاميذ ضحايا هذه البيئة في المدى القريب، والمجتمع هو الضحية الآجلة بل والمستمرة.

إن خطر تسمم بيئة ومناخ العملية التعليمية ليس فقط في التأثير على مستوى التحصيل وتنمية القدرات الذهنية، ولكن في أن هذه البيئة تؤثر بشدة في تشكيل سلوك التلاميذ وتوجد منهم قوى عمل، تتصف بالانهزامية والاستسلام أو الهجوم غير المدروس أو الهروب من المواقف دون البحث عن حلول موضوعية، وطبعا الاغتراب يعتبر أحد هذه السلوك وضحيته هو الانتماء كما سبق أن بينا. إن النتيجة الحتمية لتسمم بيئة التعليم هو إيجاد قوى عمل غير قادرة على اتخاذ القرار خاصة في وقت الأزمات، وذلك يلقى علينا عبئاً آخراً، وهو محاولة تنمية المهارات القيادية في مؤسساتنا الخدمية والإنتاجية، ولن يتأتى ذلك إلا من خلال ممارسة سياسات التفويض، والمشاركة في صناعة القرار، والموازنة بين مصلحة العمل ومصالح العاملين، وكذلك التدريب على مهارات العلاقات الإنسانية وعادات الفعالية بنفس قدر التدريب على المهارات التقنية. ولذلك فإن البلاد النامية تحتاج أكثر من غيرها إلى تشجيع التعليم المستمر والتعليم من بُعد وإعادة تدريب قوى العمل المؤسسي وتنمية المهارات الإدارية والقيادية. وفي الفصل العاشر سوف نركز على تنمية وتطوير عادات الفعالية للشباب وذلك لأهمية هذه العادات في تدعيم القدرات الوظيفية وكذلك في تنشيط التحولات الاجتماعية لصالح الأمن والاندماج الاجتماعي مع الارتقاء بالأداء المؤسسي، وكلها عوامل تدعم المناخ العام لعمليات التنمية.

قوانين التغيير الطبيعية

هناك قوانين طبيعية تحكم أى تغيير مؤسسى، وهذه القوانين تعتمد على بعض المبادىء الهامة، ومنها على سبيل المثال أن الشخص هو محور التغيير وذلك يتمشى مع قوله سبحانه وتعالى "**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.**" وأهم عناصر التغيير على المستوى الفردى هو تكامل الشخصية التى تنمو من خلالها صفات التفاعل والقوة. وتتكامل الشخصية حينما يتصف الشخص ببعض الصفات الأساسية الحميدة، وتكون له مهارات مهنية عالية وفعالية فى الاتصال بالآخرين. إن تكامل الصفات والمهارات يكسب الشخص مصداقية عالية، يمكن أن يتمركز عليها أى تغيير مؤسسى، حيث إن المصداقية هى أساس نسيج العلاقات المبنى على الثقة المتبادلة، وحينما يكون هذا النسيج هو الطابع العام لمناخ العملية التعليمية فإن الاتصالات والعلاقات والمعاملات بين القائمين والمهتمين والمستفيدين بالعملية التعليمية تتم بسهولة ويسر، وبأقل قدر من السلوكيات السلبية وكل ذلك يقوى الطالب والأستاذ والإدارى بعيدا عن كل أشكال العنف. وإذا ما نُقى مناخ التعليم من العنف جاءت التنمية البشرية نظيفة ومهيأة لدفع عمليات التنمية الشاملة التى تتعاظم أبعادها الاجتماعية والثقافية والسياسية وتتحول فيها التنمية الاقتصادية إلى وسيلة لتنمية الإنسان فى كافة جوانب حياته.

والمبدأ الثانى للتغيير هو مبدأ التمكين، وحينما تسود الثقة والتمكين مناخ التعليم، فإن دائرة التأثير تنمو على حساب دوائر القلق، وبنمو دائرة التأثير تتحرك المؤسسة التعليمية فى الاتجاه الصحيح لتحقيق رسالة التعليم. وبصفة عامة فإنه كلما حاولنا أن نركز حياتنا على المبادىء الطبيعية الفطرية ونحيا بهذه المبادىء فى علاقاتنا مع أنفسنا ومع الآخرين (مدرسين، تلاميذ، أولياء أمور، إداريين ...إلخ) فإن مصداقية العملية التعليمية تنمو وتترعرع وتتعمق وتخلق مناخا عاما من الثقة فى تعامل المهتمين

والقائمين على العملية التعليميـة. إن مناخ العملية التعليمية دائرة تغذى حلقـاتها بعضها بعضا، وهذه الحلقات هى المبادىء الطبيعية ومؤثراتها المباشرة وغير المباشرة. والمدقق لمحتوى قوانين التغيير يجد أنها طبيعية وفطرية ولا تعتمد على مزيد من القرارات ولكنها تعتمد على طبيعة العلاقات، مع توفر الإمكانات وترشيد استخدامها فى ضوء رسالة التعليم ومبادئها الإرشادية. وهناك مبادىء إرشادية كثيرة لرسالة التعليم وكلها تأتى موازية للمبادىء الطبيعية أو الفطرية ولن يتسع المجال هنا لشرحها، لكن وعلى سبيل المثال نذكر أن العملية التعليمية فى وقتنا الحالى تتعارض مع قانون طبيعى هام جداً يسمى قانون الحصاد. وقانون الحصاد يعنى أن الحصاد يستوجب الإعداد والزراعة والرعاية، وكلها عمليات تأخذ بعض الوقت الذى يمكن اختصاره ولا يمكن إلغاؤه. وهذا قانون طبيعى يجب أن نتداركه فى كل أعمالنا، ولكن العملية التعليمية بالشكل الحالى لا تتم متناغمة مع هذا القانون فعلى سبيل المثال يأخذ الطالب الدروس الخاصة لاجتياز الامتحانات ويتفوق كما أن بعض الطلاب يركز على بعض أجزاء المادة من خلال توقعاته للامتحانات ويجتاز هذه الامتحانات ولكن البعض الآخر يستذكر فقط ليالى الامتحانات وقد يجتاز أيضا هذه الامتحانات. وهذه كلها أسباب تحول دون تحول المعلومات الدراسية إلى معرفة تدخل اللاشعور ويمكن تطويرها أو استخدامها فى عمليات الإبداع والابتكار. كل ذلك يدل على خلل فى العملية التعليمية ومناخها الذى يجب إصلاحه.

المسئولية المشتركة

إن ماضى التعليم قد شهد انحساراً فى العملية التعليمية إلى علاقة بين المدرس والطالب، ولذلك كان إلقاء اللوم على عنصرى هذه العلاقة هو السمة الغالبة فى تشخيص وتسطيح مشاكل التعليم. وبالطبع فإن إلقاء اللوم على الآخرين عملية تستنزف جزءا من طاقة المهتمين والمستفيدين بالعملية التعليمية استنزافا استهلاكيا لا

يأتى بنتائج إيجابية، وعليه فإن الخطوة الأولى لإصلاح التعليم هو أن نستغل هذه الطاقة استغلالا إيجابيا من شأنه أن يشعر الجميع بمسئوليتهم لما وصل إليه حال التعليم من ناحية وما يمكن أن تكون عليه هذه الحال فى المستقبل من ناحية أخرى. وحينما يشعر الجميع بالمسئولية عما حدث والالتزام بالتغيير إلى الأحسن، فإن مشاعر الثقة المتبادلة تنمو لتوجد مناخا للتعاون الابتكارى بين المهتمين والمستفيدين بالعملية التعليمية، كل ذلك بغرض توفر العناصر المادية والموارد الطبيعية والثروات البشرية اللازمة لتوازن وتقديم الخدمات التعليمية بجودة عالية. إن دور المجتمع لا بد وأن يتعدى الدور التقليدى الذى يركز فقط على تقويم حسن أداء الأستاذ ومدى استيعاب التلميذ. إن العملية التعليمية عملية إنتاجية مكلفة وقد لا تظهر مخرجاتها على المستوى الفردى، ولكن مخرجاتها على المستوى القومى مؤكدة ولا يمكن الاستغناء عنها خاصة فى وقت تشتد فيه المنافسة وتتعدد جوانب النقص فى طرق استخدام العلم لإضافة القيمة التكنولوجية (القيمة المضافة) إلى الموارد الطبيعية فى بعض دول العالم. وفى مناخ تحكمه المبادىء الطبيعية، يتحدد من تقع عليهم مسئولية المحافظة على هذا المناخ من جهة، ومسئولية النهوض بالعملية التعليمية من جهة أخرى، وتتساوى مسئولية جميع الأطراف فيما يختص ببيئة ومناخ التعليم، وتتوزع مسئوليات النهوض حسب الحاجة والقدرات. وفى هذا المناخ يتم تقوية الأساتذة والتلاميذ ورفع مستوى العلاقات إلى تعاون ابتكارى مع تعبئة كافة الثروات الطبيعية والبشرية المتاحة لتقديم خدمة راقية لأكبر عدد من المواطنين. **وهنا ـ أيضا ـ يجب التنويه على أهمية استخدام فلسفة التعبئة والابتكار والتمكين لإدارة العملية التعليمية فى مناخ يتمركز على المبادىء الطبيعية، كأحد المحاور الأساسية فى النهوض برسالة العلم والتعليم.** إن حسن إدارة العملية التعليمية والتركيز على دفع وتطوير مرحلة التعليم الأساسى تعتبر من الأمور الهامة التى تلغى الشعور بالفروق الطبقية حيث إن الدروس الخاصة قد ألقت الضوء مرة أخرى على هذه الفوارق مما جعل بعض أبناء الفقراء يفقدون إحساسهم بالاندماج

الاجتماعى، كذلك فإن خوفهم على مستقبلهم الذى قد يعاقبون فيه على فقرهم مرات متعددة قد يجعلهم صيدا سهلا لقيادات التطرف الفكرى.

إن دور التعليم فى التنمية البشرية وترشيد استخدام الموارد الطبيعية والمحافظة على البيئة يصل الآن إلى ذروته، خاصة وأن الاقتصاد المصرى مقبل على أوضاع دولية وداخلية تحتاج إلى مهارات خاصة وخبرات يعاد تدريبها لقيادة التنمية القومية فى ظل نظام عالمى جديد يتسم بطابع الكوكبة. إن قيمة التعليم تتعاظم إذا ما علمنا أن مصر فى فترة انتقالية بين عقدين سياسيين واجتماعيين **أولهما** بدأ مباشرة بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ **وثانيهما** بدأ مواكبا لعمليات الإصلاح الاقتصادى فى عهد **الرئيس مبارك.** ومن أهم سمات العقد الثانى التخلص من أسلوب الخداع المتبادل بين الشعب والحكومة. رغم أنه لم تتضح بعد الآلية السياسية والاجتماعية والاقتصادية للعقد الجديد ولم يتحقق له كامل الاستقرار إلا أن التحول من الشمولية إلى الليبرالية أصبح سمة واضحة لهذا العقد، ونرى أن التعليم سوف يتأثر بهذا التحول إما بطريقة متدرجة أو مفاجئة. والمدقق لسياسات التعليم فى مصر يجد أن التحول التدريجى قد بدأ، وكل ما نخشاه أن يكون التحول فى آليات التعليم - والجامعى منه على وجه الخصوص - فى اتجاه لا يخدم قضية التعليم بقدر ما يخفف جزءًا يسيرا من أعباء الدولة فى تقديم هذه الخدمة. إنه ولظروف الماضى القريب ومحاولة إقحام شباب الجامعات فى المعارك السياسية خاصة بعد رحيل الرئيس جمال عبد الناصر والخوف من انتشار الماركسية والناصرية، فإننى أهيب بالمسئولين عن التعليم فى مصر أن يهتموا بإعادة صياغة العقلية المصرية بشكل استراتيجى. إن الدولة حاولت - ولفترة ليست قصيرة - تفعيل التيار الإسلامى داخل الجامعة وكانت النتيجة النهائية هو التطرف الفكرى وذلك لانتشار الأمية الدينية بين قيادات هذا التيار.

إن مركزة مناخ التعليم على المبادىء الطبيعية مسئولية تتعدى المدرسة أو المعهد العلمي إلى الشارع والمنزل، حيث لا تنحصر المعرفة الأكاديمية أوالمعرفة العامة في إطار مدرسي، ولكن تتعدى ذلك إلى وسائل الإعلام، والأصدقاء، والأسرة. ولكي يمكن للطالب أو الطالبة إثراء بيئة التعليم المتمركزة على المبادىء الطبيعية، فإنه يجب أن تكون لديهما مقدرة التمييز ومعرفة الذات والقدر الكافي من قوة الشخصية واستقلاليتها، بحيث لا يتأثران فقط ببيئة التعليم ولكن يؤثران فيها. كذلك فإن تطور إحساس المسئولية بأهمية التعليم وجديته عند الطالب يساعد المدرس في أداء وظيفته، حيث يكون الدافع الأساسي لعلاقة التلميذ والأستاذ هو وجود فهم ورؤية مشتركة لرسالة التعليم، وهذا الفهم المشترك يغذي روح التعاون الذي من شأنه تقوية الأدوار الفردية والأدوار التفاعلية في العملية التعليمية. ونفس الشيء ينطبق أيضا على العلاقة بين الطالب وولي أمره، حيث إن المشاركة لا بد وأن تكون مجتمعية بالدرجة الأولى وإن تباينت المجهودات والمسئوليات. **إن أخطر ما قد يصيب العملية التعليمية في مستقبل الأمم هو أن تتحول مؤسساتها التعليمية إلى أشكال يكون التحصيل العلمي فيها في حده الأدنى، وكبت الحريات والتعددية والتنوع الفكري في حدها الأقصى، وبذلك يكون مناخ التعليم مناخا أتوقراطيا يقتل الإبداع ويقضي على الثقة المتبادلة وروح الفريق ويدعونا للقلق على مستقبل الديمقراطية وآلياتها.** إن أي نظام غير ديمقراطي هو في حد ذاته تطرف وذلك لانفراد فئة صغيرة، قد لا تمثل كل توجهات المجتمع، بإتخاذ القرارات السياسية وبذلك فهي تفرغ أي نظام سياسي من مضمون الديمقراطية، وأميل في هذا المكان أن أصف ذلك بالتطرف السياسي وفرض رأي وسياسة الأقلية على الأغلبية غير الممثلة، ولا نتوقع بطبيعة الحال أن يمثل هذا النظام الإطار السياسي المناسب لعمليات التنمية البشرية والتنمية الشاملة.

إعادة صياغة بيئة التعليم فى ضوء المبادىء الطبيعية

إذا سلمنا بأن المناخ الحالى للعملية التعليمية لا يتمركز على مبادىء طبيعية، فذلك جزء من المشكلة التى هى فى الأصل مشكلة تقهقر أولوية التعليم لفترات طويلة، وذلك لدخول الوطن فى عمليات اقتصادية استهلاكية بالدرجة الأولى، منها الإنفاق على الأمن الخارجى والداخلى والعدل الاجتماعى إنفاقا كان فى إجماله ضروريا واضطراريا. وقد أدت كل العوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية إلى تدهور مناخ التعليم فى جزئيات متعددة، منها المبادىء الإرشادية لرسالة التعليم والثقة بين المسئولين والمهتمين بالعملية التعليمية. ولكن السؤال الآن وبعد أن فرض التعليم نفسه على قضايا التنمية هو كيف يمكن إعادة صياغة مناخ التعليم حتى يتواءم مع تحديات القرن القادم ومستقبل مصر فى ظل النظام العالمى الجديد؟. إن الإجابة عن هذا السؤال تأتى إجمالا فى بعض النقاط الهامة التالية:

(١) أن تكون عمليات الإصلاح من الداخل للخارج وتشارك فى وضع سياسات التعليم كل أطراف العملية التعليمية، بدءاً بالمدرس وانتهاءً بوزير التعليم.

(٢) أن يحدد اتجاه الإصلاح بوصلة يقتدى بها المواطنون باختلاف انتماءاتهم ومدى استفادتهم، ويصبح التعليم بحق مشروعا قوميا. ولا يمكن أن يتم ذلك إلا من خلال وضوح الرؤية، وفهم مشترك لجدية وخطورة رسالة التعليم على المستويين المحلى والعالمى، والتخلص من القيم غير الموضوعية كمركز سلوكى للقائمين والمستفيدين والمهتمين بالعملية التعليمية. وهنا يجب ترسيخ قيم التلقائية الاجتماعية والاندماج الوطنى فى مضمون التعليم على مستوى كل المراحل التعليمية.

(٣) لا بد أن يبدأ الإصلاح بالفرد كنواة لأى إصلاح مستمر.

(٤) لا بد من تدريب كل المهتمين بالعملية التعليمية على عادات الفعالية، وتطوير شخصياتهم وسلوكهم على المستوى الفردى والمستوى التفاعلى.

(٥) إن عملية إعادة الصياغة هى عملية تغيير حقيقى، تخضع لكل معوقات التغيير وتحتاج إلى ريادة وقيادة وتكثيف للجهود، وعليه فإن عمليات التغيير الهادفة عمليات تحتاج إلى وقت طويل ولا تصلح معها الطرق الإسعافية (Quick-Fix)، التى تتعامل مع الأعراض دون الاهتمام بالأمراض.

(٦) لا بد من تعبئة كافة الجهود لفهم أبعاد مشاكل التعليم ومعرفة أن الفهم وحده لا يكفى، والجهود الفردية غير المنظمة وغير المتكاملة قد لا تأتى بالنتائج التى تتناسب مع حجم تلك الجهود.

(٧) إن القائمين على التعليم لا بد وأن يطبقوا المبادىء الطبيعية على أنفسهم أولا، وذلك حتى يثق باقى أطراف العملية التعليمية فى صدق نواياهم وجدية مجهوداتهم.

(٨) يجب التخلى عن النظريات التقليدية فى إصلاح التعليم خاصة فيما يتعلق باستصدار القرارت، حيث إن التعليم لن يتم النهوض به من خلال ما يسمى "**بالإجراءات**" الإصلاحية بجرة القلم.

(٩) يجب أن تكون رسالة التعليم واضحة على المستوى الفردى، كما يجب ترسيخ العلاقة بين التعليم والمجتمع ليس فقط من خلال التوظيف الحكومى، ولكن من خلال تطوير قدرة الخريجين على القيام بمشروعات مدرة للدخل وتساهم فى خطط التنمية القومية، وذلك قد يساهم مستقبلا فى حل مشكلة البطالة التى تعتبر إحدى دوافع التطرف الفكرى والإرهاب.

(١٠) البحث عن دور مناسب يمكن للتعليم من خلاله تنمية روح الانتماء. وتلعب المدارس والجامعات دورا هاما فى تنمية عقيدة الانتماء فى بعدها النفسى والاجتماعى، وذلك تكملة للبعد البيولوجى الذى يعتبر الأسرة بصفة عامة والأم بصفة خاصة مسئولة عنه. إن الانتماء لا يتم إلا فى مناخ من الجدية والقدرة والقدوة، فعلينا جميعا أن نهتم بإعداد المسئولين عن العملية التعليمية حتى تكون

لهم من القدرة والقدوة والجدية ما يؤهلهم للتأثير الإيجابى على ربط الشباب ببلدهم ربطا موضوعيا لا يعتمد على الزيف ولكن على الفهم الواعى لدور هؤلاء الشباب فى مستقبل بلدهم وأهمية السلام الاجتماعى فى تعظيم هذا الدور وتوجيه حركته فى اتجاه السياسة العامة للدولة.

(١١) لا بد من إعادة صيغة العلاقة بين المؤسسات التعليمية والحكومة، بحيث لا تقع هذه المؤسسات فريسة التعقيدات السياسية وتصبح العملية التعليمية عملية سياسية تتعاظم فيها قيمة الكم على حساب الكيف والشعارات على حساب المشروعات. إن تطوير العلاقة بين الحكومة والمؤسسات إلى علاقة مشاركة مسألة ضرورية فى تهيئة مناخ التعليم والنهوض برسالته.

(١٢) يجب إعادة النظر فى أهداف العملية التعليمية، حتى لا تصبح فقط متمركزة على تنمية المهارات التقنية دون الارتقاء بالمهارات الاجتماعية والقيادية. إن انتشار أشكال العنف فى مؤسساتنا التعليمية ما هو إلا تعبير عن تدنى مهارات الاتصال والتى تعتبر من أهم آليات بناء النسيج الاجتماعى الذى يسوده الأمن والسلام. يجب على جميع مؤسساتنا التعليمية والاجتماعية تسليح شبابنا بالقدرة والرغبة فى بناء نسيج إندماجى قوى على أساس من المواطنة الصحيحة والانتماء القومى.

(١٣) يجب إعادة هندسة الإدارة التعليمية على جميع مستوياتها حتى يصبح ميثاقها هو منشور التعبئة والابتكار والتمكين الذى يشكل نمط الإدارة بالرؤية المشتركة. إن الإدارة بالرؤية المشتركة هى السبيل الوحيد لإدارة مؤسسات القرن الحادى والعشرين كما أنها الشكل الإدارى الوحيد الذى يصنع ثقافة الثقة العالية بين القائمين على العملية التعليمية والمستفيد فيها بصورة خاصة أو عامة.

وبصفة عامة يجب أن يعى المسئولون عن العملية التعليمية أن مجرد المعرفة بالمشكلة قد يصبح جزءا من المشكلة، إذا ما توقفت معلومية المشكلات عند حد المعرفة دون البحث عن الأسباب الحقيقية، وكيفية إصلاحها من خلال وضع البدائل والمفاضلة بينهما على أساس أن تكون عمليات الإصلاح عمليات موصولة ومستمرة ولها صفة التطور بعيدا عن الشعارات الثورية، وفى نهاية هذا الفصل فإننى أود أن أشير إلى بعض الفقرات من المؤلف العظيم **"تاريخ ليس للبيع" للأستاذ رجب البنا** وفيه يقول:

"هناك نوعان من قادة الفكر الإرهابى .. نوع يمثل "المرحلة الأولى" أو "التعليم الابتدائى العام" .. يحول العقول إلى أرضية صالحة لتلقى بذور الإرهاب .. المرحلة الابتدائية للإرهاب مرحلة عامة .. كلنا نتعرض لها .. لأن كل الدروس الخاصة بها تلقى فى المساجد والمدارس الحكومية والإذاعة والتليفزيون وفى مقالات الصحف .. وكلنا بعد انتهاء هذه المرحلة معرضون لدخول المرحلة الثانية إذا وجدنا "الداعية" المناسب، ليخاطبنا بالأسلوب المناسب، ويأخذ بيدنا خطوة خطوة إلى أن يسلمنا إلى جماعات تدربنا على ضرب النار، وتعطينا الدولارات، وجوازات السفر المزيفة .."

إن فى كلام هذا الكتاب ما يجعلنا نفكر ملياً فى قضايا التعليم والثقافة مع إعادة النظر فى المحتوى العلمى والوعاء الثقافى والقائمين على قضايا التعليم والفكر والثقافة والدين وذلك للمحافظة على الوعاء الثقافى من ناحية وتطهير عقول شبابنا من دواعى الانحراف والتطرف والإرهاب من ناحية أخرى.

الفصل العاشر

مستقبل الشباب وشباب المستقبل

الفصل العاشر: مستقبل الشباب وشباب المستقبل

ملخــص

*إن سلوك الإنسان ومدى تفاعله مع الآخرين تحدده مجموعة من العوامل أهمها معارفه ومهاراته وصفاته. والمعرفة والمهارات أساسهما المعلومات التى يتزود بها الإنسان من مؤسسات المعرفة التقليدية (المدارس والجامعات ووسائل الإعلام والمؤسسات الاجتماعية ... إلخ) وغير التقليدية مثل البريد الاليكترونى وشبكات الانترنت، أما الصفات فيشكلها نسيج من العادات. والعادات يمكن أن تكون أساسها العلم والمعرفة من خلال برامج التدريب، ولكنها أيضا تعتمد على القيم الثقافية السائدة فى المجتمع. إن مستقبل الشباب فى بلدنا يرتبط بمقدرتنا على تزويده بأدوات المعرفة التقنية وكذلك مهارات الاتصال مع إعادة تشكيل ثقافة المجتمع لتكون ثقافة الثقة العالية والتى تسمح بتنمية عادات الفعالية والتمرين عليها لغرسها فى مكونات اللاشعور لشبابنا خلال مراحل نموه ونضجه. كل ذلك يجب أن يتم فى مناخ ديمقراطى يعتمد على التعددية والموضوعية والمنهج العلمى والسببية وكلها عوامل تجعل الشباب يثق فى مجتمعه ويرتبط بتاريخه وينتمى إلى حاضره. يمر الإنسان فى حياته بثلاث مراحل محددة: **المرحلة الأولى** هى مرحلة الاعتماد على الآخرين، ويمكن خلال هذه المرحلة تطوير ثلاث عادات هامة هى **حكمة الاستجابة، بلورة الرؤية، وإدارة الذات**. وحينما تتطور هذه العادات يتحول الإنسان تلقائيا إلى **المرحلة الثانية** وهى مرحلة الاستقلالية والتى يتمكن فيها من حرية الاختيار، مع مقدرة توسيع مساحة الخيارات المتاحة – وخلال هذه المرحلة يجب أن تُنمى لدى الإنسان ثلاث من عادات الفعالية الأخرى وأهمها **قيادة الآخرين** من خلال سياسة المكسب للجميع، وعادة **الاستماع النشط** وكلاهما ينمى عادة سادسة وهامة*

*وهى **التعاون الابتكارى** التى يتوقف عليها مستقبل أى تنمية، خاصةً فى مجتمع المعلومات كما أن هذه العادة تمثل المدخل التلقائى للإيمان بمبدأ التعددية الفكرية ومنهج الديمقراطية. وحينما يتحلى الإنسان بهذه العادات فإنه يتحول إلى **المرحلة الثالثة** وهى مرحلة التفاعل مع الآخرين حيث رأس المال الاجتماعى وأهميته فى التنمية الشاملة والموصولة. وتحتاج هذه العادات الست إلى عادة سابعة وهى عادة التجديد أو صيانة الذات التى لا تجعل الإنسان فقط قادراً على الإنتاج ولكن أيضا تحافظ على مقدرته الإنتاجية، وعادة التجديد تتوزع مابين الصيانة الفيزيقية والصيانة الذهنية والصيانة الروحية والصيانة العاطفية والاجتماعية.*

مقدمـــة

إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وخلق معه كافة الثروات الطبيعية، كى يستغلها بطريقة تحافظ على وجوده ووجود الأجيال المتتابعة - كما أن الإنسان قد خُلق اجتماعيا بطريقة يعتمد فيها وجوده على طبيعة علاقاته بالآخرين من حوله، وبالتالى فإن الإنسان لأخيه الإنسان والإنسان للمجتمع والإنسان للبشرية جمعاء هو أغلى وأثمن الثروات التى يجب أن نحافظ عليها. **إن إهدار الثروات البشرية جريمة قومية أضخم فى تبعاتها من جريمة إهدار المال العام، وهنا يجب أن نولى الشباب أهمية خاصة وذلك لأنه تقع على عاتقه مسئولية مستقبل التنمية الشاملة إدارة وتنفيذاً.** إن التنمية الشاملة تتعدى مفهوم التقدم الاقتصادى إلى مفهوم التنمية الاجتماعية الذى يكون الإنسان فاعلها وغايتها، وحتى يكون الإنسان فاعلا للتنمية فعليه أن يتمتع ببعض عادات الفعالية، التى تمكنه من الوقوف على حقيقة ذاته وتنير له طريق التفاعل مع الآخرين بكفاءة وفعالية، حتى ينمو رأس المال الاجتماعى الذى أصبح أهم عناصر التنمية الشاملة. إن رأس المال الاجتماعى يجب أن يكون أساسه العدالة الاجتماعية

والاندماج الاجتماعى رغم تعدد المعتقدات الفكرية والدينية، ورأس المال الاجتماعى عماده رأس المال البشرى الذى تربطه ثقافة المواطنة. إن ثقافة المواطنة وقيم الولاء والانتماء يجب أن تكون من أهم وسائلنا للوصول لمصر المستقبل.

إلاّ أن هذا الإنسان بصفة عامة وفى الدول النامية بصفة خاصة قد حالت عوامل الجهل والأنانية وقصر النظر دون ترشيد واستخدام موارده الطبيعية وتنمية موارده البشرية. كما أن الشكل والأسلوب الذى تقدم به المعلومات وكذلك دقة المعلومات وموضوعية الحكم بها وعليها تلعب دورا هاما فى تشكيل معرفة الإنسان وتنمية مهاراته التقنية ومهارات الاتصال، والأخيرة تمثل خطورة بالغة فى تشكيل عادات الإنسان وصفاته والمحتوى الثقافى للمجتمع. إن المعلومات التاريخية من الأهمية بمكان حيث إنها هى التى تحدد طبيعة الإرتباط بين الإنسان وجذوره فى المجتمع، وعليه فإن تقديم التاريخ بموضوعية مدعمة بالوثائق وبدون زيف أو مغالاة فى الدفاع عن القضايا ونقائضها تعتبر من أهم عوامل بناء الإنسان المصرى واعداده للمستقبل. وفى هذا المجال لا يفوتنى التنويه عن خطورة دور وسائل الإعلام الذى يجب أن يكون ميثاقه الموضوعية والبعد بقدر الامكان عن العنف اللفظى والمرئى. يجب أن لانهون من خطورة انعكاسات العنف الإعلامى على أطفالنا وشبابنا وعلاقاتهم داخل وخارج محيط الأسرة.

وحتى نغير أنفسنا فلا بد من تغيير معتقداتنا Perceptions أو نظرتنا للأمور. وهنا يجب التنويه إلى أن مشكلة الإنسان فى دول العالم النامى أنه يخلط كثيرا بين الطريقة التى يرى بها الأشياء والطريقة التى عليها هذه الأشياء بالفعل، وذلك يؤثر تأثيرا بالغا فى فعالية هذا الإنسان فى الاتصال بالآخرين فى مجموعات العمل ومحيط الأسرة وخلافه. والواقع أن الإنسان حينما يرى شيئا فى هذا العالم فإنه يرى نفسه

فى هذا الشىء، وعلى ذلك فقد تختلف رؤيتنا للأشياء وذلك طبيعى ولكن من غير الطبيعى أن تكمن لدينا قدرة فائقة على عدم محاولة رؤية العالم من خلال عدسات الآخرين، وتلك تمثل مشكلة خاصة بالنسبة لبعض الأجهزة والمؤسسات الاجتماعية فى المجتمع وكذلك رجال الإعلام والفكر والمثقفين حيث أن مسئوليتهم تتعدى صياغة فكرهم الشخصى إلى العديد من أفراد المجتمع، بل وجسم المجتمع كله، وعليه فتقع عليهم مسئولية صياغة ثقافة المجتمع وفكر الشباب وتفعيل دوره فى مستقبل الوطن.

ويأتى سؤال هام جدا وهو كيف يمكن إعادة صياغة الشخصية المصرية وتطويرها فى ضوء عادات الفعالية Habits of Effectiveness وحسن الاتصال بين مجموعات العمل؟ ويأتى فى الإجابة على هذا السؤال كيفية إعداد أطفالنا وشبابنا للمستقبل، وهذا الإعداد هو أهم الخطوات اللازمة فى إعداد مصر للمستقبل، وعليه فإن شباب المستقبل هم مستقبل مصر. ونرى أنه يمكن إعادة صياغة هذه الشخصية فى إطار من المبادىء الأساسية التى لا ترتبط بالمكان والزمان والمعتقدات، ولكنها مبادىء فطرية حباها الله لبنى البشر من مخلوقاته. وهناك فرق جوهرى بين المبادىء والقيم، ويمكن تشبيه القيم بالخريطة التى تصف المكان، والمبادىء بالبوصلة التى تشير دائما فى اتجاه الشمال، وعليه فالمبادىء ثابتة لا تتغير والقيم قد تتغير وتختلف باختلاف الزمان والمكان، وكلما ضاقت الفجوة بين المبادىء والقيم وظلت القيم فى انسجام وتوافق وتناغم مع المبادىء زادت فرص نجاح وفعالية الأشخاص والجماعات والمؤسسات.

الشباب والتاريخ المعاصر

يمر بعض شبابنا بأزمة ثقة فى إنجازات بلده ورموزه مما يجعله يضطر أحيانا أن ينعزل عن المجتمع ويصاب أما بالسلبية المطلقة أو بمعاداة النظام والقابلية

للانحراف فى تيارات التطرف الدينى والإرهاب أو باستيراد الثقافات الأجنبية وبعض رموزها لتكون قدوة بديلة له. وكل هذه أعراض مرضية لأزمة الثقة التى يمر بها الشباب والتى تشكلها عديد من العوامل أخطرها عوامل إفساد العقل والفكر. بل إنه فى بعض الأحيان ونتيجة لازدواجية تناول الموضوعات والدفاع عن القضية ونقيضها قد يعزف الشباب عن تنمية ثقافته ويمر بأزمة الخواء الثقافى وتنتشر مظاهر فساد العقل فى المجتمع نتيجة لأسباب عديدة أهمها الطريقة الذى يتناول بها جيل الرواد بعض قضايا الوطن وقياداته. وقد يتعدى هذا التناول الأمانة والموضوعية إلى بعض المفاهيم والسلوكيات المريضة فى المجتمع والتى منها على سبيل المثال لا الحصر:

(١) خطف الأحداث وتجريدها من سياقها وظروفها ومضمونها.

(٢) خلط الحقائق بالأكاذيب وإصدار الأحكام جزافا، كذلك المبالغة فى بعض الظواهر وتعميمها.

(٣) عبادة التاريخ القديم والاساءة إلى التاريخ الحديث.

(٤) تملق الحاضر بدرجة قد تصل إلى عبادته على حساب الماضى القريب.

(٥) مزاحمة الماضى للحاضر واستباقه أحيانا.

(٦) التطرف فى تحليل حركة التاريخ وقياداتها.

(٧) تناقض الشعارات مع المشاعر وانفصال الولاء عن الوفاء، وغياب مفهوم المواطنة.

(٨) انتشار تكنولوجيا النفاق وازدواجية الأحكام. وترجع خطورة هذا المظهر إلى حجب المعلومات وتقديم الحقيقة مشوهة بهدف التملق تارة والتشهير تارة أخرى.

(٩) ارتداء عباءة الدين وانتشار الفقه المأجور أو التوصيفى.

(١٠) عدم الاهتمام بالبناء الحقيقى لعقل وروح وشخصية الشباب، والخلط الواضح بين مفهوم الاندماج الاجتماعى والمساواة السياسية.

كل ذلك جعل الشباب يتقمص شخصية "**هاملت**" ويضع نفسه فى خصام مع الماضى القريب والحاضر، كذلك يفقد ثقته فى كل رواده الذين يقع عليهم دور قيادته إلى بر الأمان والمرحلة التى تُسلم فيها الرايات. إن الذى يدقق فى الحالة التى يمر بها شبابنا يجد فيها عدم التكامل السيكولوجى فمثلا وعلى سبيل المثال نجد أن الكثير من شبابنا يصعب عليه بلورة أفكاره بالإضافة إلى عدم الدقة فى التعبير عن هذه الأفكار والتردد فى وضع نهاية لهذا التعبير. كل ذلك من أسبابه عدم الاكتراث، عدم الاهتمام بالموضوع، عدم التركيز وفقدان الثقة بالذات والآخرين، وكلها أسباب تدعو إلى القلق، ولكن يجب على المثقفين والذين لهم رؤية صحيحة لواقع الشباب وأهمية وحتمية دورهم فى قيادة مسيرة العمل الوطنى أن يصححوا الوضع العقلى والفكرى لشبابنا من ناحية، ووضع الضوابط والمعايير التى يمكن من خلالها الحكم على حركة التاريخ وقياداته حتى تصبح الكتابة عن التاريخ موثقة وترقى إلى مستوى كتابة التاريخ.

إن المسئولين عن الثقافة والتعليم والإعلام فى بلادنا يلعبون دورا خطيرا فى تشكيل عقلية الشباب وانتمائه لوطنه وهناك بعض القضايا التى قد سبقت فى تاريخ وقوعها ميلاد الغالبية العظمى من شباب مصر وهذه القضايا هى:

(١) ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢
(٢) تأميم شركة قناة السويس والعدوان الثلاثى على مصر فى ١٩٥٦
(٣) حرب يونيو ١٩٦٧
(٤) [illegible]ب أكتوبر ١٩٧٣

وقد كانت هذه القضايا والأحداث محل تقييم يعوزه الوثائق وبذلك أصبح تقييما متطرفا يبعد كثيرا عن الموضوعية وقد يكون ذلك فى اتجاهات مختلفة ومتضاربة، وعليه يختلط لدى الشباب أمر كتابة التاريخ والكتابة عن التاريخ ويفقد ثقته فى إنجازات بلده، والحقيقة أن الحاقدين على ثورة يوليو ـ لأسباب شخصية أو لدوافع مادية ـ قد

وصفوا هذه الثورة على أنها انقلاب وهى التى غيرت وجه تاريخ المنطقة وجعلت خريطة العالم العربى تتشكل بديناميكية عربية كما جعلت ابن الفلاح وزيرا وابن البواب قاضيا، ولكن من أرادوا للفلاح أن ينجب فلاحا مثله والبواب أن ينجب بوابا مثله أرادوا اغتيال تاريخ الثورة وعبقرية قادتها لأنهم اعتبروا كل ما دون طبقتهم أسافل القوم ولا يحق لهم الاستمتاع بحقوقهم، وعليه فاعتبروا أن الثورة كانت انقلابا والحقيقة كذلك بالنسبة لهم ولكنها كانت ثورة بكل المعانى الحضارية بالنسبة للغالبية العظمى من شعب مصر الذى ظل مريضا ومحروما ومقهوراً إلى أن جاءت الثورة فى ١٩٥٢. كذلك فإن بعض المثقفين الذين تربوا على مآدب الإقطاعيين قد خسروا من جراء الثورة وآثروا أن يسموها انقلابا. أيعقل أن يكون فى أحداث يوليو ١٩٥٢ انقلابا على الملك الفاسد الذى لم يعرف شيء سوى صالات القمار ومراقص النساء. إن ثورة يوليو تحتاج إلى تقييم موضوعى فيكتب لها ما لها ويكتب عليها ما عليها ونفس الشيء عن قياداتها الذين ضحوا بأنفسهم ووضعوا أرواحهم على أكفهم. هل كان يتصور أحد أن تظل مصر محكومة بملوك تحركهم خيوط من خارج البلاد ولمصلحة قلة من أفراد المجتمع قد اشتراهم الملك حتى يبيع الوطن كله للغير، وكلها صفقات كانت تتم بثمن بخس. إن لكل ثورة أهداف وممارسات واجراءات وقد تتسبب الأهداف فى ثورية الإجراءات وتلك هى الشرعية الثورية التى قد تكون أحيانا على حساب الشرعية الدستورية، وعليه فكل ثورات العالم لها أخطاؤها، ولكن هذه الأخطاء لم تتسبب يوما ما فى هدم تاريخ الثورة وقادتها مثلما حدث فى مصر. وقد كان الهجوم على مصر من خلال مثلث الغرب والعرب وقلة من الإقطاعيين الذين أضيروا نتيجة إقامة العدالة الاجتماعية التى جاءت ليس فقط كحق إنسانى، ولكن كحتمية تاريخية وقومية جاء تحقيقها متأخراً. وبالطبع كان فى تطبيق هذا المبدأ قهراً لهؤلاء الذين تربوا على اغتصاب حقوق الغير واعتبار أنفسهم أوصياءً على المجتمع وملاكا لثرواته وقدراته. إن مشكلة محاولة اغتيال التاريخ الحديث وزعمائه تزداد خطورة حيث

أن هناك بعض المفكرون الذين أعطوا هذه الثورة حقها التاريخى، وعليه فأصبح جليا أمام الشباب أن هناك تناقض فى تناول بعض القضايا الحيوية فى تاريخنا، مما زعزع الثقة وأضعف روابط الانتماء

إن تشويه التاريخ وصل إلى حد التجنى على نصر أكتوبر ١٩٧٣ العظيم. كلنا يعلم أن هزيمة يونيو ١٩٦٧ كانت نقطة للتأمل فى أحوالنا ولا أحد ينكر أن هذه الحرب كانت نكسة بكل المقاييس وعلى كل المستويات، خاصة المستوى السياسى والمستوى الإعلامى والمستوى العسكرى، ولكن نصر أكتوبر ١٩٧٣ الذى أعاد للعرب عزتهم وكرامتهم وفرض السلام على أعداء السلام كان نصراً مؤزرا شهدت له الأكاديميات العسكرية فى العالم. لقد كانت هذه الحرب بكل المقاييس عبقرية ولقد أشاد العدو قبل الصديق بذلك ولقد آن الأوان لهذه الحرب أن تأخذ نصيبها من التقويم الموضوعى. إنه وفى الوقت الذى يقوم البعض فى التهوين من معجزة أكتوبر ١٩٧٣ فإن خبراء العسكرية العالمية يقولون الكثير، وهنا أود أن أنقل عن الأستاذ رجب البنا فى كتابه العظيم "**تاريخ ليس للبيع**" ما قاله المؤرخ العسكرى ديبوى: "إن كفاءة الاحتراف فى التخطيط والأداء الذى تمت به عملية العبور [اقتحام المانع المائى وخط بارليف]، لم يكن ممكنا لأى جيش آخر فى العالم أن يفعل ما هو أفضل منه." هذه شهادة للتاريخ يجب أن يعيها من ارتدو عباءة المؤرخين وهم غير ذلك. حيث أن وثائق حرب أكتوبر لم تكتمل بعد فى يد مؤرخ واحد، وعليه فالكتابة عنها ... ورة ويجب على مثقفينا ومؤرخينا أن يزودوا شبابنا بجرعة سليمة من روح أكتوبر حيث تجلت فيها روح التفانى و ... شيدة الانتماء، وبذلك كانت المفاجأة الكبرى، التى لم تحسب حساباتها إسرائيل ومن كانوا يقفون خلفها، وهى الإنسان المصرى. إن مفاجأة حرب أكتوبر الحقيقية هى الإنسان المصرى الذى انتمى فأخلص وأبدع وآمن بقضيته فابتكر. لقد كان الإنسان المصرى فى أكتوبر ١٩٧٣ مبدعا ومبتكرا وهنا يجب أن يذكر التاريخ كيف كانت صور الإبداع

والابتكار فى الإعداد لهذه الحرب وتنفيذها، لاسيما بعد أن انتشرت ثقافة اللاحرب واللاسلم واستحالة عبور المانع المائى والمانع الترابى وحصون خط بارليف المنيعة.

لقد كانت حرب أكتوبر ١٩٧٣ مليئة بالمفاجئات ولكن المفاجأة الكبرى هى الإنسان المصرى وبطولاته التلقائية، وعليه فلا يجب أن يتملكنا اليأس فى الاصلاح. علينا **أولا** أن نعد الشباب ونعود بهم إلى الانتماء وكل ذلك يمكن أن يتم بروح أكتوبر التى نحتاجها فى كل أعمالنا، خاصة التنمية الشاملة مع التركيز على التنمية البشرية والشباب بصفة أساسية، وذلك لأسباب عديدة منها أنه نصف الحاضر وكل المستقبل وعليه فهو المحرك لمستقبل مصر، ويجب أن تكون هذه الحركة للأمام **وثانى** هذه الأسباب أن شباب مصر قد تعرض لأزمة فكرية تحتاج إلى مراجعة لمكونات العقل والضمير وهذه مسئولية جيل الرواد، خاصة من لهم رؤية المستقبل، **وثالثها** أن علينا جميعا أن نقف صفا واحداً بهدف غربلة الفكر السائد من عناصر إفساده. **ورابع هذه** الأسباب أن شباب مصر لا يُعتنى به بالقدر الكافى على المستوى العقلى والروحى – وهنا نقول أن أجهزة الشباب متعددة ولها إمكانات متميزة ولكنها غالبا ما تجرى وراء الانتصارات فى ساحات الملاعب الرياضية أكثر مما تسعى إلى البناء الحقيقى لعقل وروح وشخصية الشباب المصرى. لابد أن تعود للشباب المصرى مصداقيته ولاتأتى المصداقية إلا من خلال الصفات والمهارات، والأخيرة تقوم عليها وزارة التعليم العالى وتنفق عليها الدولة مليارات الجنيهات أما الصفات وعادات الفعالية فهى تحتاج إلى مناخ خاص وإطار مؤسسى غالبا ما لا يتوفر فى مؤسساتنا الاجتماعية والتعليمية، وعليه فيجب العمل على إعادة صياغة مناخ وثقافة مؤسساتنا القومية حتى يمكن عمل تنمية بشرية ونسلح شبابنا بعادات الفعالية فى إطار مؤسسى تشكله الديمقراطية وحقوق الإنسان والسلام والاندماج الاجتماعى.

إن أخطر ما أصاب الشعب المصرى فى الآونة الأخيرة هو تشويه التاريخ واغتيال شخصياته وقد كان للسياسيين والمثقفين ورجال الإعلام دورهم فى ذلك أما بقصد أو بدون قصد، ولكن المؤكد أن إفساد فكر الشباب لم يكن ضمن أهدافهم، وعليه فكانت الأبعاد الاستراتيجية أشد خطراً من الأهداف التكتيكية والتى كان بعضها تصفية الحسابات مع الغير أو تملق النظام القائم على حساب النظام السابق إلى آخر كل هذه الأهداف الشخصية قصيرة المدى. إن إنصاف الشخصيات التاريخية بطريقة لا تقيدها إلا الموضوعية والأمانة والوثائق والمنهج العلمى، أصبحت ضرورة لإعادة تكامل الشخصية المصرية التى أوشكت على التمزق إن لم تكن قد تمزقت بالفعل. إن هذه الضرورة لا تقل أهمية عن عمليات التنمية الشاملة، حيث إنها واجب أخلاقى وقومى ينمى عقيدة الانتماء ويربط شبابنا بوطنهم فى اعتدال ووسطية بعيدا عن تطرف الفكر واستيراد الثقافات.

الشباب وعادات الفعالية

إن إعادة بناء الشخصية المصرية أو الإنسان بصفة عامة تستوجب أن نضع فى الاعتبار بعض المحددات التى نذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر:

(أ) إن عملية البناء عملية نمو وتطوير وسوف تأخذ وقتا.

(ب) إن رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة، وعليه فلا بد من البدء فورا.

(جـ) إن الاعتراف بالخطأ هو أول مراحل الإصلاح كما أن الاعتراف بالجهل هو أول مراحل التعلم.

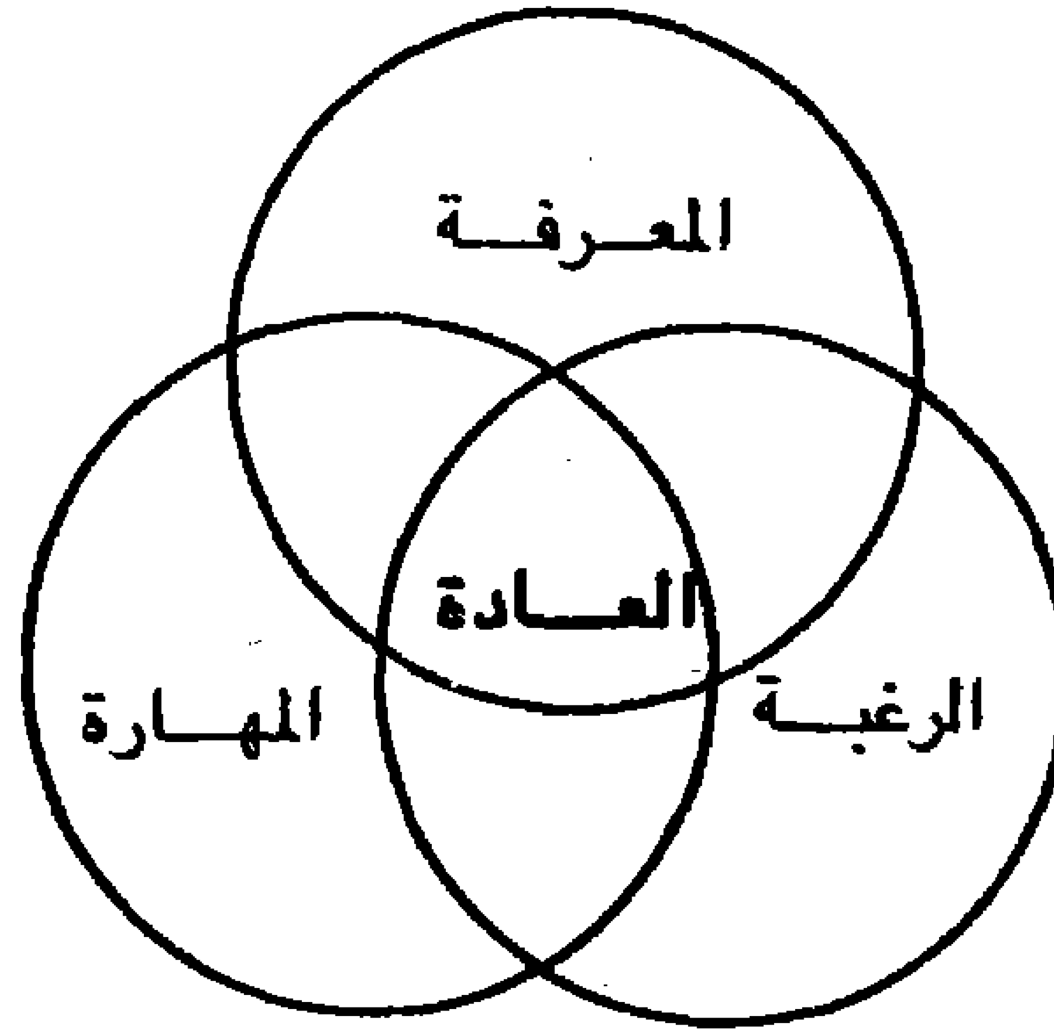
(د) إنه فى بعض الأحيان تكون المشكلة الحقيقية هى الطريقة التى نرى بها المشكلة.

(هـ) إن حل أى مشكلة لا يمكن أن يتم بنفس مستوى التفكير الذى ساد أثناء تطور هذه المشكلة.

(و) إن العادات Habits هى نتيجة للتفكير ثم الفعل والذى إذا تكرر صار عادة ومجموع العادات هو أساس الصفات Characters .

(س) إن العادات مثل الأسلاك حينما تُنسج معا يصبح من الصعب كسرها.

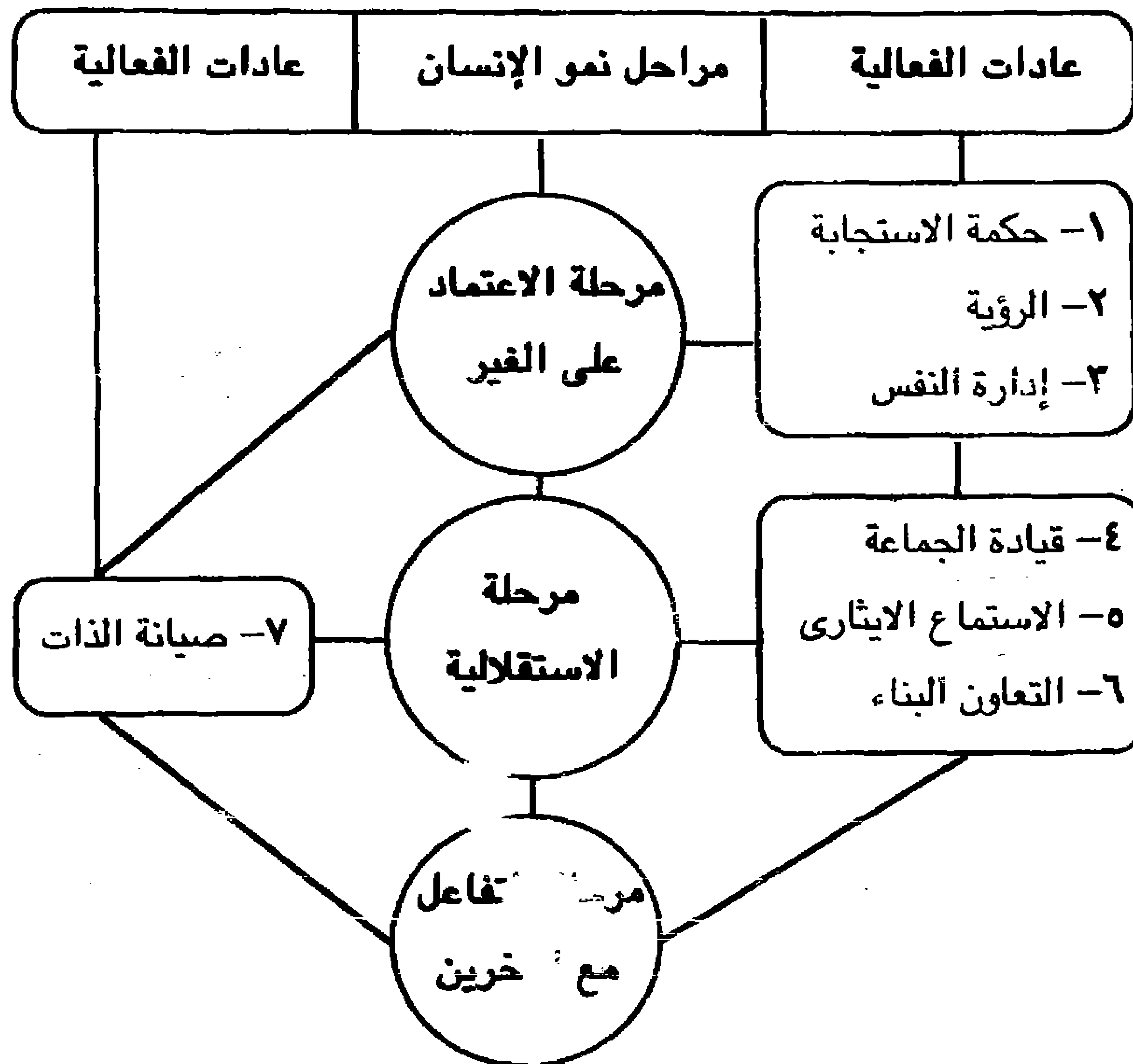
(ص) إن أى عادة لها عناصر ثلاثة هى **المعرفة، والمهارة، والرغبة،** وذلك كما فى الشكل رقم (٨)، وعلى ذلك فإنه لبناء أو تغيير أى عادة لا بد من أن نأخذ فى الاعتبار هذه العناصر الثلاثة.



شكل رقم (٨). مثلث العادات وهو المعرفة والمهارة والرغبة، وكلها عناصر تشكل العادات وعليه فإنه لتغيير سلم العادات إلى أوركسترا الفعالية فإنه يجب أن نركز على هذه العناصر من خلال التنمية البشرية على أسس علمية سليمة.

إن إعادة بناء الإنسان المصرى، بصفة عامة والشباب بصفة خاصة، تعتمد باختصار على إعادة صياغة حياته وتصرفاته وسلوكياته فى ضوء المبادىء الأساسية، والتى تعد قانونا للحياة بصفة عامة بغض النظر عن سلالة الإنسان وبيئته ومعتقداته. ويمكن التعبير عن هذه المبادىء الرئيسية من خلال سبع صفات يمكن تربيتها فى الشخص حتى يكون سلوكه متمركزا على هذه المبادىء الهامة، والتى إن دققنا النظر

فيها نجد أنها مبادىء رسالات الأنبياء جميعها. وعلى أية حال فإن هذه الصفات السبع بالإضافة إلى القانون الطبيعي للنمو تمد الإنسان بنظام متكامل لتطوير فعاليته على المستوى الشخصي والجماعي. إن السلوك من خلال هذه العادات ينقل الإنسان من مرحلة الاعتماد إلى مرحلة الاستقلالية، ثم إلى المرحلة النهائية للنجاح وهى مرحلة التفاعل مع الآخرين، وكله مراحل طبيعية. والشكل رقم (٩) يوضح هذه العادات والمراحل الطبيعية لنمو الشخصية الفعالة.



كل رقم (٩). بعض عادات الفعالية التى يمكن تنميتها وتطويرها خلال مراحل نمو الإنسان. ويجب ملاحظة أن كل هذه العادات مكتسبة ويمكن التدريب عليها للوصول بأداء الإنسان إلى مستوى يتفوق على النجاح نفسه وهو مستوى الفعالية.

إذا نظرنا إلى الشكل السابق الذى يوضح أن اتجاه النضج على المستوى الشخصى، هو نفس الاتجاه الذى يوصل الإنسان إلى درجات التفاعل مع الآخرين بفعالية. وللمرور خلال مراحل النضج يلزم أن تُربى فى الإنسان عادات ثلاث للانتقال بين كل مرحلة والمرحلة التالية لها، وهذه العادات يلزم لها عادة أخرى من شأنها المحافظة على صيانة العادات الست الأساسية بالإضافة إلى صيانة الإنسان على المستوى الفيزيقى، والذهنى، والروحى، والعاطفى، والاجتماعى. إن معظم العادات السائدة فى المجتمع ترتكز على قيم ثقافية، ويعتبر الشباب أكثر حساسية لدرجة نضج القيم السائدة فى المجتمع والتى يمكن التعبير عنها فى صور مختلفة أخطرها هى الطريقة التى يعبر بها جيل الرواد عن القيم الثقافية للمجتمع، حيث يعتبر الشباب متلقيا، وعليه فيجب أن تكون القيم السائدة غير شاذة وتتوازى مع المبادىء الطبيعية. كذلك فيجب القول بأن العادات تتطور لتشكل ثقافة المجتمع، وعليه فإن الثقافات ديناميكية ويمكن التحكم فى حركتها لصالح المجتمع، وبذلك فهناك علاقة دائرية وعضوية بين عادات الناس وثقافة المجتمع، وهذه العلاقة توضح أهمية التركيز على إعادة صياغة شخصية الشباب المصرى حتى تكون ثقافة المستقبل أفضل من ثقافة اليوم. وفيما يلى نوضح هذه العادات والمبادىء التى يُرتكز عليها للوصول بالشخص إلى درجة مرموقة من درجات الفعالية Effectiveness.

أولا: عادات الفعالية على المستوى الشخصى

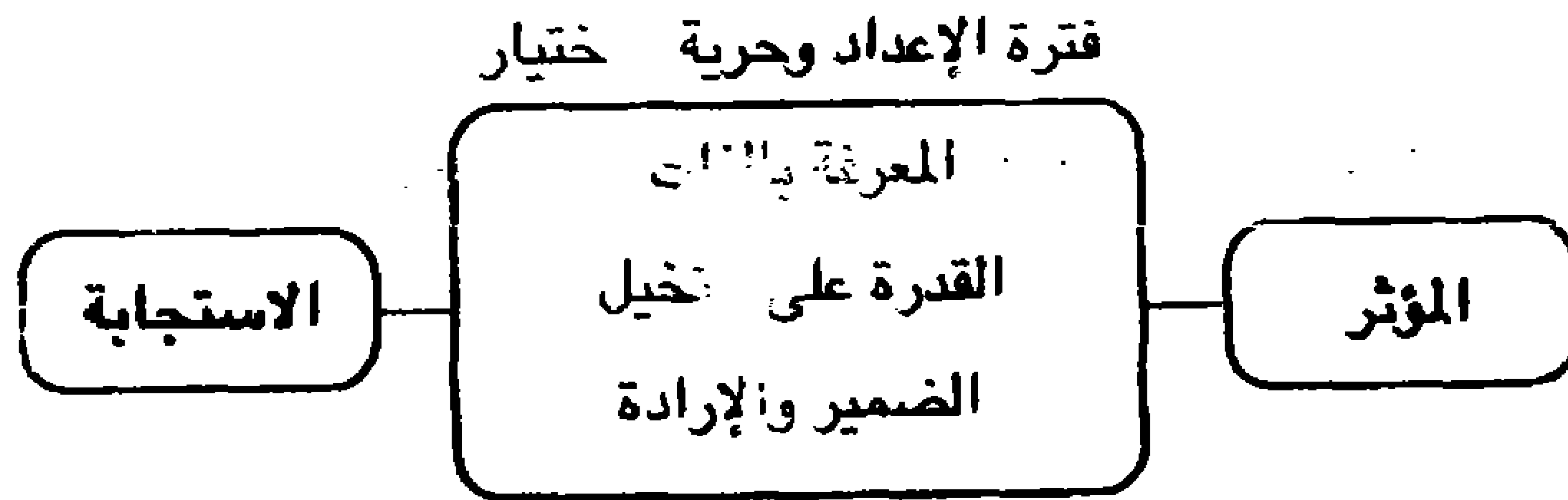
وهذه العادات جميعها مترابطة ويقوى بعضها البعض، وسوف نتعرض لهذه العادات مع التركيز على المبادىء التى ترتكز عليها كل عادة، علما بأن هذه المبادىء كلها مبادىء طبيعية وإن شئت فقل مبادىء فطرية.

(١) حكمة الاستجابة والإجابة Proactivity

وهذه العادة تنمو مع الإنسان فى كل يوم أثناء مواجهة ضغوط الحياة ـ إنها

العادة التى تمكن الإنسان من التعامل مع مظاهر القلق فى الحياة اليومية التى تبدأ من التعامل مع طفل غير مطيع، إلى التعامل مع بعض مظاهر القبح التى تسود تصرفات الشارع المصرى ـ إنها العادة التى تمكنا من حسن استخدام طاقتنا وتوزيعها بين دوائر القلق ودوائر التأثير فى الحياة اليومية ـ إنها العادة التى تحدد اللغة التى نستعملها فى فهم أنفسنا وفهم وجهة نظر الآخرين ودوافعهم. وأيضا فإن هذه العادة تجعل الإنسان لا يشغل باله كثيرا بضعف الآخرين، وتجعله أيضا يملك الشجاعة الأدبية التى يمكن من خلالها الاعتراف بأخطائه وتصحيحها، والاستفادة منها مع اعتبار أن الفشل هو النهاية الأخرى للنجاح ـ إن هذه العادة تمكن الإنسان من أن يكون جزءا فى حل أى مشكلة وليس جزءا من المشكلة ذاتها.

إن أخطر فعالية لهذه العادة تكمن فى تنمية مقدرة الإنسان على استغلال الفترة الزمنية بين أى مؤثر واستجابته لهذا المؤثر، وذلك بهدف الإعداد الجيد من خلال مقدرته على التخيل ومعرفته بذاته وضميره وإرادته ـ كل ذلك يجعل الإنسان لديه حرية الاختيار ومقدرة الاستجابة وتحمل مسئولية هذه الاستجابة وفى الشكل رقم (١٠) توضيح لهذه الفلسفة.



شكل رقم (١٠). حكمة الاستجابة لتصرفات الآخرين أو للظروف المحيطة تعتبر أولى عادات الفعالية، وتتوقف على حسن استغلال المساحة بين المؤثر والاستجابة.

وعلى ذلك فإن نماء هذه العادة يجعل الإنسان يعلم تماما أن عملية اتخاذ القرارات تشبه إلى حد كبير الإمساك بعصا فى طرفها الأول قدرة الإستجابة، وفى الطرف الآخر مسئولية هذه الاستجابة. وباختصار فإن نمو هذه العادة لدى الإنسان المصرى، سوف يجعله يستخدم الجزء الأكبر من طاقاته فى دوائر التأثير الحقيقية والجزء الأصغر فى دوائر الانشغال بخصوصيات الآخرين وآرائهم غير الموضوعية أو البعيدة عن دوائر التأثير.

إن ممارسة هذه العادة يوسع المساحة التى يستخدمها الفرد فى الإعداد للاستجابة وحرية اختيار البديل المناسب، وبالتالى فهى عادة تؤثر على مهارة الإنسان فى الاتصال بالآخرين، كما تؤثر على شجاعته فى تحمل مسئولية تصرفاته وعدم تحميل تبعاتها على أخطاء الآخرين. ولا تنطبق هذه العادة على الأشخاص ولكنها قد تشكل ثقافة المجتمع كله والمدقق للمجتمع المصرى قبل عدوان يونيو ١٩٦٧ يجد أن ثقافة المجتمع آنذاك كانت ثقافة العمل ثم التفكير وثقافة المجتمع أثناء تخطيط وتنفيذ حرب أكتوبر ١٩٧٣ كانت ثقافة التفكير ثم العمل، وذلك يوضح أيضا كيف انتقل المجتمع المصرى من مرحلة الانفعال إلى مرحلة الفعل ومن مرحلة الاعتماد على الخطب والأغانى الحماسية إلى أسلحة العصر مع اتباع المنهج العلمى فى إدارة الأزمات. إن حرب أكتوبر ١٩٧٣ ليست فقط ملحمة عسكرية تاريخية، ولكنها مرحلة تحول فى ثقافة المجتمع وتصحيح لبعض عاداته، فهل آن الأوان أن نقيم هذه الحرب بموضوعية حتى تكون روح أكتوبر هى طابع الحياة، وحتى تنمو لدى الشباب عوامل فخره واعتزازه بذاته ووطنه، وتتعمق روابطه بجذوره بعيدا عن الانعزالية الفكرية أو الفيزيقية التى تعتبر تطرفا عن حركة المجتمع؟.

(٢) قيادة الذات Personal Leadership

إن قيادة الذات معناها أن الإنسان يجب أن يربى نفسه بمساعدة المحيطين به على تشكيل رؤية واضحة لطريقه وخاصة نهاية هذا الطريق. وحتى يستطيع الإنسان رؤية هذه النهاية فعليه أن يعرف مكان وجوده أولا وذلك حتى يستطيع تحديد اتجاهه المناسب بدقة ووضوح، وذلك يستدعى أن يكون الإنسان مشغولا بطريقه، ولكن المشغولية فى حد ذاتها ليست دليلا أو مؤديا للفعالية، حيث إن الإنسان قد يشغل نفسه بتسلق سلم النجاح، وفى النهاية يفاجأ بأن السلم قد أسُند للحائط الخطأ. والحقيقة أن معرفة اتجاهنا للوصول إلى غايتنا تعتبر من أخطر وأهم عناصر قيادة الذات وهى عادة هامة للوصول إلى فعالية على المستوى الشخصى. إن عدم تحديد الاتجاه الصحيح للوصول إلى أهدافنا سوف يجعل كل خطوة نخطوها تقربنا من مكان غير الذى نريده وبطريقة أسرع، وفى نفس الوقت تبعدنا عن الهدف الأصلى وهو طريق النجاح والفعالية.

وقيادة النفس عادة يمكن تربيتها فى شبابنا إذا ما غرسنا فيه القاعدة التى يتبعها النجار فى حياته – **وهى القياس مرتين ثم القطع مرة واحدة** – تلك هى قيادة النفس ومعرفة الأهداف والغايات والطريق الصحيح للوصول إلى هذه الأهداف بفعالية.

إن المدقق لأنشطة الإنسان يجد أن أى شىء فى هذه الدنيا قد وجد مرتين: المرة **الأولى** هى مرحلة الوجود الذهنى Mental Creation والوجود **الثانى** هو الوجود الفيزيقى Physical Creation، ولا بد من إعطاء هذه المراحل حقها فى التسلسل المنطقى، حتى يمكن قيادة النفس وضمان العناصر الفعالة فى سلوكها. ولصقل عادة قيادة النفس لا بد من تنمية المقدرة على التخيل Imagination، والسماع لصوت الضمير حتى تكون أفعالنا فى الإيجاد الثانى متوازية وفى انسجام مع المبادىء الفطرية التى خلقنا الله عليها. ولا بد أن تكون هذه المبادىء هى مركز دائرة التأثير

Circle of Influence التى نستمد منها **الأمان، والحكمة، والدليل، والقوة**. وللوصول بالإنسان إلى فعالية قيادة الذات فلا بد له من إحكام الانسجام والتوازن بين المبادىء التى تشكل عناصر مركز دائرة التأثير حتى تتكامل عوامل الأمان الشخصى ودليل التحرك الصحيح للوصول إلى الحكمة، وتلك هى الشرارة أو العامل المساعد الذى يطلق ويوجه عوامل القوة فى ذلك الإنسان للتحرك فى الاتجاه الصحيح مع توسيع دائرة التأثير على حساب دوائر القلق.

إن المشكلة الحقيقية للإنسان المصرى فى وقتنا الحالى أنه قد استعاض عن المبادىء بمراكز بديلة قد توفر له درجة من درجات الأمان والحكمة والدليل والقوة، وقد يترتب على ذلك نجاح مؤقت ولكن قد تنعدم الفعالية على المستوى الجماعى وفى المدى البعيد. ومن هذه المراكز البديلة، المال، العمل، الممتلكات، وعوامل البهجة والأعداء والأصدقاء ودور العبادة وخلافه. ويجب على الإنسان أن يعرف ذاته ومركز التأثير فيها وعما إذا كان هذا المركز تشكله المبادىء أو أن هناك مركزاً بديلا يستمد عناصر القدرة فيه من بعض القيم والرغبات المحدودة التى قد تؤدى إلى نجاح محدود ومؤقت. وإذا ما وجدنا أن حياتنا ترتكز على مركز محدود فإنه يجب تغييره من خلال ما يسمى Paradigm Shift، وتلك من أكثر العمليات الإنسانية عناءً وتحتاج إلى عوامل النضج الأساسية فى شخصية الإنسان، حتى يستطيع أن يغير من قيادة النفس ويوسع دائرة التأثير، وذلك قد يجعل من الإنسان بطلا مثل ما حدث **للرئيس المصرى الراحل أنور السادات وللرئيس السوفيتى السابق ميخائيل جورباتشوف**. وكلاهما قد غير من مسار تفكيره وقيادة ذاته فالأول كسر الجمود الفكرى فى مستقبل العلاقات المصرية الإسرائيلية، وأدخل بديلا جديدا كان مرفوضا من قبل على المستوى القيادى والشعبى ألا وهو بديل السلام – والثانى رغم أنه تربى فى مدرسة شيوعية فقد غير مسار تفكيره، وقاد ذاته إلى الاقتناع بأن النظام الشمولى لم يعد يصلح فى تفاعلات النظام

العالمي الجديد. إن قدرة الإنسان على فهم تحولات العصر ورؤيته للمستقبل قد تجعله يغير من ذاته تغييرا جذريا وبسرعة تضعه على رأس هذه التحولات وفي وضع قيادي قد يكلفه الكثير على المستوى الشخصي، وكلنا يعلم ما حدث للسادات وجورباتشوف فالأول قد أُغتيل غدرا والثاني قد أُجهز على مستقبله السياسي. كل ذلك بالطبع لا ينتقص من نتائج أعمالهم على المستوى القومي.

(٣) إدارة النفس Personal Management

إن هذه العادة تعتمد بالدرجة الأولى على استخدام الوقت المتاح لدى الشخص للاستخدام الأمثل سواء على المستوى الشخصي أو الوظيفي، ويعتمد الاستخدام الأمثل على تصنيف النشاط بناء على الأهمية والاستعجال، وهذان العنصران يقسمان استخدام وقت الشخص ما بين "الهام العاجل" و"الهام غير العاجل" "وغير الهام العاجل"، "وغير الهام غير العاجل"، وذلك كما يتضح من المربع الشطرنجي المبين في الشكل رقم (١١).

	عاجل	غير عاجل
هام	I	II
غير هام	I.	IV

شكل رقم (١١). شطرنج توزيع الو في القيام بالأعمال حسب درجة أهميتها ومدى استعجالها، والخلية رقم II هي بؤرة فعالية الإنسان وعليه فيجب توزيع الوقت بحيث تأخذ هذه الخلية النصيب الأعظم.

والواقع أن أولى خطوات النجاح والفعالية هى البعد بقدر الإمكان عن خلايا الشطرنج IV,III حيث أن هذه الأمور بغض النظر عن مدى استعجالها فكلها أمور غير هامة. وكثير من الناس يستنزفون وقتهم لإنجاز الأشياء الهامة والمستعجلة (المربع I) تاركين الأشياء الهامة وغير المستعجلة (المربع II)، وذلك قد يُظهر هؤلاء الناس بمظهر الكفاءة Efficiency ولكن لن تكون لهم فعالية Effectiveness، وذلك لأن الأشياء الهامة وغير العاجلة إذا ما تركت فسوف تشكل فى يوم ما أزمات وتنتقل عفويا إلى المربع الأول (I) مما يؤثر فى المدى البعيد على كفاءة الشخص فى إدارة وقته.

إن عادة تنظيم وإدارة الذات يمكن أن تكون إحدى أسباب الفعالية، إذا ما استطاع الإنسان أن يربى نفسه على استخدام وقته فى إنجاز كل ما هو مهم وغير عاجل وتفويض مساعديه فى إنجاز المهم والعاجل - تلك إحدى مظاهر الشخصيات القيادية التى تثق فى الآخرين وتفوضهم. إن تفويض الآخرين وخاصة الشباب وتخويلهم بعض التكليفات تزيد من إنتاجية المؤسسة مع المحافظة على قدرتها على الإنتاج، وبذلك نجد أن الشخص الذى تُربَّى فيه عادة تنظيم أو إدارة النفس يؤمن بالتوازن بين الإنتاجية والمقدرة الإنتاجية P/PC Balance كناموس أو مبدأ كونى خلقنا الله وفطرنا عليه، وهذا التوازن جلى فى كل أمور الحياة فلماذا إذن لا نطبقه فى إدارة النفس وتفاعلها مع الآخرين. وأيضا فإن التركيز على المربع الثانى (II) فى الشطرنج السابق يجعلنا نهتم بالوقاية على أنها خير وسيلة للعلاج إذ لا داعى لترك المهم غير العاجل حتى يصبح عاجلا، أو قد يهمل تماما ليترتب عليه كوارث وأزمات يجب التعامل معها مباشرة وبسرعة فى وقت قد لا تساعدنا ثرواتنا الطبيعية والبشرية على إدارة مثل هذه الأزمات. إن أهم عناصر إدارة النفس هو ترشيد استخدام الوقت، ويعد الوقت أخطر الثروات حيث إنه فى تناقص مستمر. **إن التنمية فى عصر**

المعلومات وتكنولوجيا الاتصالات شكلت ثقافة جديدة هى ثقافة السرعة، والتى تعتمد على حسن استخدام الوقت كمصدر تنافسى، وعليه فإن منظومة الوقت والثروات البشرية وعادات الفعالية وقوى التفاؤل والحب تشكل أخطر عوامل التقدم فى مجتمع المعلومات، وذلك يوضح مدى ارتباط مستقبل مصر بتربية شبابها على الحب والتفاؤل وعادات الفعالية وتدريبهم على حسن استخدام وقتهم. إن الطريقة العلاجية التى تقوم بها بعض الأجهزة وذلك لاستغلال وقت الشباب طريقة قد لا تأتى بالعائد المطلوب، وذلك لأنه لا فائدة من شغل وقت فراغ الشباب دون إعدادهم فكريا وتدريبهم على عادات الفعالية والتفاؤل والحب. إن ذلك يحسن من استغلالنا لوقت الشباب ويمكن الشباب أنفسهم من حسن إدارة ذاتهم فى المستقبل، مع مراعاة أن الوقت هو العمر وعليه فهو أهم مكونات هذه الذات ـ حيث تنتهى الذات بانتهاء العمر وينتهى العمر بالتوقف عن الحركة والعطاء. إن التوقف عن الحركة يعزل الإنسان عن مجتمعه ويضعه فى موقف دفاعى إن لم يكن هجومى وكلها دوافع للعنف والإرهاب.

ثانيا: عادات الفعالية على مستوى التفاعل الإنسانى

يجب أن نذكر هنا أنه حتى يكون الإنسان قادرا على التفاعل مع الآخرين فى العمل والمنزل والشارع، فلا بد له من أن يملك قدرا من الاستقلالية التى تجعله قادرا على الاختيار والاستجابة وتحمل المسئولية. ولكى يكون الإنسان ناجحا فى تفاعله مع الآخرين فلا بد من أن يكون قادرا على دفع [illegible] لهذا النجاح. إن أهم ثمن يمكن أن يدفع فى أى علاقة إنسانية ليس فى الكلمات وليس فى الأفعال ولكن فى (من نحن) ـ وعلى أية حال فإن عادات الفعالية على المستوى الشخصى تُمكن الإنسان من المرور من مرحلة الاعتماد إلى مرحلة الاستقلال. وحيث إن العادات ترتكز على أسس من المبادىء الصحيحة، فإن الإنسان يستطيع أن يبنى علاقات مثمرة غنية مع الآخرين، وتلك أولى عوامل النجاح والفعالية على المستوى العام. وما ينطبق على الأشياء ينطبق

على الإنسان من حيث التوازن بين الإنتاج وقدرة عناصر الإنتاج، وذلك يتجلى فى صيانة تفاعل الإنسان مع الآخرين حتى تكون علاقاته مثمرة وفعالة.

إن بناء وصيانة العلاقات عملية استثمارية تحتاج إلى وقت وجهد، والذى يحدد نجاح هذه العلاقات هو ما قد نسميه مجازا حساب العواطف، وهذا الحساب يمكن فتحه بتوافر عوامل الثقة والأمان والحب والاحترام ويظل هذا الحساب مفتوحا للسحب والإيداع، وحينما يكون المودع أكبر من المسحوب فإن الفائض فى هذا الحساب يجعل العلاقات والتفاهم بين الناس يتم بسهولة ويسر، وأيضا يجعل الإنسان يبحث لأخيه عن الأعذار وليس الأسباب، ولكن إذا ما تم سحب كل مدخرات حساب العواطف نجد أن التفاهم بين الناس وبعضها يصبح بمثابة السير فى حقول الألغام، فلا بد من عمل حساب للكلمات المسموعة وغير المسموعة والأفعال المقصودة وغير المقصودة. وعلى أية حال فلا بد أن ندقق جليا فى حساب العواطف بيننا وبين الآخرين، وعلى مستوى الأسرة والعمل ونحاول جادين معرفة مستوى هذا الحساب حتى يمكن عمل الإيداع اللازم لتغطية رصيد العواطف استعدادا للتفاعل المثمر والفعال مع الآخرين. إن حساب العواطف من أهم العوامل التى تؤثر على بيئة وثقافة الإنسان وفعالية علاقاته مع الآخرين، وهنا يجب التنويه على أن هذه العلاقات يمكن تطويرها فى تفاعل الشباب حتى تكون علاقات مثمرة وايجابية.

وبعد هذه المقدمة عن كيفية تنمية حساب بنك العواطف اللازم لحسن وفعالية العلاقات بين الإنسان وأخيه الإنسان، فإنه يمكن سرد العادات التى من شأنها الوصول بالتفاعل بين الأشخاص وبعضها إلى أعلى درجات الفعالية، والوصول بنتائج هذه العلاقات إلى توازن ملموس بين النتائج المرجوة والقدرة على العطاء، وفيما يلى سرد لهذه العادات التى تضمن النصر الجماعى.

(١) قيادة الجماعة

إن المدقق لما وصل إليه حال المجتمع المصرى يجد أنه يعج بالأنانية وعدم الاستعداد للتعاون ومقاومة السلطات والتفاهم المصطنع بأسلوب دفاعي، كل ذلك يدل على أن بنك العواطف قد أفلس أو كاد، واستتبع ذلك تحول ثقافة المجتمع إلى ثقافة يغلب عليها طابع عدم الثقة. وهنا يجب أن نُذكر القارىء الكريم أنه فى اللحظة التى ينتقل فيها الإنسان من طور الاستقلال إلى طور التفاعل مع الآخرين، فإنه يكتسب دورا قياديا بغض النظر عن موقعه الاجتماعى أو السياسى أو الوظيفى أو العائلى، وهذا الدور القيادى يؤثر على محصلة التفاعل وطبيعة العلاقات الإنسانية. ومن أجل ذلك فإن الأساس فى قيادة الجماعة هو مبدأ **المكسب للجميع**، وطبعا تلك هى المثالية فى التفاعل بين الناس، ولكن الواقع شىء مختلف وواقعنا المصرى هو أن يكسب بعض الناس (غالبا الأقلية) وتخسر الغالبية، وذلك هو أول أسباب فساد قيادة الجماعة أو التفاعل والتعاون بين الناس وبعضها، وبالتالى فإن مبدأ المكسب لبعض الناس والخسارة للباقين يصل بعلاقات التفاعل إلى خسارة الجميع فى المدى البعيد، وتلك نتيجة حتمية حيث يستتبع مبدأ المكسب/الخسارة أن يسود المجتمع جو من عدم الثقة، وذلك يقود إلى إحباط الش[illegible]اب ويقلل من ولائهم لمجتمعهم. **إن ميثاق المكسب للجميع هو استراتيجية د[illegible]ة لتحقيق الولاء [illegible]الانتماء وتحرير الطاقات وحفز علاقات التعاون الخ[illegible] [illegible]من أداء رسالة المجتمع [illegible]الوصول إلى أهدافه بأقل التكاليف.** إن تربية شب[illegible] على مبدأ المكسب للجميع كميثاق هام فى قيادة الجماعة يستوجب التدريب والتمرين على ثلاثة سلوكيات وهى الاستقامة والنضج والقناعة.

(٢) عادة الاستماع للفهم أو الاتصال الإيثارى

إن أخطر ما يهدد فعالية تفاعلات الناس مع بعضها هو أسلوب التفاهم بينهم.

وهذا الأسلوب تحدد إيجابيته القدرة على الاستماع الجيد بهدف فهم وجهة نظر الآخرين كما يراها الآخرون، وليس كما نراها نحن من خلال سيرتنا الذاتية أو من خلال تصورنا لحقيقة الآخرين. **وأساليب الاتصال المعروفة هى القراءة والكتابة والكلام والاستماع**، ومن البديهى أن الشباب المثقف قد قضى الوقت الكثير من عمره يتدرب على الوسائل الثلاث الأولى، وكلها وسائل تعبيرية، إلا أنه لم يستخدم من وقته الكثير للتدريب على حسن الاستماع بهدف فهم وجهة نظر الآخرين من خلال رؤيتهم للأشياء. وعليه فإن أجهزة الشباب والرياضة ووسائل الإعلام والثقافة ومؤسساتنا الاجتماعية عليها مسئولية صقل مقدرة شبابنا على استخدام الاستماع كوسيلة هامة من وسائل الاتصال الفعال. إن عدم حسن الاستماع للآخرين لمن أخطر الأمراض المجتمعية التى يعانى منها المجتمع المصرى، حيث قد تفشى هذا المرض فى أغنى مؤسساتنا القومية والمدقق لشكل المناقشات وآلية إدارة الحوار فى بعض هذه المؤسسات ــ مجلس الشعب مثلا ــ يدرك خطورة هذا المرض ليس فقط على مستقبل المسيرة الديمقراطية وتبعاتها، ولكن أيضا على الشكل الذى نقدمه كنموذج لشبابنا.

والاستماع للآخرين يجب أن يكون استماعا للمعانى والمشاعر والسلوك وتلك أعلى درجات الاستماع. ويمكن تقسيم درجات الاستماع إلى خمسة مستويات:

١- التجاهل (تجاهل المتحدث)
٢- التظاهر بالاستماع
٣- الاستماع الاختيارى أو الانتقائى
٤- الاستماع للكلمات دون البعد الثالث للمعانى
٥- الاستماع بهدف الفهم الكامل، وهو يتم بالعين والقلب كما يتم بالأذن. وهذا

النوع من الاستماع ينمى الفطنة والبصيرة لدى المستمع، وبذلك يعتبر هذا المستوى أرقى مستويات الاستماع وأعلاها فعالية.

إن أخطر ما يهدد علاقات التفاعل بين الناس وبعضها هو عدم الاستماع الجيد بهدف فهم وجهة النظر الأخرى كما يراها الآخرون - لا كما نراها نحن - خاصة إذا ما شعر الآخرون أننا نضع الوصف قبل التشخيص أو بدون أى تشخيص وذلك من واقع تجاربنا الشخصية وسيرتنا الذاتية. والاستجابة المبنية على تجارب الإنسان غالبا ما تكون استجابة غير صحيحة وفيها توصيف لا ينطبق على التشخيص. وعلى أية حال فإنه يجب على الإنسان الخروج من دوائر خبراته الذاتية حينما يستمع للآخرين، ويمكن الرجوع إلى هذه الخبرة، إذا ما استلزم الأمر ذلك، ولكن بعد فهم دقيق لوجهة نظر الآخرين ومن خلال رؤيتهم للعالم من حولنا. وقد يعيش الإنسان فى دائرة خبرته الذاتية إذا ما طلب منه تلميذه أو أحد أبنائه تقييم موقف معين بناء على هذه الخبرة الذاتية.

إن خطورة عادة حسن الاستماع تكمن فى أنها تفتح الطريق أمام العادة السادسة فى الفعالية بصفة عامة والثالثة فى الفعالية على مستوى التفاعل بين الناس وبعضها بصفة خاصة وهى العادة التى تنمى ق[illegible]ة أن الرأى الثالث الناتج عن فهم شخصين لبعضهما سوف يكون قطعا أ[illegible]ن رأى كل شخص على حدة والعادة السادسة تسمى التعاون النشط Synergy.

(٢) عادة التعاون النشط

تمثل هذه العادة فى الواقع أعلى درجات الفعالية فى حياة الناس، وذلك لأن مصطلح الفعالية يعنى طبيعة التأثر بالآخرين، وكل العادات الخمس التى سبقت هذه العادة تجهز الإنسان لممارسة هذه العادة بفعالية واقتدار للصالح العام

والخاص على السواء، خاصة فى المدى البعيد لتفاعلات الأفراد. وأساس هذه العادة هو الإيمان بأهمية الاختلافات (التنوع) بين الناس وبعضهم واحترام هذه الاختلافات، التى يمكن أن تبنى قوة تغطى مناطق الضعف التى توجد فى كل إنسان على حده، وفى أمور قد تختلف من شخص إلى الآخر. وعادة التعاون البناء تنمو وتترعرع فى جو من الثقة والتفاهم والإحساس بالمسئولية على المستوى الشخصى والجماعى. إن هذه العادة تنمى روح الخدمة والتعاون والعطاء والحب وتذيب روح الانغلاق والأنانية وحب التملك بدءًا بالأفكار وانتهاءً بالماديات. **وعادة التعاون البناء تنمو فى بيئة من الثقة والأمان والاستقرار والانتماء المؤسسى والقومى.** إن أخطر ما يواجه نمو عادة التعاون النشط هو التطرف والإرهاب الفكرى وأى شكل من أشكال العنف، حيث إن هذه العادة تستوجب الحد الأدنى من درجات السلام الاجتماعى وهو السلام الذهنى، وكلنا يعلم أن فكر التطرف فيه من الأنانية والاستعلاء والعداء والاستعداء والخلط بين العزلة والتميز ما يجعله فكراً مضطرب يفتقر إلى السلام الذهنى ويهدد السلام الاجتماعى والاستقرار والوحدة الوطنية والرفاهية. إن التطرف وكل أشكال العنف ترفض التعدد الفكرى الذى يعتبر مصدراً للتعاون الابتكارى، وعليه فإن هذه العادة تربى فى الإنسان استعداداً عاليا لقبول الرأى الآخر كضرورة من ضرورات التنشيط والقدح الذهنى للفرد داخل الجماعة ـ كما أن تدريب الإنسان على هذه العادة قد يقيه من الوقوع فريسة لفكر التطرف وذلك لأنها عادة تعتمد على أهمية الوصول إلى فكر الجماعة والوسطية بين جميع الأفكار. وعليه فيمكن القول بأن التدريب على هذه العادة يعتبر أحد الوسائل الوقائية الهامة التى تجنبنا فكر التطرف.

والتعاون البناء يجب أن يكون بهدف البحث عن البديل الثالث، وهو اصطلاح يطلق حينما يأتى التعاون البناء بين شخصين بقرار ثالث أو خطة ثالثة أحسن من رأى أو قرار أو خطة كل شخص على حدة، وبالطبع فإن التعاون البناء لا يأتى فقط بالرأى الأفضل ولكنه يبنى العلاقات خلال مرحلة التعاون، وعلى ذلك فإن رصيد العواطف فى حساب هذه العلاقات لا ينضب. وإذا تمركزت عادات مجموعات العمل على مبدأ الخدمة للجميع والمصلحة العامة فإن التعاون البناء يثمر ويصل إلى قمة درجاته، وبالطبع فإن مبدأ الخدمة للجميع والمصلحة العامة لا بد وأن يتمركز على مبادىء طبيعية وقيم مجتمعية. وبصفة عامة فإن أى وضع أو مشكلة تؤثر فى حلها بعض القوى المحركة والقوى المعطلة. والتفاعل البناء كثيرا ما يعتمد على التخلص من القوى المعطلة، بل وفى بعض الأحيان يحول هذه القوى إلى قوى محركة، وذلك هو السبب فى أن الرأى الثالث أو الحل أو البديل الثالث غالبا ما يكون أفضل كثيراً من باقى الآراء أو الحلول كل على حدة. كما أن التعاون البناء ينمى مناخا للديمقراطية فى العمل المؤسسى، وهذا المناخ يمكن العاملين ـ وخاصة الشباب ـ من أن يضيفوا إلى بدائل الحلول ويشاركوا فى صناعة القرار حتى يصل إلى درجة عالية من درجات الرشد الإدارى. إن المشاركة فى صناعة القرار تخلق الالتزام بالتنفيذ، وذلك يزيد من درجة فعالية المؤسسة، كما يضفى شعور الملكية فى علاقة العاملين بالمؤسسة وعلاقة المواطنين بالوطن، والنتيجة الطبيعية هى نمو وتطوير الانتماء المؤسسى والقومى. إن أفضل مناخ لتطوير عقيدة الانتماء الوطنى هو مناخ الديمقراطية الذى يجعل المواطن ينظر إلى مسئولياته وواجباته قبل حقوقه. كل ذلك يوضح أهمية التدريب على هذه العادة السادسة ليس فقط من أجل الوصول بالإنسان إلى درجة الفاعلية فى علاقات العمل ولكن أيضا للوصول إلى هذه الدرجة فى الممارسة السياسية، وبذلك تعتبر هذه العادة هى المدخل الفكرى للأسلوب الديمقراطى.

إن كثيراً من علماء الاجتماع وعلم النفس والإدارة يعتبرون أن التفاعل البناء هو من طبيعة الأشياء، حتى أن الإنسان يستطيع أن يستغل التفاعل البناء في نفسه بعيدا عن التفاعل مع الآخرين، فمثلا يميل هؤلاء العلماء إلى اعتبار أن الجانب الأيسر من المخ هو جانب تحليلي والجانب الأيمن هو الجانب الخلاق، والتفاعل بين الجانبين في النظرة للأشياء سوف يجمع بين التحليل والابتكار، ويترتب على ذلك أن تكون النظرة من خلال الجزئين أفضل من نظرة كل جزء على حدة. **إن الاستخدام المزدوج لجانبي المخ يكسب الإنسان البصيرة التي تمكنه من استشراف مستقبل علاقاته بالآخرين ومستقبل العمل الجماعي، وذلك من خلال تجميع وتحليل البيانات وابتكارية احتمالات معانيها وكيفية الاستفادة منها.** والتعاون النشط أصبح ضرورة مجتمعية ليس فقط لإيجاد أحسن بدائل الحلول لمشاكل المجتمع ولكن أيضا لنشر المناخ الديمقراطي الذي يحفز على الابتكار والإبداع من ناحية ويخلق جيلا جديدا من الشباب مؤمن بقضايا الديمقراطية وضرورة المحافظة عليها وترسيخها كقيمة مجتمعية حتى تصبح ضمن المحتوى الثقافي للمجتمع.

ثالثا: عادات الصيانة العامة

وهذه العادات تقع كلها تحت مسمى التجديد اللازم لصيانة الإنسان وعاداته الأخرى التي سبق الكلام عنها. والواقع أن صيانة الإنسان وعاداته ترتبط ارتباطا وثيقا بالمحافظة على قدرته على العطاء (القدرة الإنتاجية). وعادة التجديد والصيانة لها أبعاد أربعة وهي **التجديد الفيزيقي**، الذي يتطلب حسن التغذية وممارسة الرياضة والتحكم في عوامل الضغط النفسي، **والتجديد الذهني** الذي يمكن تنميته بالقراءة والكتابة والتخطيط والمشاهدة، **والتجديد الروحي** ويمكن تنميته بالتأمل في قيمة الإنسان، الالتزام، الدراسة، البحث في ملكوت الله سبحانه وتعالى والصلاة والصيام، **والتجديد العاطفي والاجتماعي** ويمكن تنميته من خلال الخدمة الخاصة والعامة، فهم

الآخرين والقدرة على التعاون معهم، كذلك الأمن الذاتي. والصيانة أو التجديد هي العادة التي تمكن الإنسان من التحرك علوا في اتجاه التغيير والنمو إلى الأحسن.

إن كل العادات التي سبق وأن تكلمنا عنها هي عادات للفعالية وتنمية للموارد البشرية، حتى تصبح قادرة على حسن استخدام وترشيد الموارد الطبيعية، وكل ذلك مؤداه أن يصبح الوطن كله فعالا على المستوى الداخلي والخارجي.

مما سبق يتضح أهمية وكيفية تنمية الموارد البشرية من خلال إعادة نسج عادات الإنسان، حتى يصبح فعالا وقادرا على خدمة ذاته في إطار خدمته العامة لمجتمعه، ويمكن تعليم هذه العادات والتدريب عليها وذلك يوضح أهمية التعليم والتدريب في إعادة بناء الإنسان القادر على تنمية ذاته ومجتمعه ووطنه، وبذلك تتجلى قيمة التعليم في التنمية القومية من خلال التنمية البشرية، وكذلك التدريب على عادات الفعالية وتطوير مهارات التفاعل مع الآخرين وخاصة مهارات الاتصال وقوى الحب والتفاؤل.

قوى الحب والتفاؤل

تشكل قوى التفاؤل والحب أهم العوامل التي تساعد الإنسان ذهنيا وسيكولوجيا على تطوير مقدرته على الاندماج والتفاعل مع المجتمع، والحب يبدأ بحب الذات، الذي يختلف في معناه عن الأنانية، فحب الذات لا يكون على حساب الآخرين وتكون وسيلته قبول هذه الذات دون شروط والعمل على التخلص من عوامل الخزي السام الذي قد يصيب بعض شبابنا – ولا يتحقق ذلك من خلال السلوكيات المريضة والنفاق والازدواجية ولكن من خلال العمل الجاد وفهم الذات والعمل على تطويرها والتخلص من سلبياتها. إن حب الذات هو الخطوة الأولى تجاه حب الآخرين وعليه فعلينا جميعا

أن ندرك أن حب الآخرين لا يعنى أى انتهاك للحقوق الشخصية وعلى رأسها الخصوصية. أما قوى التفاؤل فهى هامة وتؤهل الإنسان لفهم واقعه وقبوله أو محاولة تغييره بشكل حضارى يقبل التعددية الفكرية والاختلاف على الأساليب دون الاختلاف على الأهداف والغايات العليا للمجتمع. ويمكن تطوير قدرات التفاؤل لدى الشباب من خلال تدريبهم على بعض المفاهيم العامة التى تجعل التفاؤل معتقد قيمى يوجه سلوك الإنسان ويضمن إيجابية حركته رغم العقبات والصعاب. وفيما يلى بعض هذه المفاهيم:

(١) توقع المتاعب حيث أن الحياة مليئة بالصعاب ويختلف الناس فى مواقفهم تجاه هذه الصعاب ومقدرة وكيفية التفاعل معها. وهنا يجب ألا يقبل الشباب بمحدودية قدراته حتى يتعامل مع كل الصعاب دون يأس أو استسلام.

(٢) القبول بالحلول الوسط أحيانا حيث أن الإصلاح الشامل لبعض الأوضاع المعقدة والمركبة والمتشابكة لا يمكن أن يأتى لحظيا.

(٣) بناء شعور المقدرة والسيطرة والتحكم فى المستقبل وعدم ترك مفاتيح التحكم للآخرين.

(٤) إعاقة متوالية الأفكار السلبية فى ذهن الشباب ومحاولة البحث عن وسائل كسر حلقات هذه المتوالية وتغيير اتجاه حركتها.

(٥) تنمية قدرات الثناء على الإيجابيات والاستمتاع بنشوتها رغم وجود السلبيات، كذلك محاولة الارتفاع بهذه القدرات حتى لا نقع فريسة للإحباط أو التشاؤم.

(٦) إستخدام قدرات التخيل فى إعداد سيناريوهات ذهنية للنجاح - وهنا يجب أن نذكر أن الخلق الفيزيقى يأتى فى المرحلة الثانية بعد الإعداد الذهنى، ولايمكن أن يرتفع مستوى الخلق الفيزيقى فوق مستوى الخلق الذهنى.

(٧) التحلى بالمرح والابتسام وإن لم يكونا مظهراً للسعادة الداخلية، وقد تتحول

البسمة المرسومة إلى عادة وتصبح بذلك ضمن أسباب السعادة الحقيقية.

(٨) الحب هو أهم عناصر التفاؤل، وعليه فيجب تدريب أنفسنا على كل أشكال الحب الإيجابي.

(٩) نشر الأخبار السارة بموضوعية دون التركيز فقط على نشر الأخبار السيئة والمبالغة فيها.

(١٠) القبول بما لا يمكن تغييره واعتباره واقعا يجب التعايش معه بطريقة قد تفرض عليه واقعا جديدا أكثر إيجابية ومرونة.

وفى نهاية هذا الفصل نقول أن العلاقة بين عادات الفعالية والديمقراطية علاقة طردية ودائرية فكل منهم يؤثر ويتأثر بالآخر، كما أن العلاقة بين عقدة التطرف وأعراضها من ناحية وعادات الفعالية من ناحية أخرى علاقة وإن كانت دائراية إلا أنها عكسية وتضع المجتمع فى مأزق فإما الاتجاه إلى وحدة الفكر المتطرف وجموده وعنفه وإما إلى تعدد الفكر المعتدل وطموحه وذخره.

الفصل الحادى عشر

خاتمة: تنمية جنوب الوادى: الأبعاد الاستراتيجية وقضايا الانتماء والتطرف

الفصل الحادى عشر: خاتمة

تنمية جنوب الوادى: الأبعاد الاستراتيجية وقضايا الانتماء والتطرف

ملخـــص

*وصلت الكثافة السكانية فى وداى النيل والدلتا إلى الحد الذى أصبح يهدد مستقبل الأمن والسلام الاجتماعى، كذلك فإن تطرف التنمية وشكل الخريطة السياسية والثقافية والاجتماعية فى جنوب الوادى قد تضيف إلى عوامل التهديد بعداً جديداً، لاسيما وأننا نعانى من انتشار كل أشكال الأمية وخاصة الأمية الثقافية والسياسية والدينية والأبجدية. كل ذلك يجعل من التنمية الضفدعية خارج نطاق الوادى الضيق إجباراً وليس اختياراً. ولكن الاختيار المكانى يضع الوادى الجديد وجنوب الوادى على قمة القائمة، لأسباب عديدة منها: أن هذا الإقليم يمثل أكثر من ٤٥٪ من مساحة جمهورية مصر العربية، وعليه فله أبعاد أمنية فى استراتيجيات التوازن الإقليمى والعربى والأفريقى، كذلك فإن هناك مساحات شاسعة تصلح للزراعة فى هذا الإقليم، ويمكن تدبير المياه النهرية والجوفية التى تكفى زراعة مليون فدان على الأقل. إن مشروع تنمية جنوب الوادى يفوق فى أبعاده الاجتماعية والسياسية والثقافية أى أبعاد اقتصادية تُقدَّر بحسابات الجدوى النمطية المحدودة، وهنا أركز على قضيتين يجب أن نوليهما بعض العناية والرعاية وهما قضيتا الانتماء والتطرف، **فالأولى** تعتبر إحدى القضايا الإيجابية التى يجب تنميتها وتطويرها، **والثانية** تؤثر سلبا فى عمليات التنمية، إلا أن التنمية الشاملة تعتبر من أهم وسائل علاج التطرف*

والوقاية من انتشاره وتصعيد توابعه، ومن ذلك تتضح العلاقة الوثيقة بين التنمية والانتماء والتطرف.

مقدمـــة

إن **التنمية** ليست مجموعة من الغايات والأهداف المادية التى يمكن التعبير عنها بأرقام صماء، ولكنها عملية اجتماعية تمكن الإنسان من تنمية قدراته، وإطلاق طاقاته لتحقيق مستويات مادية أفضل مع الارتقاء بجوانب حياته الاجتماعية والثقافية والسياسية. إن التنمية بهذا المضمون تتعدى مفهوم النماء الاقتصادى الذى يسهل حسابه بدراسات الجدوى الاقتصادية، أما التنمية بمفهومها الشامل فتتطلب أبعادا قد تفوق فى أهميتها وآثارها دراسات الجدوى المطلقة. إن هذا التعريف الشامل للتنمية يضع جنوب الوادى فى مكانة تنموية لا تتناسب مع ديناميكية التنمية فى شمال الوادى، وذلك لأسباب عديدة منها: بُعد الإقليم عن مركز صناعة القرار وتأخر وصول برامج التنمية، والبشرية منها على وجه الخصوص، والطبيعة الجغرافية والقبلية التى ساعدت على العنف وحدَّت من المشاركة السياسية، وجعلت الإقليم طارداً للثروات المادية والبشرية المتميزة. إلا أن أمن الجبهة الجنوبية ومستقبل المياه، مع وجود المساحات والثروات الطبيعية التى تسمح بتنمية زراعية ـ صناعية وإقامة مجتمعات عمرانية جديدة تساعد على خلخلة الكثافة السكانية التى تهدد مستقبل الأمن والسلام الاجتماعى فى الوادى الضيق، أصبحت من القضايا الرئيسية التى تستحق مزيدا من الاهتمام فى أجندة العمل القومى.

إن تنمية جنوب الوادى تمكن إنسان هذا الإقليم من إشباع حاجاته ورغباته، وتحقيق ذاته مما يطور من عقيدة انتمائه لوطنه، ويجعله أكثر قدرة على تنفيذ وإدارة برامج التنمية فى ضوء رسالة المجتمع ومبادئه الإرشادية. ولا يسعنا فى هذا المجال

إلا أن نذكر الدور الرائد لحكومة **الدكتور الجنزورى** خلف قيادة **الرئيس محمد حسنى مبارك** لتنمية جنوب الوادى بمشروعات عملاقة، يمكن أن تعيد صياغة الخريطة الديموغرافية والسياسية والاجتماعية للإقليم بطريقة تتكامل وتتناغم مع الوضع العام لجمهورية مصر العربية، وتساعد على تطوير استراتيجيات الأمن مع دول الجوار فى غرب وجنوب مصر. وهناك بعض القضايا التى يجب إلقاء مزيدٍ من الضوء عليها حيث إنها ترتبط ارتباطا عضويا ودائريا بحركة التنمية وعلى رأسها قضايا الانتماء والتطرف. وفى خاتمة هذا الكتاب قد يكون من المفيد العودة إلى حيث بدأنا لوضع بعض العلامات البارزة على هذه القضايا مع تقديم مشروع جنوب الوادى والذى قد يكون فى أهميته التنموية بعض العلاج والوقاية من الأمراض الاجتماعية مثل التطرف الفكرى وتآكل عقيدة الانتماء.

الانتمـــاء

إن **الانتماء** يعنى رغبة أى شخص فى التوحد مع شخص آخر أو جماعة أو عقيدة أو زمان أو مكان، والانتماء رغبة إنسانية إذا لم تنمُ وتتطور وتشبع لدى الفرد، فقد ينمو بدلا منها شعور بالاغتراب أو عدم الانتماء - وحتى تنمو رغبة الانتماء فلا بد من وجود تنمية شاملة فى المجتمع لإمكانية الوفاء باحتياجات الفرد المادية والأمنية والاجتماعية والنفسية. كما أن الانتماء يحفز على العطاء ويساعد على دفع عجلة التنمية، وتتناسب مقدرة العطاء مع عمق قيمة الانتماء، وعليه فيميل البعض إلى القول بأن **حب الوطن فريضة والانتماء إليه واجب**. وتحض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة على الانتماء للوطن، والتعبير عن هذا الانتماء فى صورة عمل يخدم الفرد والمجتمع، وبذلك تكون ثقافة المجتمع هى السلام الاجتماعى بكل أبعادها.

هناك مراحل مختلفة لتطور ونضج عقيدة الانتماء: أولها مرحلة الانتماء البيولوجي للأم ثم الانتماء النفسي والاجتماعي للوالدين والأقرباء والأصدقاء والمكان، ثم الانتماء الأشمل وهو للوطن ويسمى بالانتماء القومي. والانتماء القومي هو أحد دعامات الأمن القومي التي تؤثر بطريقة مباشرة وغير مباشرة على مصلحة ومستقبل البلاد، وعليه فيجب أن تولي عقيدة الانتماء اهتماما بالغا من المسئولين وكذلك قيادات المؤسسات الاجتماعية. وفي هذا المجال يجب التنويه عن أهمية العملية التعليمية ومناخها في تنمية عقيدة الانتماء للوطن. والانتماء والتنمية تربطهما علاقات عضوية ودائرية أبسطها أن الانتماء يمثل القيمة غير المادية للتنمية، والتنمية تضيف إلى قيمة المجتمع وتعمق بذلك عقيدة الانتماء. إن الانتماء كما سبق أن أوضحنا غريزة إنسانية يجب إشباعها، وإذا لم يتم ذلك اغترب الإنسان عن مجتمعه وأصبح فريسة للمخدارت الفكرية وعلى رأسها التطرف الديني. إن المناخ الذي يعيشه كثير من شبابنا يجعله يتربى على الخواء الثقافي ويحوله إلى فريسة سهلة للسموم الفكرية التي تضاف عمدا أو عن غير قصد إلى المادة العلمية والثقافية والدينية التي تقدم إلى شبابنا وهم مستقبل مصر. إن إعادة صياغة [illegible] المناخ وتحليل مضمون ما يقدم للشباب لوقايته من المخدرات والسموم الفكرية التي تحيط به أصبحت مسئولية قومية يجب أن يشارك فيها كل المثقفين، خاصة [illegible] الرؤية الثاقبة والنظرة [illegible]ستقبلية.

التطــرف

إن فكر **التطرف** يُعَدُّ من أخطر معو[illegible]ات التنمية البشرية والتنمية الشاملة، وحينما يتحول التطرف إلى ظاهرة مرضية فإن أعراضها كثيرة، ولكن أخطر هذه الأعراض هو الإرهاب بكافة أشكاله بدءاً بالإرهاب الفكري وانتهاءً بالحرب الأهلية والتصفية الجسدية ونشر الخوف والرعب بين أفراد المجتمع. إن تطرف الفكر يحتاج إلى مناخ قد تنسجه بعض العوامل الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية التي

تقف عثرة أمام نمو وتطور الثروات البشرية وإطلاق طاقاتها واستخدام كامل قدراتها. وعليه فإن مشاكل الجهل والفقر والبطالة والعبث بحقوق الإنسان السياسية والمدنية وازدياد الفجوة بين الفقراء والأغنياء، وتعدد مراحل عقاب الفقراء على فقرهم وانتشار بعض أشكال الفساد الإدارى والسياسى ... الخ، هى التى تجعل البيئة صالحة للتطرف الفكرى الصامت، إلا أنه ويوجود بعض قيادات الدين السياسى الذين يستغلون كل هذه الظروف، والتى قد تكون طبيعية فى حركة العمل الوطنى، فإن جماعات التطرف الفكرى قد تُستغل لحساب هذه القيادات إما شكلا فى صورة تعاطف، أو مضمونا فى صورة تنفيذ بعض المخططات الإرهابية، وقد تلجأ هذه القيادات للاعتداء على رموز الدولة بهدف تصوير القضية على أنها قضية دين ودولة من ناحية، ولنشر الرعب بين جموع المواطنين وإجبارهم على تأييد هذه القيادات من ناحية أخرى، وذلك كما حدث فى إيران والجزائر مؤخرا.

إن على الدولة دورا هاما فى التصدى للتطرف والإرهاب، ولا يجب أن يقتصر هذا الدور على التصدى البوليسى، ولكن يجب أن يتعداه إلى التصدى الفكرى، والعمل على تنقية المناخ الذى يؤدى إلى تطرف الفكر من كل شوائبه. ولا تتم تنقية هذا المناخ إلا من خلال نشر ثقافة السلام الاجتماعى بين المواطنين وإعطاء قضية التعليم الأولوية الأولى فى الأجندة القومية، مع عمل تنمية شاملة حقيقية تخلق فرص عمل، يستطيع الشباب من خلالها إثبات ذاته وتطوير عقيدة انتمائه لوطنه. إن تنمية المصادر البشرية لن تتم إلا من خلال تقديم الخدمات التعليمية والصحية الراقية، والعمل على محو الأمية الأبجدية والدينية فى مناخ ديمقراطى، يتمتع المواطن فيه بكل حقوقه السياسية والمدنية. وبصفة عامة فإن مواجهة الإرهاب تتطلب استراتيجية تعمل على اقتلاع جذوره، ومنع نمو براعم جديدة، وبذلك ترتكز الاستراتيجية على تكامل كل أساليب العلاج والوقاية التى تعتبر التنمية الشاملة والموصولة أهمها على الإطلاق. وعلينا أن

نعى أن الإرهاب يعمل ضد الإرادة المصرية والتصدى له يعتبر وقوفا مع هذه الإرادة خلف الإدارة السياسية الشرعية. إن تكامل الأدوار بين الشرطة والقيادات السياسية ورجال الدين والفكر والثقافة فى وجود مشاركة شعبية فعالة، مع العمل على تنمية المجتمع فى جميع أبعاده هى سبيلنا للقضاء على الظاهرة. وهنا يجب ذكر أن قضية الفراغ الثقافى لدى الشباب قد أتاحت الفرصة لأصحاب الإسلام الانتقائى والفقه التفصيلى والمأجور أن يستغلوا الأمية الدينية، ويزرعوا بعض المفاهيم المغلوطة أحيانا والمنقوصة أحيانا أخرى، وكذلك بعض التعاليم ذات الأسانيد الضعيفة والتى قد تضر الاندماج الاجتماعى ومبدأ الوسطية فى التفكير والسلوك. **ولا تعنى الوسطية قولبة ووحدة الفكر، ولكنها تعنى بؤرة التقاء التعدد الفكرى التى تضمن حرية التفكير بعيداً عن كل أشكال العنف.**

التطرف الفكرى والسلام

إن جماعات الدين السياسى وقياداتهم يرفضون ويشوهون كل أشكال العمل الوطنى بدءًا بحرب أكتوبر العظيمة فى سنة ١٩٧٣ وانتهاءً باتفاقيات السلام مع إسرائيل. ومن هنا يجب على شبابنا أن يعرف أن هذه الحرب قد حررت المواطن المصرى من الخوف المبالغ فيه، وأعادت للعسكرية المصرية عزتها وكرامتها، كما أعطت العدو الإسرائيلى درسا لن ينساه ويجعله يتردد آلاف المرات قبل أن يفكر فى الاعتداء على حبات الرمل المصرى. أمَّا اتفاقيات السلام مع إسرائيل فهى حصاد الانتصار من ناحية ومناخ التنمية من ناحية أخرى. فكيف بالله يمكن أن تتم تنمية تحت نيران المعارك؟! وكيف ـ أيضا ـ وجميع الأطراف المتحاربة تستنزف ثرواتها فى عمليات عسكرية غير تنموية. فى الوقت الذى تنادى فيه الدول المتقدمة بإحلال التعاون الأمنى محل الأمن التنافسى، نجد قيادات التطرف ترفض السلام بدعاوى باطلة لا تتمشى مع المنطق والعقل والمعطيات السياسية والاقتصادية للنظام العالمى الجديد.

إنه لا بديل للسلام حتى يمكن عمل تنمية حقيقية تعود بالخير على الوطن والمواطن. ولكن هذا السلام يجب أن يكون قائما على العدل الذى تَؤَمِّنُه القدرة الذاتية قبل المحافل الدولية. إن قصر النظر السياسى وعدم وضوح الرؤية لدى رئيس وزراء إسرائيل الحالى **بنيامين نتنياهو** قد يهيىء المناخ للقيام بعمليات إرهابية يكون ظاهرها الدفاع عن عملية السلام، وتضر فى حقيقتها العملية وتؤخر تنفيذ بعض بنودها مما يتسبب فى مزيد من الإرهاب إلى الحد الذى يهدد عملية السلام برمتها، وذلك كما أعلن **الرئيس محمد حسنى مبارك** فى عديد من لقاءاته، خاصة بعد عودته الأخيرة من زيارة كل من فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية والمغرب فى شهر مارس من عام ١٩٩٧م.

إن السير قدماً فى طريق السلام مع إثبات حسن النوايا سوف يضيع فرصة المتطرفين فى المزايدة وخلط القليل من الحقائق بالكثير من الأكاذيب بهدف تهيئة المناخ لمزيد من التطرف والإرهاب. إن المتطرفين اليهود لديهم من الوقود الفكرى ما يجعلهم أكثر تشددا، وفى ذلك نقول: إن طريق السلام لدى الإسرائيليين أصعب من طريق الحرب، وتلك حقيقة يجب أن نعيها جيدا حيث إن دولة إسرائيل دولة عنصرية، وتحتاج إلى مواطنين متميزين فكريا حتى يمكن أن يعوا أن السلام يزيد فى أهميته عن القدرة العسكرية المتميزة. كذلك فإن حكومة إسرائيل الحالية بقيادة الليكود الإسرائيلى واستشاريه بعض صهاينة بروكلين لا تؤمن بمبدأ الأرض مقابل السلام، حيث إن فى ذلك تناقض واضح وصريح مع أحد ركائز البرنامج الصهيونى لفكرة شعب الله المختار وأساليب تحقيقها، ومنها رفض الغير وشرعية التخلص منه جملة أو هوية.

الإرهاب والإعلام

لقد انتشرت فى مصر، كما انتشرت فى معظم دول العالم، بعض الظواهر الإرهابية المحدودة، لكن ـ وللأسف ـ قد صُورت بعض هذه الظواهر فى الصحافة العالمية على أنها يومية وقومية، وبالطبع فتلك مبالغة لا يقبلها العقل أو الضمير، ولا

يجب أن تترك لعملاء هذه الصحافة أو جهلتها فرصة تشويه الوضع الأمنى الداخلى. وتعتمد استراتيجية الصحافة الغربية على ثلاثة محاور رئيسية، **أولها** تأكيد شعور خوف الغرب من الإسلام وذلك بالحكم على الإسلام من أعمال جماعات الإرهاب، **وثانيها** تشكيك المسلمين أنفسهم فى جوهر وجودهم وتحويلهم إلى أعداء لأنفسهم وإثارة التوتر فى مجتمعاتهم، **وثالثها** فرض حصار إعلامى على الفكر الإسلامى المعتدل وحجب تعاليم الإسلام الحقيقية عن المواطن الغربى. وبهذه المناسبة فإن تصحيح صورة الإسلام فى ذهن الغرب مسئولية تقع على عاتقنا جميعا كمسلمين، ولابد أن نقنع العالم بأن الإسلام بطبيعته يتكيف مع معطيات العصر، ويقبل التعامل مع العلم والتكنولوجيا والحداثة والديمقراطية بأسلوب السببية ومبدأ المنطق، وفى ذلك يقوم فضيلة **الدكتور سيد طنطاوى شيخ الأزهر** بدور قيادى متميز، حيث يقوم بزيارات عديدة لدول أوربا وأمريكا، ويفتح بابا للحوار مع الديانات الأخرى قد ظل مغلقا. فعلينا أن نكمل هذا المشوار ونحترم مساحات الخلاف فى العقيدة والثقافة ونتعاون فى مساحات التشابه والاتفاق.

إن قيادات الإسلام السياسى فى الداخل والخارج - يشجعهم فى ذلك بعض الأقلام المأجورة وكذلك الصحافة الغربية والصهيونية العالمية - يقومون بتشويه العمل الوطنى المصرى، وذلك لتشكيك المواطن فى إرادته السياسية كخطوة أولى لتخليه عن إرادة وطنه. إن قيادات مصر بعد ثورة يوليو العظيمة قد عملوا جميعا بإخلاص للحفاظ على أمن وأمان المواطن المصرى، ولكن الحقد واليأس الذى استشرى فى عقول وقلوب أصحاب الإسلام السياسى قد تلازم مع الخوف العربى والأجنبى من طبيعة المد المصرى فى المنطقة والمد الإسلامى فى العالم، مما لا نستبعد معه وجود صيغة من صيغ التعاون لضرب النظام المصرى، من خلال جماعات الإسلام السياسى مستغلين بذلك بعض الظروف، التى صنعتها عوامل الضغط الأجنبى لتعطيل مسيرة العمل

الوطنى أحيانا، وضرب منجزات الوطن أحيانا أخرى، وبالطبع كانت إسرائيل الأداة التى تم ويتم من خلالها تنفيذ بعض هذه المخططات. لكنه وبعد نصر أكتوبر ١٩٧٣ وتوقيع اتفاقية السلام مع إسرائيل، فإننا قد بدأنا وخلف قيادة السيد الرئيس محمد **حسنى مبارك** مسيرة يسودها **السلام والديمقراطية والتنمية**، وفى بداية عام ١٩٩٧ قد أولى **الرئيس مبارك** اهتماما خاصا بتنمية الصعيد، الذى تأخرت فيه عجلة التنمية عن شمال الوادى وأيضا تركزت فيه بعض مظاهر التطرف والإرهاب لبعض الوقت. إن التنمية الشاملة هى السبيل الوحيد لخلق مجتمع يسوده السلام الاجتماعى، كما تخلق مناخا يلفظ كافة أشكال العنف المنظم. يجب علينا جميعا أن نعلم بأن مسيرة السلام والديمقراطية والتنمية تمثل مرحلة تحول ولم نصل فيها بعد إلى النضج والاستقرار، وعليه فهى تقارن بالماضى القريب ولا تقارن بالمستقبل المأمول. إننا نتطلع بالطبع إلى مزيد من العمق فى كل عناصر هذه المسيرة ولا يجب العودة بها إلى الوراء مهما كلفنا ذلك من ثمن مادى أو حتى معنوى.

إن التطرف الفكرى يبدأ فى العقول وعليه فيجب ألا نهمل المواجهة الفكرية ضمن استراتيجيات المواجهة العامة. وذلك يلقى الضوء على أهمية دور مؤسساتنا الاجتماعية ورجال الدين ووسائل الإعلام والمفكرين والمثقفين لتنفيذ حملة واسعة تصل إلى كل منزل وكل فرد ـ خاصة الشباب ـ لمحو أميتهم الدينية والقومية وتطوير عقيدة الانتماء، ومهما كلفتنا هذه الحملة يجب ألا نتوانى أو نتأخر حيث إن الوقاية أفضل وأرخص من العلاج، وعلاج الأمراض المزمنة قد لايأتى بالنتائج المرجوة. إن الخطر الذى تتعرض له الدول الإسلامية قد وصل إلى درجة حضارية، وذلك لخوف الغرب المتزايد مما أسماه التتار الجدد. والحقيقة أن الغرب يتبنى ما صاغه اليابانى الأصل والأمريكى الجنسية فوكوياما فى نظريته المعروفة **"نهاية التاريخ"**، والتى يقول فيها: إن الغرب مقبل على صراع حضارى مع الإسلام.

إن مصر تتعرض بقصد أو بدون قصد إلى مخطط يحاول أن يلوث تراثها الثقافى والعقائدى من ناحية ويغتال تاريخها الحديث وشخصياته القيادية من ناحية أخرى، ويلعب التعليم بشكله الحالى والإعلام المصرى وخاصة الإعلام المعارض وبعض الأقلام العربية التى تكتب للصحافة العالمية دوراً فى نشر هذه الملوثات. إننا نعلم أن الإعلام لا يصنع أو يغير حقيقة، ولكنه قد يزيف الواقع أو يبالغ فى بعض الظواهر المحدودة، كما أن الإعلام قد يساعد القارىء على الخلط بين المفاهيم وذلك من خلال الأسلوب الذى تُعرض به الحقائق، فمثلا تقدم بعض الصحف المصرية والعربية مادة غنية للصحافة العالمية تستطيع من خلالها الخلط بذكاء بين الدين الإسلامى والتدين، وبين الحقائق والأكاذيب، وبين الجريمة والبطولة، وبين العدوان والجهاد. كل ذلك يُفرض على العقل الأجنبى خاصة غير المثقفين منهم ـ وهم كثير ـ ويدخل ضمن مكونات النفس والشعور لهؤلاء إن ما يحدث من عمليات إرهابية ما هو إلا تعبير عن توجهات الإسلام. إن الرأى العام الغربى أصبح مشبعا بالقوالب الذهنية عن العرب والمسلمين، ويساعد على هذا التشبع مرور العالم الإسلامى بحقبة تاريخية مليئة بالأحزان والهموم والهزائم والمتناقضات، وذلك واقع يجب أن لايمنعنا إنكاره أو تزييفه من تغييره. إن تغيير نظرة العالم عن الإسلام مسئولية كل مسلم.

إن القضايا المصرية والمصيرية متعددة بحكم التحول السياسى والاقتصادى، الذى تمر به البلاد والذى لم يصل بعد إلى مرحلة الاستقرار، ولكن علينا أن نفصل بين هذا التحول وتوابعه وبين القبول بواقعه. يجب علينا أن نساعد الإدارة السياسية على هذا التحول دون المبالغة فى الحوادث الإرهابية أو إثارة المشاعر للتعاطف معها أو الترويج لنشر ثقافة التطرف وتوابعه. كما يجب علينا أن نوجه طاقات الشباب حتى يستطيعوا إثبات ذاتهم وتحقيق بطولاتهم بعيدا عن العمليات الإجرامية التى لا تخدم الوطن. على الدولة أن تستعين بالمتخصصين فى علم تحليل المضمون، وذلك البحث فى

المادة العلمية والوسائل التعليمية فى مدارسنا وجامعاتنا، وكذلك للبحث فى الاتجاه العام للإعلام القومى حتى يمكن تحليل الأفكار المصاغة فى مفردات وإيحاءات وتلميحات ومغالطات للمنطق قد تفسد فكر شبابنا. وتجعلنا جميعا نعيش ثقافة التطرف والإرهاب. يجب أن تكف أجهزة إعلامنا وأساليبنا التعليمية عن تدريب المواطنين على عشوائية التفكير وإصدار الأحكام العامة بغير حيثيات أو براهين، كما أن طريقة الاستدلال على هذه البراهين يجب أن تكون كريمة وتحفظ للمواطنين والعاملين على خدمة الوطن عزتهم وكرامتهم. لقد أصبحت المعارضة عداءً، والنقد تشويهاً وتشهيراً، واختلاف الرأى عدواناً على حرية الرأى. ذلك هو فقه الإرهاب بعينه والذى يمارس يوميا على صفحات الصحف والمجلات وفى العديد من مؤسساتنا القومية. إن النقد والمعارضة تنشط الذهن للحصول على أكثر البدائل ومحاولة اختيار الأصلح منها، والجدل المنطقى والمناقشة العلمية التى يعضدها الدليل والبرهان هو أسلوب الحوار الذى يجب أن نعود إليه لدخول القرن الحادى والعشرين. إن ديمقراطية الحوار يجب أن تعتمد على الحقائق المجردة، وعليه فيكون اختلاف الرأى حول تفسيرنا للأسباب التى شكلت هذه الحقائق أو الأساليب التى يمكن من خلالها الاستفادة منها. أما خلط قليلٍ من الحقائق بالكثير من الأكاذيب، فإنها تمثل شكلا من أشكال تطرف الديمقراطية أو الديمقراطية الشكلية المشوهة التى يعانى منها المجتمع المصرى فى كثير من الأحيان، وهنا يجب التنويه على أن مفهوم الديمقراطية لا يقتصر فقط على الديمقراطية السياسية، ولكنه يجب أن يتحول إلى قيمة تضاف للمحتوى الثقافى ويصبح بذلك أسلوبا للعمل والحياة بغض النظر عن ماذا؟ وأين؟. وتطرف الديمقراطية قد يؤدى إلى ظلم المواطنين بعضهم البعض، وظلم المواطنين للمسئولين وذلك فى شكل إلقاء التهم جذافا ودون البرهان والدليل المادى. إن بيئة الظلم تؤكد بعض أشكال العنف التى تغذى بعض حلقات الإرهاب.

إذا كنا قد قررنا قفل الحوار **"مع"** التطرف فلماذا لا نفتحه مرة أخرى **"عن"** التطرف والإرهاب؟ ويكون الإعلام فارسه للمحافظة على الإسلام **أولا** والاستقرار **ثانيا**، وحماية الشباب من تناول مخدارت التطرف والإرهاب التي توزع دون أن نعيها **ثالثا**. هناك أيضا بعض المشاكل الاجتماعية التي أخذت شكل الأمراض ويجب أن نعيرها بعض العناية بالدراسة ومحاولة معالجتها إعلاميا مثل انتشار **"الأنا" المتضخمة** بين القائمين على إدارة الأعمال التنفيذية والشعبية والتنموية، وفي المقابل انتشار **"الأناماليه"** بين الصفوف الأولى في قوى العمل المؤسسي، وكل هذه الأمراض قد تسبب فشلا مؤسسيا، كما أن مناخ العمل المؤسسي يُربي الأجيال المقبلة على نفس هذه السلوكيات المريضة. إن تزواج التطرف الديمقراطي والإسلام الانتقائي والفقه التفصيلي قد يخلق مناخا مناسبا للتطرف الديني يجب العمل على التصدي له بكافة الأساليب، وليس هناك أنسب من العمل في كل المحاور في آن واحد. إن التنمية الشاملة والتي توجه لخدمة الإنسان تضع الإطار المناسب لانتشار تعدد الفكر دون تطرف. وحيث إن مشروع تنمية جنوب الوادي يعتبر من المشروعات العملاقة والذي سيتم تنفيذه في أوائل القرن الحادي والعشرين معلنا عن شكل جديد لمصر المستقبل كذلك فله ارتباط مستقبلي وطيد بعنوان هذا الكتاب، لذلك فإننا سوف نفرد جزءا خاصا عن هذا المشروع وعن أبعاده المنسية التي تجعل جدواه الاستراتيجية تفوق أي جدوى اقتصادية.

تنمية جنوب الوادي

في مؤتمر تكنولوجيا المياه الذي عقد مؤخرا في مدينة الإسكندرية خلال الفترة من ٢٨ ـ ٣١ مارس ١٩٩٧ خصصت ورشة عمل لتنمية جنوب الوادي، وباستثناء بعض الأصوات المتشنجة فإن المتحدثين والذي بلغ عددهم إثنى عشر متخصصا، بالإضافة إلى الكلمات التي أُستهلت بها الندوة من القائمين على إدارتها، وكذلك

مناقشات الحاضرين والذين زاد عددهم عن المائة في تخصصات الجيولوجيا والمياه والتربة والميكانيكا ... إلخ، قد أجمعوا على أن هذه الفكرة المحورية، والتي تمت دراستها على مدى أكثر من ثلاثين عاماً وأصبحت حلماً لدى الذين لهم رؤية واضحة لمستقبل مصر في القرن المقبل، قد آن لها الأوان أن تتحول إلى مشروع قومي تلتف حوله وخلف إدارته السياسية والتنفيذية كل قوى الشعب.

لقد اختلفت آراء بعض المتحدثين في بعض المناسيب والارتفاعات التي يجب أن تضخ المياه خلالها، وكانت الاختلافات كلها تدور حول دراسة الجدوى الاقتصادية للمشروع بالنسبة للبدائل الزمانية والمكانية، ولقد كان لي شرف أن أكون أول المتحدثين وآثرت أن ألقي بعض الضوء على الأبعاد المنسية في تنمية جنوب الوادي، والتي سيجيء ذكرها فيما بعد، ولكنني أود أن أقدم للمشروع ببساطة شديدة ومن خلال الأرقام الواردة في نشرات وزارة الأشغال العامة والموارد المائية:

(١) إن مساحة محافظة الوادي الجديد تزيد على ١١٢ مليون فدان وتمثل بذلك أكثر من ٤٥ ٪ من مساحة الجمهورية والتي تبلغ ٢٣٨ مليون فدان.

(٢) إن المساحة المستغلة للاستثمار الزراعي والصناعي والعمراني في مصر تبلغ ١٠ مليون فدان أي بواقع ٤٪ من مساحة الجمهورية، ومع زيادة تعداد السكان إلى أكثر من ستين مليون نسمة، فإن الكثافة السكانية في وادي النيل والدلتا غدت من أعلى المعدلات في العالم. ومن هنا فإن الكثافة السكانية تؤثر طرديا على انتشار العشوائيات وما لها من أخطار اجتماعية.

(٣) بناء على ما تقدم فمن الطبيعي أنه إذا ما خططت الدولة لخلخلة التكدس السكاني فسوف يكون هناك نصيب لإقليم قد قارب على منتصف مساحة الجمهورية، ألا وهو إقليم الوادي الجديد وجنوب الوادي.

(٤) إنه ولحسن الحظ هناك ما يقرب من ٥ر١١ مليون فدان صالحة للزراعة في

جنوب الوادى والوادى الجديد منها مليون فدان على الأقل درجتها الإنتاجية أولى وثانية، أى من أجود الأراضى الزراعية.

(٥) أنه لاستصلاح أراضى الدرجات الأولى والثانية فإنه يلزم مياه تقدر بحوالى ١٠ مليار متر مكعب لا يمكن تدبيرها من الخزان الجوفى بصفة أساسية.

(٦) رغم اختلاف الآراء في مصدر واستدامة مخزون المياه الجوفى فى نطاق الواحات، إلا أنه ليس هناك اختلاف على ضخامة هذا المخزون وسهولة الحصول عليه، ولكن التقديرات المبدئية تفيد إمكانية سحب ١ر٤٦ مليار م٣ سنويا تكفى لزراعة ١٤٦ ألف فدان فى الوادى الجديد.

(٧) يمكن التوسع على المياه الجوفية فى محور شرق العوينات بما يعادل ١ر٥ مليار م٣ سنويا، وذلك يكفى لزراعة مساحة أكبر قليلا من المساحة التى يمكن التوسع فيها على مياه جوفية فى منطقة الواحات بالوادى الجديد.

(٨) مما سبق يتضح أنه ولإمكانية الاستفادة من حوالى مليون فدان (درجة أولى وثانية) موجودة فى الوادى الجديد وجنوب الوادى، فإنه يجب الاعتماد على المياه النهرية بصفة أساسية، وذلك يستوجب تدبير حوالى سبعة مليارات م٣ سنويا من مياه النيل.

(٩) دلت دراسة الجدوى الاقتصادية على قلة تكاليف رفع مياه النيل إلى محاور التنمية من بحيرة ناصر مقارنةً ببعض الأماكن الأخرى المقترحة بعد السد العالى شمالا، وذلك يستوجب إنشاء ترعة جنوب الوادى بطول ٣١٠ كيلو متر، تبدأ من شمال خور توشكى وتتجه غربا لتتصل بطريق درب الأربعين حيث تنتهى عند مدينة باريس كمرحلة أولى. وقد قُدرت مساحة الأراضى التى يمكن استزراعها كمرحلة أولى من هذه الترعة بحوالى ٥٠٠ ألف فدان.

(١٠) إنه يمكن تدبير مياه النيل التى تكفى هذه المساحة وذلك بخفض تدريجى

لمساحة الأراضى المنزرعة أرز فى الوادى القديم والدلتا من ٤ر١ مليون فدان إلى ٧٠٠ ألف فدان سنويا.

(١١) بالإضافة إلى كل ما سبق فإنه قد آن الأوان للمصريين أن ينتهجوا أساليب رى جديدة من شأنها ترشيد استخدام مياه النيل. كما يجب أيضا التوسع فى إعادة استخدام مياه الصرف الزراعى والصرف الصحى، علما بأن هناك ما يزيد عن ٥ر٣ مليار م٣ مياه صرف زراعى يمكن تدوير استخدامها سنويا لرى مساحات التوسع الجديدة شرق وغرب الدلتا وفى بعض محافظات الجنوب.

الأبعاد الاستراتيجية لتنمية جنوب الوادى

وبعد هذا العرض السريع لفكرة المشروع فإننا نقول: إن دراسات الجدوى قد أوضحت مميزاته الاقتصادية، إلا أن المميزات الاجتماعية والإنسانية والجغرافية والسياسية والثقافية والعمرانية تتعدى أى حسابات، حيث إن هذه المميزات لا تقدر بحسابات الجدوى قصيرة المدى ولا يمكن التعبير عنها من خلال أرقام، ولكن يمكن التنبؤ بجدواها فى التطور الحضارى للشعوب، وعليه فهى أبعاد استراتيجية طويلة المدى، ويمكن حصر بعض هذه الأبعاد فيما يلى:

(١) يعيش ٩٥٪ من سكان الجمهورية والبالغ عددهم ٦٢ مليون نسمة على مساحة تبلغ ٤٪ فقط من مساحة الجمهورية. إن الكثافة السكانية العالية فى وادى ودلتا نهر النيل وانتشار العشوائيات التى قد تهدد الأمن والسلام الاجتماعى جعل من مسألة التوسع وإعادة توزيع المجتمعات المصرية ضرورة لا اختياراً. كما أن التأخير فى خلخلة هذه الكثافة قد يؤدى إلى كوارث قومية فى المستقبل، علما بأن الحاضر هو المنفذ الوحيد لآمال المستقبل وعلينا أن نبدأ فى صياغته وصناعته الآن.

(٢) إن هذا الإقليم المنسى والذى يبعد عن مركز صناعة القرار قد تخلفت برامج التنمية فيه، وأثرت بشكل مباشر على حجم وخصائص الموارد البشرية، وقد آن الأوان لهذه الموارد أن تنمى من خلال تنمية مستدامة يكون الإنسان الصعيدى فاعلها وهدفها. وذلك هام جدا فى خلق التوازن الإقليمى الذى يعتبر من دواعى الأمن والسلام الاجتماعى فى المستقبل.

(٣) إن تخلف التنمية فى الجنوب، بالإضافة إلى بعض الظروف الجغرافية والاجتماعية، قد ساعدت وإلى حد كبير على انتشار العنف، وأصبحت المنطقة مؤهلة لاحتضان فكر التطرف كبديل للخواء أو الفراغ الثقافى، والذى أدى بدوره إلى إرهاب كانت له آثارا متعددة، أدناها أنه قد خفض دخل مصر من السياحة بمبالغ كان يمكن أن تساهم بدرجة عالية فى الإنفاق على مشروع الوادى الجديد. إن بعض العمليات الإرهابية التى تمت فى مصر قد أضيفت إلى رصيد العمليات المشابهة والتى ارتكبت باسم الإسلام على مستوى العالم، وذلك كان له دور" فى الإساءة للإسلام بصفة عامة والمسلمين المعتدلين بصفة خاصة، حيث وصفهم الغرب فى الآونة الأخيرة بالتتار الجدد الذين يمثلون خطراً على الحضارة الغربية والديمقراطية والحداثة فى العالم. وعلى ذلك فإن تنمية الجنوب ومواجهة الإرهاب والتطرف الفكرى تعتبر خطوة استراتيجية للدفاع عن الإسلام والمسلمين فى العالم.

(٤) إن للجنوب بعداً استراتيجياً يـ... العمل على تنميته، وتلك قضية ترتبط بمستقبل الأمن القومى المصرى، لاسيما وأن جنوب الوادى يحتوى على ثروات طبيعية فى باطن الأرض لا يجب إهمالها، كذلك فإن مستقبل أمن السد العالى والموارد المائية يرتبط بأمن الجنوب. إن المجتمعات الجديدة المأمول قيامها فى جنوب الوادى لن تكون فقط مجتمعات زراعية وصناعية، ولكن سوف تقوم عليها مجتمعات عمرانية تنشط قطاع الأعمال المدنية، وكلها مشروعات سوف تمتص

جزءًا من العمالة الزائدة، وتساعد على حل مشكلة البطالة بين الشباب الذين هم نصف الحاضر وكل المستقبل.

(٥) إن الخزان الجوفى الموجود فى الصحراء الغربية خزان كبير ويقدر بأكثر من ٢٠٠ ألف مليار م٣، وقد بدأت ليبيا بالفعل فى استغلاله ويجب علينا البدء فى استخدامه. إن المعلومات الخاصة بتجديد هذا الخزان معلومات سلبية حيث أن التغذية الحالية ضئيلة وعليه فينظر إليه على أنه خزان غير متجدد، إلا أن هناك تسرب إلى الخزان يقدر بحوالى ٢ر٧ مليار م٣ من بحيرة السد العالى تكفى لزراعة ما يزيد عن ربع مليون فدان. يضاف إلى ذلك أن المياه الجوفية فى خزان الحجر الرملى النوبى ـ وهو من أكبر الخزنات الارتوازية فى العالم ـ ذات نوعية جيدة ولا تزيد ملوحتها عن ١٠٠٠ ـ ١٥٠٠ جزء فى المليون وغالبا ما تقل عن ذلك، وعليه فهى تعتبر إلى حد كبير مياه عذبة.

(٦) إن تنمية الجنوب يمكن أن تكون ذريعة هامة تلقى قبولا دوليا لإمكانية تغيير اتفاقية المياه التى تم توقيعها فى عام ١٩٥٩ والتى يجب إعادة النظر فيها بأسلوب حضارى مع أشقائنا العرب والأفارقة.

(٧) إن تنمية جنوب الوادى وإعادة صياغة مناخ الإقليم من الناحية الاجتماعية والثقافية والسياسية سوف يجعل الإقليم غير طارد للثروات المادية والبشرية، وذلك يساهم فى تخفيف الضغط على المدن التى وصل تعدادها إلى مرحلة الانفجار، مثل القاهرة والإسكندرية وبعض مدن القناة.

(٨) إذا كان المتاح حاليا من الأراضى حوالى ١٢ مليون فدان، منهم أربعة على الأقل مساحات عمرانية، فإنه وبالزيادة السكانية المنتظرة والتى تزيد عن ٢٠ر١ مليون نسمة سنويا تحتاج مصر فى عام ٢٠١٧ حوالى خمسة أضعاف المساحة المتاحة حاليا أى حوالى ٦٠ مليون فدان، وبالطبع لا يمكن أن يجيىء ذلك دفعة واحدة ولا أن يتم بطريقة الانتشار أو الزحف التدريجيى من الوادى الضيق،

ولكن يجب أن يتم بطريقة التنمية الضفدعية، ومن خلال القفز في صحراء مصر، وليس هناك أنسب من الجزء الجنوبي الغربي لصحراء مصر والذي يمثل أكثر من ٤٤٪ من مساحة الجمهورية. إن القفز إلى هذه الصحراء سوف يؤدي إلى المحافظة على ثروات مصر الطبيعية الموجودة في هذا الإقليم وقد لا يكون بعضها مكتشف بعد ـ وكذلك إلى تأمين حدود مصر الجنوبية والغربية، وكل ذلك يعتبر ضمن دواعي الأمن القومي والتوازن العربي والإفريقي.

(٩) إن الدراسات المتاحة تفيد بأن جنوب الوادي ومنطقة المشروع تعتبر من أنسب المنتجعات الشتوية في العالم. وذلك بالاضافة إلى وجود العديد من الآثار الفرعونية والرومانية والقبطية والإسلامية، يجعل من المشروع منطقة جذب سياحي في المستقبل.

(١٠) إن هذه المنطقة كانت تاريخيا من الأراضي الزراعية المصدرة للغذاء ـ ويكفي فقط أن نذكر أن محافظة الوادي الجديد وجنوب الوادي بهما أكثر من ١١ مليون فدان قابلة للزراعة وبدرجات إنتاجية مختلفة، ويجب علينا استثمارها، لاسيما وأن المستقبل قد يجعل استيراد الغذاء ـ وخاصة الحبوب ـ صعبا إن لم يكن مستحيلا. إنه ومع الزيادة السكانية في العالم، خاصة الدول النامية والتي تسود بعضها موجات من العنف وعدم الاستقرار، فإن استيراد الغذاء قد يمثل وسيلة ضغط سياسية على هذه الدول، وعليه فإن تنمية جنوب الوادي تعتبر من دواعي تأمين الإرادة السياسية المصرية في المستقبل. وهنا تعجبني مقولة **الدكتورة نعمات أحمد** فؤاد، عاشقة مصر ووادي النيل وهي **أن من يستورد رغيفه يصدر إرادته.**

(١١) بالإضافة إلى استصلاح أراضي زراعية تقدر بحوالي نصف مليون فدان في المرحلة الأولى لمشروع قناة الوادي الجديد، فإن هذا المشروع الضخم سوف يتطلب مجتمعات عمرانية وبنية أساسية تخلق مجالا خصبا لقطاع الأعمال

المدنية، التى تساعد فى استيعاب أعداد كبيرة من العمالة المعطلة، والتى قد يكون ضمن الأسباب التى تساعد على الكشف عن بعض أعراض التطرف الفكرى وأهمها العنف السياسى والإرهاب.

(١٢) إن هجرة الثقافات لها من السلبيات والإيجابيات، ولعل أخطر سلبيات هذه الهجرة إهمال قيمة الانتماء القومى. وحيث إن الانتماء قيمة تزداد أهميتها فى البلاد النامية، فإن هذه البلاد تحتاج بين الوقت والآخر لمشروعات قومية تحيى هذه القيمة وتطورها وتعمق أبعادها، ونعتقد أن مشروع جنوب الوادى سوف ينمى هذه القيمة وذلك بُعد لا يمكن قياسه بطريقة مباشرة.

(١٣) إنه قد آن الأوان لتنمية الجنوب بعد أن تخلفت عجلة التنمية فيه عن باقى أنحاء الجمهورية، وفى هذا المجال لا يجب أن نغفل أن تطرف التنمية فى هذا الإقليم قد شارك مع عوامل أخرى فى تنمية التطرف والإرهاب، وعليه فإذا اقتصرت التنمية الشاملة على الشمال فسوف يتحول الجنوب إلى حضانات لتنمية التطرف والإرهاب الذى قد يُصدر إلى الشمال مستقبلا وبشكل قد لا نتصوره حاليا. كما أن تنمية الجنوب يمكن أن تنمى مجتمعات حقيقية وهو ما لم يحدث فى المناطق التى تم استزراعها فى طريق مصر ـ الإسكندرية الصحراوى حيث اعتمدت التنمية الزراعية فى هذه المنطقة المستصلحة حديثا على العمالة المنقولة وعليه فلم تساهم فى حل مشكلة الإسكان وخلخلة الكثافة السكانية فى الوادى القديم.

شكر وتقدير

لا يفوتنى هنا أن أشكر كل من عاوننى فسمع منى الفكر ونقده فساعدنى على تنقيحه وإعادة صياغته ليوضع بين يدى **الآنسة سحر على بدوى** فتضعه فى ذاكرة الحاسوب متحلية بالصبر والإخلاص والتعاون - إلى كل من قرأ ما كُتب وعدل فيه وأضاف إليه وعلى رأسهم **الأستاذ الدكتور محمود مهنى** عميد كلية أصول الدين بجامعة الأزهر فرع أسيوط **والأستاذ عصمت محمود** موجه اللغة العربية بمحافظة أسيوط **والأستاذ أحمد سيد إبراهيم** مدرس أول اللغة العربية بمدرسة عصمت عفيفى بأسيوط **والأستاذ سامح خلاف** مدير مكتب السيد محافظ أسيوط **والأستاذ إسماعيل رشوان** رئيس مركز ومدينة البدارى. **إلى الآنسة عزة عبد العال عبد الغنى والأستاذ أحمد على حسن** أقدم جزيل الشكر على رعايتى رغم ثقل حمولى من الآلام والأفكار. كما أدعو أن يتغمد الله سبحانه وتعالى **المرحوم الفنان بخيت فراج حماد** برحمته فقد كان تصميم غلاف هذا الكتاب ضمن آخر أعماله الخالدة.

لقد كان ديوان عام محافظة أسيوط قلباً حاضناً لأفكار هذا الكتاب وهنا لا يفوتنى إلا أن أتقدم بكل التقدير والعرفان **للأستاذ الدكتور محمد رجائى الطحلاوى** محافظ أسيوط **والأستاذ فؤاد على خليل** سكرتير عام المحافظة **والأستاذ أحمد حامد السرسى** سكرتير عام مساعد المحافظة، حيث لم يبخلوا يوماً فى تقديم العون لإخراج فكر المفكرين وطاقة المخلصين.

كما أشكر كل من بحث فى لاشعوره عن مواطن التطرف والعنف فاجتثها، وكل من زرع الأمل والحب فى أرض الواقع ليحصد الآخرون فى مستقبل قد لا يراه بعد أن

استبصره، وكل قائد قد شغلته رؤية المستقبل عن تجاوزات الحاضر فلم يكن إلا رحيما يحمل رسالة حب يملأ بها القلوب، ومشعل أمل يضيء به الطريق، وطاقة عمل خلاقة تدفع وطنه لإشراقة. وأتوج هذا الشكر والتقدير بتحية خالصة وإهداء من القلب إلى قيادات مصر الوطنية وعلى رأسها **السيد الرئيس محمد حسنى مبارك** الذى أثبت بطولة فى الحرب والسلام فكان هدفا لخفافيش الظلام وحماه رب العزة ومنحه الصحة والأمان.

المـــؤلـــف

١٩٩٨

قـــراءات إضافيـــة

قراءات إضافية

أولا : باللغة العربية

البنا، رجب. (١٩٩٤). تاريخ ليس للبيع، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

البنا، رجب. (١٩٩٧). الأمية الدينية والحرب ضد الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

الحملاوى، محمد رشاد. (١٩٩٣). إدارة الأزمات: تجارب محلية وعالمية، مؤسسة الأهرام ومكتبة عين شمس، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

الطحلاوى، مجمد رجائى & إبراهيم، يحيى عبد الحميد. (١٩٩٥). رؤية فى الإدارة الجامعية وقيادتها، دار التحزير للطبع والنشر، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

الطحلاوى، محمد رجائى & إبراهيم، يحيى عبد الحميد. (١٩٩٧). إدارة التنمية، دار التحرير للطبع والنشر، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

حريز، عبد الناصر. (١٩٩٦). الإرهاب السياسى: دراسة تحليلة، مكتبة مدبولى، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

دعبس، محمد يسرى إبراهيم. (١٩٩٤). الإرهاب بين التجريم والمرض: رؤية فى أنثروبولوجيا الجريمة، دار المعارف، الإسكندرية، جمهورية مصر العربية.

عنايت، راجي. (١٩٩٢). أفيقوا يرحمكم الله، دار الشروق، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

فرجاني، نادر. (١٩٩٥). التنمية البشرية في مصر: رؤية بديلة، المدير العربي العدد ١٢٩ صفحات ٧٤ ـ ٨٨، مطابع روز اليوسف الجديدة، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

نافع، إبراهيم. (١٩٩٤). كابوس الإرهاب وسقوط الأقنعة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، مؤسسة الاهرام، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

هلال، محمد عبد الغني حسن. (١٩٩٦). مهارات إدارة الأزمات، مؤسسة الأهرام، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

ثانيا : باللغة الانجليزية

Anonymous (1982). A Compassionate Peace: A Future for the Middle East. A Report Prepared by the America Friends Service Committee. *Hill and Wang, NY, U.S.A.*

Brim, G. (1992). Ambition: How We Manage Success and Failure Throughout our Lives. *BasicBooks, A Division of Harper Collins Publishers, U.S.A.*

Covey, S.R. (1990). The 7 Habits of Highly Effective People: Restoring the Character Ethic. *A Fireside Book, Published by Simon & Schuster, NY, U.S.A.*

Covey, S.R. (1991). Principle-Centered Leadership. *A Fireside Book, Published by Simon & Schuster, NY, U.S.A.*

Covey, S.R.; Merrill, A.R. & Merrill, R.R. (1994). First Things First: To Live, to Love, to Learn, to Leave a Legacy. *Simons & Schuster Inc., NY, U.S.A.*

Davis, S. & Davidson, B. (1992). 2020 Vision. *Simon & Schuster, NY, U.S.A.*

Deutsch, K.W. (1988). The Analysis of International Relations. *Prentice-Hall, Inc., NJ, U.S.A.*

Farley, M.A. (1990). Personal Commitments: Beginning, Keeping, Changing. *Harper San Francisco, A Division of Harper Collins Publishers, NY, U.S.A.*

Farson, R. (1996). Management of the Absurd: Paradoxes in Leadership. *Simon & Schuster, NY, U.S.A.*

Givens, C.J. (1993). SuperSelf: Doubling your Personal Effectiveness. *Simons & Schuster, NY, U.S.A.*

Goodwin, J. (1994). Price of Honor: Muslim Women Lift the Veil of Silence on the Islamic World. *Little, Brown and Company, NY, U.S.A.*

Heifetz, M.L. (1993). Leading Change, Overcoming Chaos: A Seven-stage Process for Making Change Succeed in your Organization. *Threshold Institute, Ten Speed Press, California, U.S.A.*

Higgins, J.M. (1995). Innovate or Evaporate: Test & Improve your Organization's IQ. *The New Management Publish., Florida, U.S.A.*

Hunsaker, P.L. & Alessandra A.J. (1986). The Art of Managing People. *A Touchstone Book, Simon and Schuster Inc. NY, U.S.A.*

Hyde, M.O. & Forsyth, E.H. (1987). Terrorism: A Special Kind of Violence. *G.P. Putnam's Sons, NY, U.S.A.*

Kolb, D.A., Rubin, I.M. & Mcintyre, G.A. (1971). Organisational Behaviour, *Prentice Hall, Englewood Cliffs, NJ, U.S.A.*

Kotter, J.P. (1990). A Force for Change. *The Free Press, NY, U.S.A.*

Kotter, J.P. (1996). Leading Change. *Harvard Business School Press, MA, U.S.A.*

Ludlow, R. & Panton, F. (1992). The Essence of Effective Communication. *Prentice Hall, NY, U.S.A.*

Marks, L. (1990). Living with Vision: Reclaiming the Power of the Heart. *Knowledge Systems, Inc. Indianapolis, U.S.A.*

Maynard, Jr., H.B. & Mehrtens, S.E. (1993). The Fourth Wave. *Berret-Koehler Publishers, San Francisco, CA, U.S.A.*

Nolan, R.L. & Croson, D.C. (1995). Creative Destruction: A Six-Stage Process for Transforming the Organization. *Harvard Business School Press, MA, U.S.A.*

Osborne, D. & Gaebler, T. (1992). Reinventing Government. *Addison-Wesley Pubishing Company, Inc. U.S.A.*

Reichheld, F.F. (1996). The Loyalty Effect: The Hidden Force Behind Growth, Profits and Lasting Value. *Harvard Business School Press, MA, U.S.A.*

Smedes, L.B. (1990). A Pretty Good Person: What it Takes to Live With Courage, Gratitude and Integrity or When Pretty

Good is as Good as You Can Be. *Harper & Row, Pubishers, San Francisco, U.S.A.*

Sonnenberg, F.K. (1994). Managing With a Conscience: How to Improve Performance Through Integrity, Trust, and Commitment. *McGraw-Hill, NY, U.S.A.*

Spitzer, D.R. (1995). Super-Motivation: A Blueprint for Energizing your Organization from Top to Bottom. *AMACOM, NY, U.S.A.*

Swaminathan, M.S. (1994). Uncommon Opportunities: An Agenda for Peace and Equitable Development (The Report of the International Commission on Peace and Food). *Zed Books Ltd, London.*

الفهـــــــرس

الفهـــرس

المؤلف فى سطور

دكتور يحى عبدالحميد إبراهيم عبدالعال (أستاذ كيمياء وسمية مبيدات الآفات بكلية الزراعة – جامعة أسيوط). يعمل – أيضا – مستشارا للأستاذ الدكتور محافظ أسيوط ومديرا لمركز إدارة التنمية بالمحافظة. ولد فى ١٩٤٤/١٢/٢٨ فى محافظة المنيا. وبعد حصوله على الدكتوراه عام ١٩٧٥ تدرج فى وظائف هيئةالتدريس حتى وظيفة أستاذ عام ١٩٨٢. ومنذ عام ١٩٧٥ وحتى الآن قام بنشر ما يزيد عن مائة بحث وشارك فى إصدار العديد من الكتب العلمية والأدبية. وقد عمل أستاذا زائرا فى عديد من جامعات الولايات المتحدة الأمريكية. مثل جامعة كورنيل، جامعة أوهايو ولسن، جامعة لويزيانا، جامعة جنوب تكساس، وكذلك انتدب للعمل لفترة محدودة بوزارة الزراعة الأمريكية. حصل على جائزة جامعة أسيوط (١٩٧٨) وجائزة الدولة التشجيعية مرتين (١٩٧٩ ، ١٩٨٧) ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى (١٩٧٩) ونوط الامتياز من الطبقة الأولى (١٩٩٥) وضم اسمه لسجل مشاهير علماء ولاية كاليفورنيا وذلك لبحوثه المتميزة والمبتكرة عن استخدام التكنولوجيا الحيوية والهندسة الوراثية فى مجال مكافحة الآفات. وهو عضو فى عديد من الجمعيات العلمية العالمية والاتحاد الأمريكى لتقدم العلوم. وفى نهاية الثمانينات وأوائل التسعينات حصل على تقدير هيئة روكفلر الأمريكية مرتين. وأثناء عمله مستشارا لرئيس جامعة أسيوط (١٩٩١-١٩٩٦) أتيحت له فرصة كبيرة لرؤية منشورية لصناعة القرار بالجامعة وأصقلت هذه الرؤية بحضوره دورة الإدارة الجامعية بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية، وكان من نتائج هذه الخبرة أن قام بإعداد عدة كتب عن الإدارة. أيضا عمل مقررا للجنة المستقبليات بجامعة أسيوط الفترة المستقبليات بجامعة أسيوط الفترة من ١٩٩١ وحتى ١٩٩٤. وخلال هذه الفترة أسهم بجهد كبير فى بلورة طبيعة وأهداف العمل المستقبلى على مستوياته الاستراتيجية والتشغيلية، وكانت إحدى نتائج هذا الجهد إنشاء مركز دراسات المستقبل بالجامعة والذى أصبح مديرا له خلال الفترة (١٩٩٥ – ١٩٩٦). والمؤلف من المؤمنين بقضايا الشباب والمرأة وأهمية تطوير دورهم التنموى فى خدمة المجتمع ومستقبل دور مصر التنافسى فى النظام العالمى الجديد. للمؤلف كتب عديدة عن الإدارة الجامعية وإدارة التنمية وتنمية جنوب الوادى وإعداد القادة.

الكتاب فى سطور

إن التطور التكنولوجى وثورة المعلومات لم يقف حائلا دون اضطراد مشاكل العالم، ويقع على رأس هذه المشاكل هروب بعض الناس إلى شبكة امان فكرى تأخذ من الأديان فلسفة، وهنا تبدأ الأصولية الفكرية التى يمكن أن تتطور إلى تطرف فكرى قد يجعل الإرهاب وسيلة تعبيره. ورغم أن ظواهر الاصولية والتطرف والإرهاب عالمية إلا أن تأثيرها السلبى على العالم النامى يفوق الحدود، خاصة فى الدول التى تعانى من التفرقة السياسية فى حل مشاكلها الإقليمية، وتلك التى تعتمد على الاستثمار الأجنبى والسياحة فى دعم اقتصادها القومى. وعلى ذلك فقد جاءت فكرة الكتاب بوضع التنمية بين العوامل ارتأينا ان توضح التنمية فى هذا الكتاب بين عقيدة الانتماء وعقدة التطرف، لأن التطرف مرض فكرى يبدأ بالاغتراب وهو عكس الانتماء.

والكتاب مكون من أحد عشر فصلا هى:

١- الانسان والتنمية.
٢- الانتماء والتنمية.
٣- ... وكلمة لابد منها وحوار مع ابنتى.
٤- الصحوات الدينية وبانوراما العنف.
٥- التطرف والتنمية.
٦- الدين والإرهاب.
٧- قضية الاغتراب وعولمة التطرف والإرهاب.
٨- التطرف وسياسة اليأس والتجربة المصرية.
٩- مناخ التعليم والتطرف الفكرى.
١٠- مستقبل الشباب وشباب المستقبل.
١١- خاتمة - تنمية جنوب الوادى - الأبعاد الاستراتيجية وقضايا الانتماء والتطرف.

ويعالج الكتاب فى أبوابه وبشكل غير تقليدى خطورة التطرف وانعكاساته على السلام الاجتماعى والسياسى والأمن القومى. لاسيما أن منطقة الشرق الأوسط ما زالت منطقة انفجارات يشعل فتيلها العديد من القوى الأجنبية وحكومة إسرائيلية متعنتة ترفض مبدأ الأرض مقابل السلام وتنتهك المقدسات الإسلامية والمسيحية وحرمة مدينة القدس.

المؤلف فى سطور

دكتور يحى عبدالحميد ابراهيم عبدالمنعم (أستاذ كيمياء وسمية مبيدات الأفات بكلية الزراعة - جامعة أسيوط). يعمل - أيضا - مستشارا للأستاذ الدكتور محافظ أسيوط ومديرا لمركز إدارة التنمية بالمحافظة. ولد فى ١٩٤٤/١٢/٢٨ فى محافظة المنيا. وبعد حصوله على الدكتوراه عام ١٩٧٥ تدرج سيادته فى وظائف هيئة التدريس حتى وظيفة أستاذ عام ١٩٨٢. ومنذ عام ١٩٧٥ وحتى الآن قام بنشر ما يزيد عن مائة بحث وشارك فى إصدار العديد من الكتب العلمية والأدبية. وقد عمل أستاذا زائرا فى عديد من جامعات الولايات المتحدة الأمريكية. مثل جامعة كورنيل، جامعة اوهايو ولسن، جامعة لويزيانا، جامعة جنوب تكساس، وكذلك انتدب للعمل لفترة محددة بوزارة الزراعة الأمريكية. حصل سيادته على جائزة جامعة أسيوط (١٩٠٠) وجائزة الدولة التشجيعية مرتين (١٩٧٩ . ١٩٨٧) ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى (١٩٧١) ونوط الامتياز من الطبقة الأولى (١٩٩٥) وضم اسمه لسجل مشاهير علماء ولاية كاليفورنيا وذلك لبحوثه المتميزة والمبتكرة من استخدام التكنولوجيا الحيوية والهندسة الوراثية فى مجال مكافحة الأفات. وهو عضو فى عديد من الجمعيات العلمية العالمية والاتحاد الأمريكى لتقدم العلوم. وفى نهاية الثمانينات وأوائل التسعينات حصل على تقدير هيئة روكفلر الأمريكية مرتين. وأثناء عمله مستشارا لرئيس جامعة أسيوط (١٩٩١-١٩٩٦) أتيحت له فرصة كبيرة لرؤية منظورية لصناعة القرار بالجامعة واصقلت هذه الرؤية بمنظورة ثورة الإدارة الجامعية بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية، وكان من نتائج هذه الخبرة أن قام بإعداد عدة كتب عن الإدارة. أيضا عمل مقررا للجنة المستقبليات بجامعة أسيوط الفترة المستقبليات بجامعة أسيوط الفترة من ١٩٩١ وحتى ١٩٩٤. وخلال هذه الفترة أسهم بجهد كبير فى بلورة طبيعة وأهداف العمل المستقبلى على مستوياته الاستراتيجية والتشغيلية، وكانت إحدى نتائج هذا الجهد إنشاء مركز دراسات المستقبل بالجامعة والذى أصبح سيادته مديرا له خلال الفترة (١٩٩٥ - ١٩٩٦). والمؤلف من المؤمنين بقضايا الشباب والمرأة وأهمية تطوير دورهم التنموى فى خدمة المجتمع ومستقبل دور مصر التنافسى فى النظام العالمى الجديد. للمؤلف كتب عديدة عن الإدارة الجامعية وإدارة التنمية وتنمية جنوب الوادى وإعداد القادة.